



رواية
مروءة جمال

أسيوس

الدرج العظمير

ثنائية الملح والظل (II)

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.



إهداء

تمنح أكاذيب الخيال الحقيقة!



الفصل الرابع عشر

أنت تسيطر على البشر بالحرمان، حيث الإنسان إذا ما
شبع فكر، وإذا فكر فهم.

أنت تسيطر على البشر بالخوف!

هو حاكم رائع.. لا يوجد في عهده سجون. المخطئ يُقتل!
الحاكم عليه أن يكون ماهراً بما فيه الكفاية ليتفادى فخ
المعارك التي تُفرض عليه. القائد انتصاره مضمون في
المعارك التي يشكها.. يختار وقتها وماهيتها، على مدار
سنوات حكمه يودوس نجح في استنزاف أعدائه في
المعارك التي يقرها بنفسه، حتى حلَّ السلام.. والسلام
حقاً قبيح. السلام ما هو إلا وقت مستقطع قبل حرب
أشرس!

طباخة جديدة، قلب عذراء جديد، ويستمر البارود..

كان يمضغ طعامه ببطء، وعيناه تطيل النظر إلى
الأربعينية المستهلكة بفضل رجاله، وجهه يضاوي خلاسي،
شعر أسود فحمي مجعد وعينان لونهما مثل احتراق الحطب
متقدتان بالبؤس واليأس. عقد حاجبيه ونبرته تتسلل بهدوء
رائق:

- يقولون إنك من طلبت الوظيفة بنفسك.. بل توسلت

إليها.



كانت عيناه تلتمعان بنشوة، يثق بأنها ليست جاسوسة
وضع أخوه جواسيسه وانتهى، تكرار الجواسيس إن حدث
سيكون وجبة باهتة مملّة. ملاحظها تعجبه يرتسم عليها اليأس
والاشمئزاز من الحياة بفضلها. استنزفت بين رجاله حتى
كرهت نفسها، تمت لو التزمت بالقوانين، ندمت، وندم
الشعب للحكام متعة خاصة، يئست واليأس عنده له مذاق
قلب بشري، وفي النهاية توسّلت إلى طابق المحظيات ولو
لمسح البراز. وداخلها يثق كما الكثيرات بأن الحياة به وهم
أجاد خادمو البارود بيعه. تنخحت بجواب مهلل، صدمة
طبخ أنثى مثلها كانت ما زالت في ذروتها بعد:

- توقعت أي شيء سوى هذا.

قال بانحناء ثغر بارودي متسع بفخر:

- أنا مبهور.

مال رأسه وتخيل أن عنقها ملتف حوله جبل طاعة..
لا يعلم لم كان مشهدها وهي مشنوقة ملهماً له.. لم ينتحر
أحد خدمه من قبل، لم يوصلهم إلى هذا اليأس، كيف
فائته تلك المتعة! كانت ابتسامته هيستيرية.. فوق أنقاض.
"سيسقط حكمك بسبب النغل".

"حرير"

نطقها بغضب وبأس. ساحرته الشريرة المخادعة، ليس
النغل من سيسقط حكمه بل كان البأس ثغرة.. ثغرة
أخيه لهزيمة ظلاله. سخرية حاجبيه هنا بدت مخطوطة



سكت عنها ألف راو.. كانت حروفه تلهو، وعيناه تضيق،
وغريمه الذي يبعد مسافات صورته تتشكل في عينيه.
أخوه.. توأمه!

- يعود المظلوم كي يثار من الظالم في عدالة حمقاء!

قالها بحق وغرور، إكسير الحق الساذج الذي يصدقه
العامة.

- الثورة يا عزيزتي لحظة فساد ابتدعها رجل فاشل يشعر
بالحقد.

واجهته بنظرة خرساء، كان يتحدث بالكثير عليها.. هي
مجرد امرأة استهلكت آلاف المرات، مُحِيتْ كينونتها..
أحلامها.. حريتها.. حتى هو يحادثها مثل جماد، شيء
سيستمع له ثم سيقتله بعد قليل. وثني يده ثم هرس عنقها
في لحظة، لم يكن لديه وقت لإعداد جبل مشنقة ومراقبة
مشهد رسمه خياله، كسر عنقها سريعاً، كان طعامها سيئ
المذاق على أي حال، لم تجد إعداد القلب. راقب الأفق
وعقله يعمل.. والفراغ غائر في أعماقه، قلبه انتزع وانتهى..
ويرقد في جوف الأرض!

- شكراً أخي.. الحرب بناء على خطط سالفة أمر سهل،
القائد هو الذي يستطيع الارتجال.

غضب الراعي



الذي سكتت عنه النبوءات.

واللفظ خادع، وهذا حال "حرير"، النبوءة دوماً ما تكون خادعة، تحمل الشيء وضده.. وهجها رائع ولكنه قد يسبب العمى. "غضب" كان من المفترض أن يكون بطلاً، ومباح توصيفه بالحقير. نغل مرسوم في كتاب، صورة حدقت إليها "بداية" بعجز وقد بدا "غضب" فيها يوجه سيفه نحو البارود برأس مقطوع! كيف يقضي نغل حقير برأس مقطوع على حكم طاغية.

بسبب النغل

نبوءات "حرير" خادعة، دوماً ما تتلاعب بالأحرف.. ليس بسبب أن النغل سيسقطه، بل لأن النغل ثغرة. ولهذا صممت عنه نبوءات "حرير"!

"غضب الراعي" هو الثغرة التي ستسقط البارود! هو الثغرة التي نال بها المشعوذ ظلاله

وعلى بعد مسافات طويلة. كان هو أمام النهر، يعقد حاجبيه بتفكير عميق، سخريته تتشكل بقسوة فوق ملاحظها، ويده تستحوذ على يدها دون قابلية للفكاك. معركة بدأت منذ تاريخ طويل كثير عليها استيعابه. بارود ومشعوذ من الرحم نفسها. انتصر الشر لسنوات طوال وحن وقت شر آخر! نثر عقله الحروف ثم تشكّلت وطارت، بمزيج من ضوء الشمس تراقصت من نظرة سوداء إلى نظرة زرقاء! هجمت الحقيقة وسنت أسنانها وبدأت "حرير" خبثها بقلب



أم غريب مع ابن وضد آخر. عاد صاحب البأس المعطل،
ونال غنيمته كما يريد.. والفضل للثغرة التي أرسلتها إليَّ
بنفسك يا أخي! "غضب الراعي".

- سنعود إلى أرض الثلج.. قصر المشعوذ!

تجمدت ثمار التفاح في عينيها، تصلبت وعناقه يسيطر عليها
بحزم. لا يتركها.. تطرق رأسها ويضغط هو على جبهتها
بجبهته، يحتل كل حواسها بنبرته وعيناه:

- ثقّين بي؟

تومئ في صدق، تدفع بأنفها الصغير وأنفاسها في تجويف
عنقه، تثبث بعبقه في احتياج ولا تدرك أنها بلامستها
تلك تعيد تشكيل الحديد، كانت تتشكل بجمال خاص كلما
حاوطتها ذراعاها وسط تأثير الغابة.

قال بنبرة ثقيلة:

- خائفة منه؟

- نعم!

- حتى وأنا معك؟

لم تجب، تجمدت كلماتها في حيرة، شعرت وكأنما هي
على جناح العقاب يحملها ويدور بها في دوامة. استندت
إلى ذراعه، تركت نفسها كلياً له، متأخراً أدركت أنه تخلى



عن العربة، امتطى حصاناً منهما وجذبها لتكون أمامه على الحصان نفسه، ألصقها به فشعرت بنفسها مقيدة، عيناها مرفوعة إلى السماء وتفقد جزءاً من سعادتها كلما غادرت الغابة نحو طريق العودة، أفكارها متجمدة، بل هاربة.. كيف يمكن أن يواجه المشعوذ؟ كيف يمكن أن يعود بها إلى هناك! جميعها أسئلة تبدو إجابتها المنطقية مخيفة، حقيقة تنغرس في صدرها بخنجر، ولهذا قررت الهروب من الإجابة، أسندت رأسها فوق صدره ومثلما تنتمي إلى الغابة قررت الانتماء إليه.

ثلاثة أيام..

جدع شجرة يابس يتهشم تحت حوافر الخيل، عصفور يهرب، صفاء الغابة ينتهي وبرودة قصر المشعوذ حاضرة. همساً يستدرك الكثير ويقول القليل:

- هل تنوي مواجهة غاندا؟ هل تنوي الموت! أستسلمني للمشعوذ؟!

أراد أن يغرق في عنقها، يحتضنها برقة تارة وبعنف تارة، بقوة ظلاله تارة وبقلبه مجرداً تارة، التهم ملامحها شبه الناعسة بعينه ثم نظر إلى الأفق وقد اقترب كلاهما، كانت منهكة بسبب الرحلة وإصراره على عدم التوقف للراحة. أحياناً كانت تنام بين ذراعيه في الطريق، وصوت أنينها المتعب يخترق صدره، تفتح عينيها ثم تبتم له وتنام بين ذراعيه من جديد. مسار العودة مر الزمن فيه بسرعة



خيالية، بل سحر لم تدركه نفسها البريئة بعد.. نفسها التي
تخاف كل الاحتمالات سوى احتمال واحد..
أنه هو المشعوذ.

بوابة قصر حديدي في زمن غابر فُتت سُفناً، بوابة
هربت منها وإليها تعود. مساحة الثلج شاسعة مرهقة للنظر
والقلب، ووجوه قناطير قبيحة نارية.
ترجلا عن الحصان.

يده تحتل يدها

مشهد مخيف مهيب.. مائي قنطور على الجانبين تندلع من
أطرافهم النيران فوق ثلج صارم، لا النار تذيب الثلوج ولا
الثلوج تطفئ اللهب. الجنية جمر تنتظر في نهاية الطريق
في نفر وقد ظهرت خصلاتها النارية من تحت قلنسوتها
القرمزية القائمة. خلجات الجميع في انتباه له، خلجات الجميع
في انتباه خوفاً منه! عودة ثلاثة ظلال في جسد، عيناه
صلابة المتاريس. قسوة الثلج نفسها هنا قد تبعثر.

قُضِيَ الأمر! الجميع يركع للحاكم.. للمشعوذ!

طعنة في الوريد، صدمة تأسر الروح والجسد والقلب.
خطواتها تتجمد.. الثلج يؤلم كاحليها. عبراتها تتجمد..
لا تمتلك حتى القدرة على النظر نحوه. صياح القناطير
صاخب، والتحية بجيم. صوت "غاند" مرعب، الهواء



البارد يوقظ العظام من نعيم الراحة، خطواتها تتحرك
كالمنومة. حلها كابوس. معشوقها خاطفها.. معشوقها هو
من هربت منه!

شعرت بقلبا يصارع، يودُّ القفز من جسدها الذي تصنم
تمرداً عليها ويهرع إلى القصر وحده. عقلها يفرض على
رأسها حرباً طاحنة ويدها تملص من صلابة أنامله، تدور
وتتوه، تركض في يأس مُتعب وكل العيون تحديق فيها في
صمت قبل أن تحيط بها حوافر عشرة قناطير في هياج،
فتفتت ضرباتهم الثلج ليسقط جسدها في البركة الباردة
في استسلام تام. تسقط مثل النائمة، تسقط وكل ما مر
عليها ثوانٍ معدودة ولكنها استعادت فيها كل لحظاتها معه.
تسقط في حُزن، في هروب، وفي ذهول، وترتفع بقسوة
مخالب وحش، وإن فتحت عينيها على وجهه هو.. الوجه
الذي عشقته.

وقبل أن تدرك كان قد بات هو العقاب، ولفها بجناحيه
في لحظات ليختفي بها بين جدران قصره.

أرض الموت

خديعة الحاكم التي كانت له وضده. السلطة حين
تستمر إلى ما لا نهاية يرضخ البشر، وكان البارود يتحكم في
شعب يودوس بالقهر تارة والخوف تارة، بجيم المشعوذ أو
جيمه.. وحتى الموت فله أرض يحكمها هو وجباره.



على هوى الخيال كلّ يبتكر حكايته.

جوار جدول صغير ممتد من نهر يأتي مباشرة من أرض الثلج يقع المعسكر، مكان أشبه بمدينة كاملة لها أسوار، فرق من الخيول المجهزة بفرسانها تحرس المداخل بحرص ورماة الأسهم يتخذون مواقعهم أعلى القلعة. البوابات تُفتح بيوق، نهج خاص حيث أرض النغول هي سر أعظم حافظ عليه "جبار" سنواتٍ عدّة. الجوانب كانت ممتلئة بالأبراج بأطوال مختلفة والتي لاحظت "قلب" أنها على الفور تدثّرت بأعلام فيلق الصفوة تحية للقادم.

"جبار"

بوابات تفتح.. ركض عشوائياً.. أطفال وشباب وفتيات.. محاربات! لم تصدق نفسها حين لمحت نساءً من مختلف الأعمار يحملن الأقواس والسيوف، لا يبدوون مثل فتيات يودوس بطاعتهنّ وأثوابهنّ الهادئة، بل لهنّ مظهر همجي مشير، أغلبهنّ قد قصصن خصلاتهنّ حد العنق أو تحته قليلاً ووضعن أصباغ الحرب على وجوههن في نوع من تمرير القوة والقسوة. حين ترجلّ بها عن الحصان كانت تراقب كل شيء في طور صدمة سعيدة، تراقبه هو.. هدوءه وابتسامته الناعمة التي ربما تلمحها لأول مرة بهذا الانفعال، والجميع يقترب منه.. يلتف حوله.. يعانقه.. النغول بين قائدهم.

ملوحة لطيفة تتشكل على طرف لسانها، تشعر أنها في



النعيم.. النعيم كما تتنى بكل حرية، خلاياها كلها متحفزة، تبادل معه نظرة ذات معنى وعيناها تقول.. "كيف؟ مستحيل! أنت داهية" عيناها ترشفه بشكل مختلف، تغيب معه ثم تغتاز وهي تعاند نفسها، والجميع ينتبه لها الآن. الجميلة التي ظهرت مع القائد. أعاظها اللقب، كتفت ساعديها ووقفت تراقب بعض التدريبات، وبسرعة خاطفة تظهر محاربة على حصان، كانت ممشوقة القوام قاسية الجيد نصف رأسها مخلوق تماماً في مشهد يثير الانتباه، خلاسية البشرة، سوداء العينين، لها بشرة خشنة بفعل حرارة الشمس ومعاندة التشبه بالرجال. كانت أقواهن، أسقطت فارساً شاباً من على حصانه بسيفها، وكان هو يمسك برمح ضخم. بعد التهليل والتشجيع تجلت عن حصانها لتواجه "قلب" مباشرة، ولكنها لم تحادثها، حادثته هو القائد كما نادته وبدا أنها أحد أهم مساعديه..

- "رام"

- سيدي.

حيته بشكل عسكري صارم ثم بدأت في استعراض ما أنجزوه في تدريباتهم في وقت غيابه، كانت تتحدث بشكل منظم وسريع، في حين يستمع هو لها بثقة تامة. يفرك لحيته وانتباهه حازم و ملامحه تبدو مثل قناع صلب من المستحيل معرفة ما يدور خلفه. ولهذا.. هو الجبار الذي خدع البارود.



قال بهدوء أمر بعدها وقد ظهرت عجوز يبدو أنها أحد
الحكماء في المكان وأرادت أن تحدثه على انفراد:

- "رام" .. خذي "قلب" إلى غرفتها الآن.

انتفضت في حمية.. هكذا ببساطة يتركها هنا، من
المفترض أن يريها هو غرفتها.. هما معاً.

- ألن تشرح لي ما أرى.

- "رام" ستفعل!

قالها يبرود مستفز ورحل.

زمت شفيتها بغضب، في حين كتمت "رام" ابتسامتها
بمكر وهي تستدير، قادتها إلى غرفتها بصمت دون أن
تنبس بنبت شفة، القلعة لم تكن ضخمة، فأغلبهم كان ينام
في العراء أو الخيم دون اعتياد الرفاهية التي تجعل العظام
سهلة الكسر، من مرور بسيط فهمت أن القلعة مخصصة
للهربات والأطفال، حتى هو له خيمته في الخارج. رفعت
"قلب" رأسها في شموخ معاند بعدما وصلت إلى الغرفة ثم
قالت لمرافقتها بنبرة آمرة:

- لن أمكث هنا.. أريد خيمة مثلكم.

ردت "رام" يبرود صلب مثل واجهة سيف فولاذي:

- هذا قرار القائد.

وتركتها ورحلت.. اغتاظت منه، اغتاظت بحق، ولكنها



كانت تحتاج إلى الفراش الكبير، الشراشف الناعمة وحوض الاستحمام بخصوصيته الرائعة الدافئة، حين فتحت الخزانة وجدتها مجهزة بعدة أثواب، وملابس أخرى تليق بها.. ملابس كلك التي ترتديها "رام" والأخريات، ملابس تناسب المقاتلة داخلها. أفرغت ذهنها للحظات من كل شيء وتركت جسدها لدفع المياه، لحظات صمت مطلوبة، لا يوجد صمت مطبق مستمر، فالصمت عدم لا يليق بالبشر.. صمتها عدة أفكار تتصارع، صمتها هي.. و"بداية" و"نهاية" و"ضوء القمر" و"فيصل" ويودوس والبارود والمشعوز والأخت التي لا تعرفها. صمتها "جبار"! وهي على وشك العبور إلى ضفة الحقيقة.. حصد مباحج الصمت.

دورها لا تعلمه بعد، يقصد "جبار" تمرير معلوماته بحساب.. يصقلها على مهل.. يوقد الجمر ويعلمها متعة الاحتراق البطيء.. غاصت برأسها تحت المياه كلياً، في أرض يودوس يوجد كل شيء، السحر والبارود والتعاويد.. في أرض يودوس أنت إما طريدة وإما محارب، والمحارب إما منتصر وإما مقتول بعد أن اكتشف أنه طريدة!

لا تعلم كم مر من الوقت.. نامت، نامت عارية في المياه ثم استيقظت وقد راودها شعور بأنها تهشمت ألف قطعة ثم عادت من جديد. أكثر وعياً.. أكثر قوة.. أكثر ثقة.. وأكثر سعادة.



هذا المكان بها يليق

.....

عينها تبرق بومضة ضوء!

هل تشبه "ضوء القمر"؟ لا..

قالوا إن "القلب" جمالها مختلف، فتنتها ملكية إلى حد ما،
ومع الأسف كانت تليق بالبارود.

هو مهيب مثل حاكم خاص.. قائد جيش. نظرت إلى
جبهته المنعقدة بحكمة وهو يحادث أحد رجاله، كان
بالأحرى في الوصف فتى صغيراً ما زال يتسلق خمسة عشر
عاماً، حماسه وضآء صاحب وعينه تلتمعان بنشوة كلما
أمسك السيف. راقبته على مهل، راقبته بتأمل ومتأخراً
أدركت أنه لاحظ.. ارتفعت عيناه نحوها في اقتناص
مفاجئ ولم ترتبك هي مثل فتاة صغيرة نجول.. إنها
"القلب". ابتسمت في شموخ. جاورتها "رام" وتلك المرة
تحدثت بحروف تتسكع فوق ابتسامة عابثة:

- لقد علمنا كل شيء ولهذا يحترمه الجميع هنا.

همست "قلب" بهدوء مواز:

- لقد أنقذ حياتكم.

- ولهذا كلنا أبناءه.. نموت من أجله إذا استدعى الأمر.

- لتلك الدرجة؟



- في الحرب الأرواح مباح التضحية بها.. فالنصر يستحق الثمن.

قالتها "رام" بفخر رغم سخريه ملاحمها المتصقة بكل انفعالاتها تقريباً، كانت تقف بكبرياء قائمة.. ترفع إحدى قدميها على صخرة وتعقد ساعديها فوق صدريتها الجلدية. تسربت من بين شفيتها الكلمات بقسوة:

- هنا جيش "جبار".. أرض النغول.

- "جبار" حقاً يكون جيشه.

قالتها "قلب" بفخر وتفكراً، هذا الرجل يبدو مثل صندوق أسرار عظيم.. كلما اكتشفت واحداً وجدت عشرة. ولكنها في النهاية تجد ما يعجبها.

انتفضت "رام" فجأة في معركة تدريب جانبية مع فتاة هاجمتها فجأة، لاحظت "قلب" أن النغول أشقياء بهم همجية مشاكسة، لديهم طاقة عراق رهيبه وكراهية ضخمة لمن أمر بقتلهم وهم ما زالوا مجرد لحوم حمراء صارخة. كانت ساحة التدريبات ملهمة، رائعة بحق.. قتال بالرمح والسيوف والتصارع بالأيدي أحياناً، استعراض المهارات والقوة القتالية للمجموعات، والمبارزات المستمرة. في لحظة سريعة أيقنت أن "رام" ناولتها سيفاً.. هي ليست مقاتلة سيف هي تفضل القوس. حينها تذكرت كلماته عندما انتبهت أن عينيه مسلطة عليها. "لا تعلمين متى ستحتاجين إلى السيف".



ناوشتها "رام" بنظرة ساخرة وهي تكاد تجزم أنها لن تستطيع مجابته، شعرت بالقوة.. بقسوة التحدي.. هي أمام أفضل محارباته، أمسكت بسيفها بتركيز، كانت المناوشات هادئة بينهما في البداية.. سمعت فتى يضحك هازئاً أن "رام" تلعب، كادت تفقد أعصابها.. تنتصر عليها حميتها كما الحال دوماً. غضبت.. ثارت.. هاجمت بعنف أهوج كاد يفقدها سيفها لولا أن "رام" تهاونت معها. كانت تلهث وقد أيقنت أنها في مأزق، أرادت قوسها، ولكن تلك مزية لم تكن متاحة في تلك اللحظة. كانت تتحرك برشاقة باهرة رغم كل شيء، تدور وتتفادى بمهارة ضربات سيف "رام". تناثرت الابتسامات بين الإعجاب والسخرية وبدأ القتال يتخذ منحى أقوى إذ قررت "رام" استخدام كل قوتها، ولكنها ثابروا. بعد مدة قصيرة من التدريب معه أصبحت قادرة على مواجهة لا بأس بها مع أقوى مقاتليه. في لحظة غاشمة وحصار لم تتوقعه كادت "رام" تهزمها.. كادت.. إذ حينها وفي سرعة شبحية كان سيفه عازل بينهما، يأخذها هو في معركة تخصه بينه وبينها. ينتبه الجميع.. يتكاثرون ويراقبون بحماس. يهاجمها بقوة تستطيع تحملها وتدافع هي وهي تتراجع حتى أوصلها إلى المكان الذي يريده تماماً. محاصرة ومعزولة معه في إحدى ثكنات الفرسان، كان وجهها يمثل فتنة قاتلة.. جمالها ملكي، يحرق ألف عرش. هاجمها بقسوة، انتهجت شفتاه صلابة سوداء في حين بدأت ضربات سيفه تهاجمها بقوة أكبر.. كانت تعانده بكل قوتها، تقاوم بكل قوتها.. وكلما



قاتلت زادت فتنتها أكثر وأكثر. سألته بعنجهية:

- أين هم.. أم إنك لا تريد رؤيتهم لي وأنا أهزمك.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على جانب ثغره وعيناه تأخذها
في نظرة جبارة:

- لقد أنقذتك من "رام" .. لو هزمتك كنت لتصبحين
تسليتهم وهذا لا أريده.. وفي النهاية أنت لي.

انتفضت بغضب منفعل غير مدركة بواطن المعنى في
كلماته:

- لا أحتاج إلى مساعدتك.

وهاجمته بعنفوان، ومهما فعلت.. هي "القلب" وهو
"الجبار" .. بسلاسة سيطر عليها، قيدها.. طار سيفها في
لحظة وتقيد كلا رسغيا فوق رأسها بفعل قبضته الغاشمة.

فجأة.. مثل سيف قطع الصمت مرر سبابته بحنو فوق
وجهها، اقتنصتها عيناه وقد شعرت بأنفاسه الحارة أمام
وجهها، اقرب بشفتيه بهدوء قاتل منها، بدا القادم واضحاً
وعكس ما توقعت على مدار رحلتها معه هي تريد الآن
تلك القُبلة مثله تماماً.

استسلمت.. أغمضت عينها في استسلام تام ناعم مثير
وعاشق في انتظار قلبتها الأولى معه، لتتحول الحرارة بعدها
إلى برودة تامة

حرر رسغيا ورحل!



حذارٍ من رجل رافق عدوه، أكل وشرب معه، حارب
من أجله، خدعه لسنوات طويلة كي يحقق مآربه.

خلد الأغلبية للنوم، في أرض النغول ينام الثئان ويبقى
ثلث للحراسة. هناك صفوة يُدرَّبون على مهل ويتساءل
البعض أكان "جبار" يعرف أن البارود سيعدم صفوته؟!
الجواب فراغ.. نصف الحقيقة المجهول الذي لن يبحث عنه
أحد.

تحت جناح الظلام كانت عيناه تراقب سواد السماء في
صمت، جواره زجاجة نبذ تدب في دمائه الحياة ونظرة
عينيه تشبه ظلمة خندق. شعر بخطواتها خلفه نثلكاً، عطرها
يسبقها.. هذا ضعف النساء بشكل عام، رائحة الفتنة
تسرب منهنَّ بالفطرة، غير أنها لم تكن تتسلل كحاربة
تلك المرة.. مر وقت القتال ومر معه ما أربكها، أفقدها
شموخها وأغضبها وعليها أن تستعيده بلا رحمة. "قلب
الأرقب" وقعت في العشق! اعترفت لنفسها بها في كبرياء
وغیظ.. نالت منها أحلام اليقظة. حسم السيف التشوش
وأشعلت فكرة القُبلة الحرب.

كانت تبدو كأصل الفتنة وهي تجاوره، ترتدي معطفاً
نبذياً فضفاضاً وتترك الحرية لنعومة ساقها تحت قماشه
الناعم دون قيد دثار المعارك. لاحت منه نظرة قائمة
ومتأملة ثم قال بخشونة وهي ترتاح جالسة جواره:



- تلك الملابس لا تليق بأرض معركة.

التوى فيها بابتسامة مسيطرة ثم قالت تعانده:

- أنا الآن في وقت السلام.

مطت عنقها بعفوية لم تكن تدرك حينها خطورتها عليها،
كانت تعانده.. تغيظه بحماقة أنثى كبرياؤها منفجرة.
ستفعل معه مثلها فعل تماماً.. بل أسوء..

ستؤجج رغبته وتتركه حانقاً.. لعبة خطيرة من قلب
"قلب"!

تابعت بنبرة ضاحكة مثل طفلة تلهو بنصال السيوف:

- ألا ترتاح أبداً.

رفع حاجبيه مستنكراً:

- ماذا تعنين؟!

غامت عيناها هنا بلحظة صدق تامة:

- من حربك؟ هل نتوقف أبداً عن التفكير في انتقامك

من البارود؟

ردّ بحروف ثابتة والحنق في أوج ظلمته:

- ليس انتقاماً بل مصير.. المصير المفترض حدوثه.

- نحن لا نعرف مصايرنا أبداً.

- بعض الأمور تستحق المحاولة.



مع عبارته الصلبة كانت طاقة مناوشتها معه قد تبخرت،
هذا الجبار معه تتشكل أنوثتها وتختفي.. تشتعل الحرائق
وينتصر الرماد. مشاهد قتل "رشد" عادت إلى ذاكرتها،
الأفعى "غاند"، قتل "ضوء القمر"، المشعوذ الذي اختطف
سلام عائلتها. أغمضت عينيها ثم قالت ببؤس وهي تنوي
الرحيل:

- تلك الحرب.. هذا البؤس.. يليق بنا.

استفزها وهي تهم بالرحيل:

- هل أنتِ امرأة قوية؟

كانت قد استقامت فعلاً، بل ابتعدت عنه خطوات بعد
عبارته، قررت تجاهله وفشلت؛ لم تستطيع.. هي محاربة
رائعة ومعه ثباتها الانفعالي مخدوش، استدارت نحوه
مردفة بنبرة معاندة:

- أكثر مما تتخيل.

ضاقت عيناه بنظرة خبيثة ذات مغزى، ثم اقترب
ولغة ملامحه تتحداها أن تبقى ثابتة أمامه. ظلت هي
واقفة مكانها في ثبات مدّعى، تدرك في قلبها غياب ما
فعلته وقدومها إليه بتلك الهيئة ثم تغلبها معاندتها وتقرر أن
تذيقه من الكأس نفسها. ابتسمت بقسوة ورغم رجوعها
خطوات بسيطة لترتطم بجدار خلفها ثبتت في مكانها،
قالت بهمسٍ مشاكسٍ عنيد:



- ماذا؟ هل تنوي استكمال معركة الصباح؟

ثبّت نظرتَه على عينيها ثم فجأة مد سبابته فلامس بهدوء بشرتها، بداية من جانب الجبين حتى الزاوية اليسرى لشفتيها، قال بهمس قاتل:

- خطيرة عليكِ تلك المعركة يا "قلب".

اهتز ثباتها للحظات، نظرتها ارتجفت ثم استسلمت ثم غضبت وهي تتذكر صلابته القائمة أمامها حين اقترب من شفتيها وكادت هي تستسلم برحابة لهجومه. كبريائها انتفضت وهمّت بدفعه للرحيل، ولكنها لاحظت أنه ثابت أمامها كجدار حديدي. إدراك اللحظة جاء متأخراً، خصلاتها من تحت قلنسوة الرداء كانت تنهرس بين أنامله، مارس المحارب حرباً طاحنة بين فكّيها.

حين استوعبت خطورة ما قد يحدث بينهما كان هو قد لامس عُرّي نخذها الناعم، لم يكن من الحكمة أبداً مناوشة ثبات المحارب. مناوشة ثبات الجبار الذي وقع في العشق. همس بصلاية:

- هل تريدان الجنون يا "قلب" أم الحرب فقط؟

رفعت عينيها نحوه غير مدركة تماماً لمقاصده، وهو كان قد اتخذ قراره وانتهى، بين تشوش امتلاكها وتشوش فقدانها حَسَم أمره. قوانين الحرب ثابتة نعم ولكن الارتجال مسموح.



- أريدكِ!

وشعرت أنها في السماء وتحت الأرض، نيران تحرق
جليداً، قلبها ينبض بسرعة موت ودفعها إياه عاطفي
وغاضب وخائف ومدرك لدوره في حياتها الآن. اللعنة
على يودوس ونفسها و"شاهق" و"ضوء القمر" و"غاند". هي
تجبه .. هي تريده.. وابتعادها مهزوم.

- أريدكِ يا ابنة الأرقب.

- لنهي معاركنا أولاً.

- قد لا أخرج حياً!

قالها بصلافة ويقين هادئ، تلميحات "رام" ترن في
أذنيها.. "جبار" يفهم توضيحات المعارك ولا يبالي بها،
"جبار" عليهم أن الانتصار هو الهدف ولو على قتله..

وسط صدمة شفتيها الملطخة بنبیذه تابع بضعف صادق:

- اللعنة أنا مشتت بك؛ هذا ما لم أعمل حسابه.

ضغط فوق شفتيها بإبهامه ضغطة أخيرة وأباح لارتجاله
ذروته تلك المرة:

- لتزوج.. الآن!

كان عنقها ينبض تحت سطوة يده الأخرى، قلبها
يركض كما لم يفعل من قبل.. عالمها كله يتشكّل من
جديد.. صفحة من كتاب لم تكن تعلم بوجوده تتسلل إلى



أوراقها. رجل.. هو الوحيد في يودوس كلها الذي يستحق
أن تمنحه نفسها.. كحاربة.. كأنثى.. كقلب.

لحظة عملاقة أحاطت بها، وخطوة لم تكن نتوقع أن
تخطوها أبداً.

في أرض النغول تزوجت "قلب الأرقب" قائد الصفوة
والجيش الثاني، من خدع البارود ونال مهارة القتال من
المشعوذ. "جبار"

كي تفوز بالحرب عليك أن تقدم الضحايا. لا توجد
حرب من دون خسائر، في الحرب يجب أن يكون لديك
استعداد أن تخسر نفسك.

المشعوذ له جيشه، "جبار" له جيشه، "الراعي" له جيشه،
وماذا عن "الأرقب"!

في يودوس الخنادق ممنوعة.. من يحاول حفر أحدها
يلطخ جسده بالقار ثم يُدفن حياً. عقاب قد تكون المقصلة
فوق العنق جواره رحمة. في يودوس الخنادق مستحيلة.
ولكن لا يوجد مستحيل أمام متاهات "الأرقب".

سلسلة أنفاق بُنيت على مدار سنوات بمرص تام، مخارج
ومداخل سرية ومن يُرتب في أمره ينل عقاباً أسوأ من
عقاب البارود. يُعذَّب حتى الموت. من المستحيل أن تهزم
الشر باللطافة، أو بقلب حانٍ. القسوة تجوب يودوس،



فوقها وتحتها والنجاة مستحيلة. كان الظلام يحتضن أغلب المساحات، الوجوه مطلية بالبؤس والعزيمة والأجساد اعتادت القليل من الطعام والهواء مع القوة الكاملة. حركة دؤوبة تحدث مؤخراً إذ تُصنَع الأسلحة بحماس منقطع النظير، تقول الأركان وكان هذا اسم ناقلي الأخبار بين سكان الخنادق أن الحرب اقتربت.

في الخنادق تتحطم الإنسانية بشكل ما.. كي تنتصر عليك أن تخلق وحشاً. تتحطم المبادئ واليكاسة ويتحطم الخوف. ساكن الخندق حي ميت. وجوههم لسنوات لم ترَ الشمس فالخنادق محروسة بتوحش من رجال "شاهق"، الخروج منها مستحيل. حتى الموت لا يرحم.. يأكل الموجودون جسد زميلهم، كي تحطم وحشاً عليك أن تخلق وحشاً. كانوا مثل التماثيل، أدوات حرب.. ليسوا سلسلة قتلة ومنبوذين لا.. بل أبطال! أبطال صقلهم على مهل.. كتيبة تتكون من ألف رجل ولكن قوتهم بعشرة آلاف. منع عنهم النساء والملذات، ولكن ليس كالبارود؛ هو أهداهم المعرفة.. علمهم القراءة بنفسه. وحش بطل وقارئ!

جيش الأرقب حالة خاصة

قتال لا يعتمد فقط على المهارة والضحامة، بل على استخدام العقل.. كانوا جميعهم متشابهين بشكل ما، أعمارهم صغيرة إذ أخذهم "شاهق" وهم في عمر عشر سنوات، أغلبهم من أبناء الخدم والفقراء الذين لم تكن لهم



طاقة بتوفير طعامهم وشرابهم. حليقو الرؤوس، لهم لحى
قصيرة خشنة، وعيونهم جاحظة نوعاً ما. ملامحهم بأثة لم
يعرفوا الضحك يوماً ولا اللعب، ولا مباحج الحياة.. يعرفون
مباحج الصمت فقط.

وهي هزيمة البارود كي يروا ضوء السماء من جديد، وكي
تتخلص يودوس من خادم الشمس!

البارود

ماذا لو كانت النهاية امرأة.. بالتأكيد لن تكون عادية!

"شاهق الأرقب" أعلن زواجه، ما سبق هذا من أحداث
كان مرعياً على الإقليم، تاجر مواشٍ قبيح الطلة وُجِدَ
منحوراً في نهر وقيل إن السبب أنه فعلاً طلب "نهاية".
شاب آخر وجوده في الغابة وقد قُطِعَ ذكره وقيل أيضاً إن
السبب طلب "نهاية". "نهاية" هي نهاية كل ذكر يجروء على
المطالبة بها وقريباً نهاية "الأرقب" نفسه.

نثر البارود شائعاته من خلال شعرائه المخلصين، مارس
خبث الحاكم في تشتيت الشعب، شائعات مع وضد.. قتل
يثير شهيته ومع وضد، شاب من عائلة غنية بقلب مفقود
ومع وضد.. الفوضى دوماً خلاق. الفوضى باهرة للحاكم إذ
ينشغل الحمقى ببعضهم بعضاً. ساعتها يستطيع أن يعمل في
صمت!



بدأت غرفة نومه شبیهة بحانة، رائحة النيذ تنبعث من الجدران وضحكته القائمة المجلجلة بعد تناول ثلاثة قلوب دفعة واحدة ما زالت بقاياها حاضرة في ذاكرة الأثاث. يضم المشهد جبروته وساحرة فاسقة يحركها طموحها نحو وحوش المينوتور. ابتسمت بترف وقد تجرّعت لتوها نيذاً فاحراً مع لحم، ليس القلوب، فتلك اللعنة مخصصة للبارود وحده، وحتى لو أرادت تنفيذها لن تستطيع. تعويذة "حرير" مستحيلة على أمثالها. وليس العناكب، لم يكن هذا بوقتها الآن. كانت دماؤها تمارس حالة مد وجذر.

- "شاهق الأرقب" ليس بالسهولة التي نتصورها. لديه أسرار في متاهاته لم تعرفها بعد.

هي تعرف "شاهق"، "شاهق" لن يهزم بسهولة، بل لن يهزم مرة واحدة. كي تناله تحتاج إلى عدة هزائم. انزلت كلمات البارود بلا مبالاة ساخرة:

- لا أهتم بأسراره حالياً، أسعى لإبقائه منشغلاً مع العروس.

قالتها "سيراب" وصورة "نهاية" اللطيفة ترسم في مخيلتها:

- لم لم تختصر الأمور وتطلبها لنفسك؟

والبارود هو البارود.. حروفه قصف مباشر.

- لقد تشاءمت من بنات الأرقب، أهمهم بومة.

ضحكت بصوت ضخم، أدرك حينها أنها تحبس حقداً ما



نحو بنات الأرقب، نحو الصغيرة تحديداً، في النهاية فطرة
الأنثى الكارهة لغريمة موجودة حتى لو كان طموحها
ملكياً.

- ماذا لو تزوجتني أنا؟

التمعت عيناها وهي تنطق بها.. قالتها بنبرة حارة مباشرة
تحمل الكثير من الأحلام الخطيرة.

لوى ثغره بتجبر:

- طموحاتك أعلى من إمكانياتك يا "سيراب".

لم تنتهِ الفقرة هنا، الخاتمة ليست قصفاً مبهجاً أو سطرأً
أخيراً في رق مسلٍ. هي تفاوض، تبحث عن ثغرة..

- إمكانياتي مختنقة حال عشيرة الساحرات منذ توليت
أنتَ حكم يودوس.

قالتها ببأس قاتم، لقد تحول أغلبهنّ على مدار السنوات
إلى مهرجات بمظهر درامي، تعاويز الحب والزواج
والحصاد. لم يكن من المسموح أبداً أن تصل إحداهنّ إلى
قدرات "حرير"، فالحاكم حين ينتصر يتخلص من وسائل
جبروته كي لا تصبح أداة هزيمته بعد ذلك. ابتسم وهو
يدرك كل ما يجول في نفسها، وقال بهمسٍ مثل لحظات
ما قبل الاقتراس:

- وماذا لو عاد إليك بعضها ماذا ستفعلين؟!

- سأبهرك.



الوليمة على وشك البدء، والمائدة مهاجها ابنة "ضوء قر".
عيناه تشع ببريق الشمس نفسها، أعماقه مجهول قاتم فتاك!
حوار شائق بين أكل قلوب وامرأة تشبه لدغة عنكبوت
سام. ابتسم ابتسامة شبيهة بتمزيق السيف للحم البشري، ثم
رمقها بنظرة مفتتة للأعماق وهو يتخطاها نحو جدار انفتح
بشكل ما عن خزانة سحرية، داخلها كان يرقد حجر أزرق
وقد صُمِّمَتْ على حوافه مساند من الذهب الخالص نتجت
عنها أربع سيقان رفيعة تمثل له حاملاً. في حين تبدو قمته
مثل عنق زجاجة رفيع نوعاً ما حاد من جميع جوانبه.
بدت حدقتها مثل حفرة نار وهي تنظر إليه أخيراً، في
حين اتسعت ابتسامته هو وقد دلا ما يثير لهاثها.

- حجر الدم الأزرق.. أمنية الساحرات.

تنفست بصرامة جائعة:

- هذا.. إن علمن بوجوده.

هنا التمت عيناه مثل برق غيمة:

- وكيف تعلمين أنتِ بوجوده يا "سيراب".. فدماء

التاريخ لم تجف على المعبد بعد.

ثم قهقهه بقوة مزلزلة:

- هل ظننتِ أنني لا أدرك سبب لهائك وراء العناكب،

ولكنها قوة منقوصة وأنتِ تعلمين هذا.. لا تضاهي قوة هذا

الحجر.



بصعوبة عادت إلى ثباتها، لفت فوق سبابتها خصلات
شعرها الأسود اللامع ثم استعارت ضحكة نصر:

- يبدو أن طرفنا ستتلاقى.

- استفيقي، أنا البارود، يودوس كلها ملكي وأنتِ تبحين
عن زقاق يناسبك.

ابتلعت إهائته وسطوته مضطرة، هذا الحجر هو أسطورة
الساحرات.. حقيقة خبأها البارود حتى اندثرت واختفت
ولم يعد يعلم به أحد، ولهذا كان البارود حريصاً على دماء
تاريخه. حجر القوة الكاملة من دماء عناكب سحرية. وجدته
"حرير" في الغابة المحرمة ونالت بسببه قوتها.. حتى حدث
المجهول القائم الذي لا يعلمه أحد واختفى في حين سقطت
هي في البئر.

- كيف علمتِ بشأنه؟

هنا كان هسيسه خشناً مسمماً، أنامله تضغط بقوة على
عنقها وعيناه ترمقانه بشهوة إلى الدماء.. يستطيع أن يمضغ
قلبا في لحظة لو أراد. تجمدت عيناها للحظات.. "حرير"
لم تخبرها بشأنه.. الخبيثة لها خططها بدورها، ولم يجرؤ
تاريخ من تواريخه على كشف السر.. لقد علمته بطريقة
غير متوقعة.. الظل.. الشبح المنبوذ حين علم أن أمها آخر ما
سيناله ثرثر بخيبة، كان حزيناً على مصير الصعلوك الذي
سيعود إليه بعدما أعطته "حرير" رفاية الظل الوحشي.
غرف من ذكرياته حكاية عن حجر نادر، قوة "حرير" التي



وجدتها في الغابة المحرمة. حجر مسحور من دماء العناكب يعطي الساحرة التي ترتشف منه الحكمة والدهاء والسحر المحرم. احتفظت بالمعلومة لنفسها وتمنت لو ظهر الشبح من جديد مرة واحدة فقط كي تقتله وتضمن أنه لن يثرثر بهذا لأحد. بعينها الكحيلتين ناورت تكذب وكانت تعلم أنه يعلم أنها تكذب.

- "حرير" أخبرتني.

انفعال أحدب ساخر أطلّ من ملامحه:

- سيرة تلك العجوز تكسر قلبي!

ثم تجعد جبينه بانهيار هازئ درامي:

- أم تحارب ابنها، إنها نهاية العالم. ألم تخبرك أنها صاحبة الفكرة.. فكرة قواكم المنقوصة.

ابتسامة قائمة مهترئة ارتسمت على شفيتها:

- أعلم.

- وهل يعطي الأسد فرائسه للحمار يا "سيراب"؟

حدقت إلى وجهه بعينين جامدتين وحقد مدفون، ماذا تريد "سيراب".. تريد كل شيء، تريد المينوتور، تريد الحكم، تريد أن تصبح ملكة. صمتت لوهلة ثم نطقت بصوت ثقيل:

- أنا خادمتك.. سأفعل حقًا كل ما تريد.. سأخبرك



بمكان المعبد.

عقد حاجبيه بتهم:

- وسيف الأرقب.

والتعت عيناها هي بشهوة الطمع وهي تنظر إلى الحجر:

- سأتحمل المخاطرة.

وكان حريصاً جداً، لم يسمح لها برشفة كي لا تنال قوة "حرير" نفسها ولو لساعات، فقط لعقّة.. مدت لسانها سعيدة وصاغرة لظهر يده بعد أن سكب قطرة واحدة من الحجر المنشود. قطرة كانت كافية للتعويذة التي يحتاج إليها.. التعويذة التي ستقلب الطاولات جميعاً رأساً على عقب.

ثمار المعرفة متعددة.. منها الناضج، منها المعطوب، ومنها

ما لم يظهر بعد!

هل اكتشفت الكتب أم اكتشفت نفسها؟ من عينيها أطلّ سلام ناعم، نتابع الأخبار كثير عليها.. عمت الفوضى يودوس فجأة وتناثرت الشائعات عن عدم التزام "شاهق" بالقوانين وقتله من طلبوا نهاية. اندفع الشعراء المأجورون يهاجمون عائلة الأرقب كلها وقيل إن رجال "شاهق" فرّقوا جموعاً هائجة من المتمردين أمام منزله. ولكن هذا لم يثنه عن قراره، هو فعلاً سيتزوج نهاية وفي زفاف ضخم.



في معطفها الفضي البراق وهيئتها الجميلة رغم شحوب بشرتها ووقت "بداية" إلى جوار أختها، تابعت زينتها بنفسها.. بدت "نهاية" باهرة بثوبها الأبيض الناعم وخصلاتها المسترسلة حول وجهها في إطلالة ملائكية، ساكنة وخائفة ومتوترة وسعيدة وروح ضوء القمر تطل على اللحظة.

- لو رأتكِ أمي الآن لا ابتسمت كما لم تبسم من قبل.

حين قالتها "بداية" ظهرت العبرات على الفور في مقلتي "نهاية" الحائرة، عانقتها "بداية" على الفور بلهفة:

- لا.. لا تبكي.. أنا آسفة، فقط ذكرياتنا مع طقوس

الزفاف ليست جيدة.

من داخلها تؤمن أن "قلب" حية، نبوءات "حرير" تختارهنّ واحدة تلو الأخرى لمصير، ولكنها مؤخراً بدأت تخاف تلك المصاير، من داخلها تمني بكل ذرة في مكانها مرور تلك الليلة على خير.. هي خائفة بل مرعوبة، خاصة حين علمت أن البارود قادم وقرر حضور الزفاف بنفسه.

"شاهق" عنيد.. "شاهق" رجل المتاهات في جعبته قوة قادرة على حماية "نهاية". ولكنها ما زالت خائفة، الموكب لم يقل في نخامته عن موكب زفاف البارود، الفارق أن الساحرة لم تكن حاضرة.. خرجت "نهاية" من بيت "شاهق" وبدا هذا غريباً ولكنهم توقعوا أن يدور الموكب في الميادين ثم يعود إلى المنزل نفسه، دفع العامة بعضهم



بعضاً للمشاهدة.. مؤيدو "شاهق" وعائلة الأرقب لم يكثرثوا بأقاويل كسر القوانين وقالوا حقه حماية ابنة عمه، ولم تكن كل الأقاويل كاذبة ف "شاهق" قتل أول طالب فعلاً، والمعارضون أخرجهم البارود بعدما غذا احتياجاتهم كعادته في الحكم دوماً وأعلن حضوره ومباركته الزفاف بنفسه!

هي معركة صيد عصفورة من قفص صيادها إذن

العيون تحديق.. تراقب.. خرجت كي تستقلَّ عربتها وبدت لناظرها مثل ماسة.. ماسة من لحم حي، حواف الطريق نُثِرَتْ بالفضة اللامعة وصرَّح "الأرقب" أنها ملك للحاضرين بعد انتهاء المراسم، كان الجميع يتدافع للمشاهدة من الصف الأول ونيل أجزار كريمة لا بأس بها. فضول موازٍ بالقادم.. توقع البعض أن يختطفها البارود في مشهد مشابه لما فعل جباره مع "قلب"، ولهذا تدافعوا طمعاً في المال والإثارة.

حين أمسكت "بداية" بيد أختها كي تساعدتها لتستقل العربية لاحظت أنها باردة كالثلج، أنفاسها نتابع وقلبا يركض. عروس صغيرة جداً على كل شيء، الآن تتفهم عشق "شاهق".. صبره عليها كل تلك المدة. "نهاية" هشة جداً ورقيقة جداً.

أرادت أن تستقل العربية معها ولكنها شعرت بيد "بارق" يمنعها بحكمة وأنانية تخصه، لم يكن يتبغي ابتعادها عنه، وكان يعرف أن "شاهق" لن يجازف بعروسه رغم جسارة



ما فعله.. وبين حيرتها وتثبت "الراعي" بها لاحظت تجمد
جسد "نهاية" بل تصلبه ككل حين دخلت إلى العربة.
فقد كان "شاهق" ينتظرها بها.

غابت الساحرة وحضر البارود.. غابت الساحرة والأرقب
بدوره له مفاجآته.

حين انطلقت العربة ظن البعض أن حادث اختطاف
"قلب" سيتكرر من جديد، ولكنهم سرعان ما أدركوا
أن قائدي العربة والأحصنة التي تحيط بها من رجال
الأرقب، وأن "شاهق الأرقب" بنفسه جوار عروسه في
العربة. كان الموكب ضخماً، حراسة العربة وحدها ثلاثون
فارساً، هذا غير من يتحركون حولها ويسيطرون على جموع
الناس. راقصات في المقدمة وشعراء يعزفون أغانيهم،
وبهلوانات وثلاثة أفيال تسد الموكب من الخلف كي لا
يلحق أحد بهم.

ابتسم البارود بتهم لم يكتم اغتياظه:

- "شاهق" ما زال قادراً على إبهاري.

كان فوق حصانه مثل فيلقه الأول، حتى إنه لولا إعلان
قدومه لما عرفه الناس، تكاثرت الفتيات في هوس كي
ينظرن نحو وسامته مع أمنيات الحمقاوات منهن لو رآها
وداوت قلبه الذي جرحته "قلب"! لولا أن مزاجيته لا



تريد النساء تلك الليلة لاختطف عشراً وقلب سعادة
مناهضي الأرقب إلى بؤس يستحقونه. مثل اختفاء موكب
"شاهق" سريعاً تبخر أيضاً البارود ورجاله.. تكاثر الطامعون
على أبحار الفضة وسدت الأفيال الطريق في سطوة. معركة
نائمة قريباً ستستيقظ ونال "الأرقب" جولة واختفى بعروسه
بعد الرسائل المبطنة من البارود.

شعراء مع هزيمة الحاكم المستترة وشعراء ضدها، أكل
كل مسيره إلى منزله، أصابهم إعياء الزحام ولوثة الطمع،
تحدثوا عن جمال "بداية" وسيطرتها على "الراعي" مهووس
جثة زوجته السابقة. كل هذا وكانت الشوكة التي تحتل
ذهن "شاهق" ما زالت حاضرة

اختفاء "سيراب"!

هو رجل المتاهات. قادر على خوض أكثر من حرب
في لحظة واحدة، وخوض العشق! ضغط على يدها بقسوة
هادئة مقصودة، في حين كانا يترجلان عن العربة، كانت
في مكان غريب منعزل، منزل نخم بحراسة خاصة يبدو
وكأنه إحدى متاهته بعد طريق متعرج صعب تتبعه..
خطوة واثنان وهي خلفه كالمسحوبة وجدت نفسها
بالداخل.. بغرفة خشبها دائئ له رائحة عطرة تجمعها معه.
كانت أنفاسها متسارعة بشكل يفوق تحملها، عيناها تهرب..
عقلها يهرب مما هو فوق احتمالها. اقتراب منها فأجفلها..



مرّر سبابته ببطء على طول ذراعها ثم قال بنبرة رجل تائه،
و"شاهق الأرقب" لا يتوه، الجميع يضل في متاهاته:

- جسدك دافئ!

كان مباشراً بشكل أنجلها، فظاً.. تشع من عينيه الرغبة
التي ترعبها، تلفتت حولها.. تأملت كل شيء في ردّ فعل
هي نفسها لا تفهمه، حواف الطاولة الخشبية المصقولة..
خشونة النقش على الجدران.. الضوء الخافت المنبعث من
الشمعة الأخيرة التي تركها.. وملامحه الداكنة المصقولة
في الظلام. شهقت بعجز هو يعلمه تماماً، يسيطر عليه بفرقة
إصبع:

- أرجوك اخرج.

ابتسم لها ابتسامة صعبة، قال بنبرة ساخرة خشنة:

- لا.

شعّت من عينيها نظرة براءة يائسة..

- أنا خائفة منك يا "شاهق".. أرجوك.

في صوتها خلاصة النجل.. والخوف.. والفتنة! في صوتها
ألف حكاية. في صوتها ممارسات الحب السبع.. بصر
وهمس ولمس ووفاء وتضحية وقُبلة.. ثم اجتياح كامل.
اقرب منها، كانت عيناه تخترق كل شبر فيها، يمر عليه
بتأنٍ ينخص رجلاً بامراته. المرأة الوحيدة المسموح لها
بتخريب وقاره.. طارت حروفه تلامس شفيتها:



- وأنا خائف منك يا "نهاية"!

كانت أضعف من استيعاب فحوى كلماته، هي الموصوف التائه في دوامة الواصف. اقرب فحاصرها حتى أصبح بين كليهما والفراش خطوة، عيناها ارتفعت نحوه في عجز، ويكانها كله يرتج رجاً.

- خائف مني؟!!

توهجت عيناها، مال نحوها أكثر فانتفضت.. تلك المرة كان يتفنن بمزاجية في نيل لحظاته معها.

- جداً!

اختلط ماضيها بأحلامها، سيطر عليها عبقه فباتت في لحظات له ومنه، ضربات قلبها تنتفض ذعراً وعشقاً. تدفعه وفي اللحظة نفسها تنتمي إليه.

بعدها.. نامت بين ذراعيه مثل طفلة. كانت عيناها مع سقيفة غرفته وذراعه ممتدة وهي مرتاحة عليها برأسها، مستغرقة في نوم عميق ومنهكة من معركتهما الخاصة مثل ضحية صغيرة لطيفة، شبه ابتسامة رائقة مرت على طرف شفثيه وهو رجل لا يتسم بسهولة أبداً. مدّ سبابته فعدّل خصلة ناعمة كانت تميل على صفحة وجهها الناعم، ثم مال من شفثيها يقترب، يمرر قبلات خفيفة هادئة بعيدة عن جنونه في البداية معها. حين فتحت عينيها كانت ما زالت في طور الصدمة. هو حقاً يوقظها بقبلاته! "شاهق" يوقظها بقبلاته.



كل شيء خارج تلك اللحظات بدا لها صمًا مطبقًا، وكأن
العالم في الخارج انتهى، يودوس تبخرت والبارود أكله ذئب
وكل شيء بات هو.. كل شيء بالنسبة إليها هو "شاهق
الأرقب".

حوافر خيل تشق الطريق، جدول مياهه سوداء، أشجار
ضخمة دون أفرع، تنبتق الأوراق من جذعها مباشرةً.
ظلمة ممزوجة بفضاء السماء الفارغ دون قر، قصر منعزل
بعيد لا يعرف بوجوده أحد تحرسه سبعة تماثيل مينوتور
حيةً وضحكات كئيبة تقودها عذراوات جوراء جيش
البارود السري!

درج خشبي ملتف يتلوى نزولاً حتى قبو مظلم، عناكب
ترقص في جوانبه وجسد منكمش على فراش صغير
جانبي. اجذب الانتباه نحو العصفور ثم انقض على اليمامة
احذر بارود

عيناه ضوء سام، وابتسامته تواجه غنيمته.. اليمامة.

"بداية" .. "بداية الراعي"!



الفصل الخامس عشر

"ها"

كتيبة تصرخ.. الحماس في جيش "جبار" لا يوجد
مثيل له، الأسود يتوهج على دروعهم ونصال السيوف
معزوفتها قتال شرس. جواره كانت تقف في نحر، عيناها
تراقب كل ما حولها بحماس، وحدة أسنانها تضغط فوق
شفتيها رغماً عنها حين يأخذ يدها على غفلة فيضغط فوقها
بأصابعه. غمغمت بلهجة واثقة هاربة من هذا المنجل الذي
بات يلازمها معه:

- إنهم رائعون.. شعلة حماس.

قال بفخر وعيناها معهم ليس كقائد جيش.. بل أب.

- إنه جيش "جبار".

نظرت نحوه باهتمام وقد عادت كلمات "رام" لتكرر في
عقلها، "جبار" يفهم توضيحات المعارك ولا يبالي بها.
هل من الممكن أن يضحى بهم! هل الانتصار يستحق
كل التوضيحات الممكنة؟ لا تعلم لم لحظتها التصقت به،
حاوطة ساعده بكلتا ذراعيها ثم أسندت رأسها فوق
كتفه، جبهتها متغضنة يفكر في ألف شيء وقلبا معه.. هذا
الرجل الذي أصبحت أثنائه بشكل كامل.. هذا الرجل
الذي سلته جسدها وقلبا.. هذا الرجل الذي اختطفها
بكل ما تحمله الكلمة من معنى. قالت باعتراف مبحوح:



- هل تعلم.. الآن أخافك.

رفع حاجبه الأيسر في نصف غرور وتعجب كامل..
"قلب" العنيدة تخافه، همس وهو يضمها نحوه:

- أهذا مدح أم ذم.

- كلاهما!

ضحك بقسوة:

- "القلب" لا تتغير.

ضمت شفيتها معترضة:

- ألا يعجبك؟

- لدخل إلى القلعة الآن وأريك كيف يعجبني.

فغرت فاهاً من وقاحته وحاولت أن تتخطاه، لم تكن قد
مضت ساعات على لقاؤهما الأول كزوج وزوجة.. كانت
خائفة.. مترددة.. وتريده، لا تعلم كيف مر الوقت، لم
تكن تتصور أن تقضي ليلة زفافها في خيمة قائد جيش
جوار سيفه وقوسها. أن تتشبث بقسوة ملامحه في الظلام
وتسقط بإرادتها الحرة في الخندق.

مالت شفته بعدها بمكر:

- هيا.. اذهبي إلى غرفتي وارتي شيئاً جميلاً.

مرحباً بالسقوط تحت سطوة رجل. هي.. "قلب
الأرقب"



وكانه يتعمد استفزازها. ابتسمت بشراسة وتخطته بعدما داست بكل قوتها قدمه والتي كانت بالنسبة إليه لا شيء طبعاً، ثم قالت متحدية وتدرّك تماماً ما تنوي فعله:

- في انتظارك!

"قلب الأرقب" لن ترتدي ثوباً فاحشاً.. لا يناسبها الأمر، هي محاربة. نشوتها قوس وسهم. كانت تجلس على الفراش بعدتها الكاملة.. وتمسك بالقوس. استعدادها شقي يناسبها.. باب يُفتح.. وسهم ينطلق فجأة جوار رأسه تماماً.

وسط انتباهه بإعجاب قالت متباهية:

- أغلق الباب.. لنلعب لعبة.

مط شفّيته بتسليّة ثم رفع كفيه مستسلماً وقد تخلّى عن عدته، سيفه ودرعه وخنجره، ثم وقف وجعل الباب خلفه. نظرتها توحشت مثل غابة كاملة ولكنها ما زالت غابة لطيفة كان اصطیادها بها للطيور والجنیات.

- ما رأيك بعد كل سهم قريب من رأسك سأسألك سؤالاً وتقول الحقيقة.

غامت نظرتة بضيق طفيف:

- كانت لي ترتيبات أخرى تماماً.

ناوشته بجرأة:

- حسناً مع كل سهم بعيد عن رأسك سأخلع قطعة من



ملا بسي.

هنا غابت الحمرة من فوق وجنتيها.. سيطرت عليها،
وكانت تثق أنها لن تُخفق.. ولو حتى أخفقت ستفعلها
دون نجل.

السهم الأول..

جاور أذنه تماماً حتى كاد يجرحها..

تشدقت:

- ها.

التمعت عيناه بتقدير:

- تفضلي.

- ما خطة المشعوذ؟

قالتها فجأة.. مررتها سريعاً وكان يتوقع منها هذا، إلا أنه
لم يتوقع أن تبدأ بهذا السؤال.

قال بهدوء صارم:

- القضاء على البارود.

تخابث فلم يزد، غضبت لأن تلك لم تكن الإجابة التي
تبحث عنها:

- تراوغ.. لم أسألك عن هدفه بل خطته.

رفع كتفيه بلا مبالاة:



- لدي جيش.. لديه جيش.. لدى "الأرخب" جيش
ثم...

أطلق صغيراً هادئاً وتابع:

- المواجهة.

بسرعة سحبت سهماً جديداً، أطلقتها تلك المرة بسرعة
ولكن دون أن تفقد مهارتها فكان فوق رأسه مباشرة:

- هل من الممكن أن تضحي بالنغول؟

غامت عيناه تلك المرة بتعبير آخر تماماً.. تعبير مجهول لم
تفهمه.. تعبير مخيف!

أما صوته فبدا قادماً من خندق غامض:

- الحرب لها مجازفتها.

- و...

بتر عبارتها بحزم:

- سؤال واحد.

تشبثت بمعاندتها رغم غضبه.. سريعاً سحبت السهم
الثالث، أطلقتها بحرفية جوار عنقه تماماً:

- هل تكرر تجربة الصفوة.. تجازف بكتيبة كاملة.

- نعم.

لم يتردد.. جوابه ضربة سيف قاصمة لمحارب يفهم معنى



المعركة، لم تكذب "رام"، "رام" تفهم قائدها. أما هي..
فليس بعد.

انطفأت عيناها وهي تحادثه:

- الحرب قاسية.

أما هو فردّ بنبرة ميتة:

- البارود شر وأي شيء للتخلص منه مباح.

لوت شفتيها بحكمة ساخرة:

- عبارتك ضوء وظلام.

ردّ بإيقاع صارم:

- نحن نحتاج إلى الشر أحياناً كي ينتصر الخير.

ثم عقد حاجبيه سريعاً بضيق فاستدركت، أرادت سهماً
رابعاً، إلا أنه لم يسمح لها.. اقترب منها وكسره.

تراجعت إلى الخلف بمعاندة:

- لم يكن هذا اتفاقاً.

التمعت عيناها بظلمة حاسمة:

- ولم يكن هذا ما جئت من أجله.

تلك المرة دفعها بقسوة على الفراش ثم احتجزها تحت
ثقل جسده، حاولت التملص.. من داخلها كانت مؤمنة
بنهجه. تعلم قسوة التضحيات، ولكن شعور الأنثى داخلها



ينتصر.. ينتصر ولا تقبله، دفعته باعتراض ولكنه قيد
معصمها، اقرب من شفيتها حازماً، نص القوانين فوق
شفيتها في البداية ثم جسدها وروحها.. همسه يناها بسلاسة
كما يفعل هو.. يمتلكها بالقوة.. بالحكمة.. وبالعشق.
والعبارة تحمل معاني كثيرة.

- أنا رجلٌ آخذ ما أريد مهما كان الثمن.

والباقي في صدره.. في الخندق.

لو علمت دورها في الحرب ستكرهه إلى الأبد.

يودوس

وطن السحر الخبيث الذي منعه البارود.

هكذا قيل لهم. هم شعب تحت الوصاية، حتى الغبار
الذي يحمل تاريخهم تنفسه مینوتور. السحر هو الخراب
والقوة. حجر دم أزرق. كان الحجر ملكاً لـ "حرير"، بواسطته
استطاعت الوصول إلى سر تعويذة المينوتور الحي وتعاويز
أخرى خطيرة. ونقطة واحدة أعطت "سيراب" سحراً
خطيراً، امرأة تُستبدل بأخرى تشبهها تماماً. عقل ودماء
وروح! تجسد كامل مخيف لدرجة أن "الراعي" لو عاشرها
حتى لن يلاحظ الفرق. فعلتها مع إحدى خادمتها، لحم
بشري متاح التضحية به بلغة البارود، فالتعويذة حين ينتهي
مفعولها تموت البديلة.



تنفس باستمتاع، كانت النشوة تندفق داخل شرايينه..
تنفس بانتعاش وكأنه يتنفس نسيم البحر ثم قال وعيناه
تضيقان بهدوء رائق:

- مرحباً "بداية".

كان التهم واضحاً في قسما ت وجهه، أما هي فلم تكن
تنظر نحوه.. كانت منكشمة.. متجمدة، تمكن منها الرعب
مع سماع الضحكات المخيفة لعذراوات جورا. تمكن منها
التشتت، التيه ربما بسبب السائل الذي دسه امرأة عجوز
فجأة في فمها حين ابتعدت عن "بارق" للحظات كي تلقي
على "نهاية" نظرة أخيرة. وانتباه بعدها صادم كئيب..
أنها رهينة للبارود.

ضحكته الرنانة جلبت حولها، سبابته امتدت كي تلامس
صفحة وجهها فانتفضت مبتعدة، هسيسه ضرب كل
مواطن الخوف في جسدها:

- ما رأيك أن نمضي بعض الوقت معاً.. تعويضاً عن
عروسي التي هربت!

انتفضت ولكن ليس برعب، بل قوة. هي ابنة
"الأرقب"، زوجة "الراعي"، أخت "قلب".. لن تُهان
على فراشه كي يثار بحقارة منهم جميعاً.. جحظت عينها
الصغيرتان وهي تنظر نحوه مستدعية كل شجاعة ممكنة رغم
أن نبرتها رغماً عنها ارتجت:



- وهل أنت مغتصب للنساء يا حاكم يودوس؟
مطّ شفتيه بتفكر حقيقي متجاهلاً الاحتقار في مواطن
كلامها:

- ممم معك حق، هل تعلمين لم أفعلها أبداً، في العادة
تأتي المرأة طائعة وبعد لحظات يُعجبها الأمر.

ثم التمت عيناه بقسوة:

- إلا أن النهاية لا تعجبها.

انتفض بعدها فجأة بوثة فأصبح معها على الفراش،
جسدها كله ارتعش من المفاجأة، ويا للأسف تبددت
شجاعته. مال برأسه مثل حيوان ليلي ثم أردف وهو يمر
بسبابته تلك المرة على جسدها كله ولكن دون أن يلمسها.

- لا أصدق أنك بتلك السذاجة.. ابحي عن عبارة
أخرى تبهرني.

كانت تتحاشى النظر نحوه، تنكمش أكثر وأكثر مبتعدة
عنه قيد استطاعتها، بدا المشهد حقاً مثل يمامة في حضرة
وحش. تابع وقد التوى ثغره بشرّ خبيث:

- استعيري بعض كلمات الرقوق التي تقرئينها.

قُضِيَ الأمر

نبوءة بدلت حياتها، وصندوق ممنوع كانت قد بدأت
تخافه، فالمعرفة تحمل كل المجازفات الممكنة. رفعت عينها



نحوه فوجدت شراً قائماً، انتباه وتحفز ومناورة كي يعرف ما اكتشفته فعلاً. ما لم تصارح به أحداً حتى "بارق" نفسه خوفاً من أن تكون الجدران نفسها جواسيس.

الرقوق المسحورة!

أدارت وجهها مبتعدة بنظرها عنه فتابع وهو يديرها بقسوة نحوه:

- ماذا هل ترين ما لا يعجبك؟

ثم مط شفتيه بجنون العظمة نفسه:

- ما ترينه يا عزيزتي يستطيع الفتك بيودوس كلها.. أنا أترككم فقط للتسلية.

دون مقدمات بعدها وبسلوك صدمها وجدته يستقيم من على الفراش ويسحبها معه من خصلاتها بعنف، صرخت من الألم رغماً عنها، تحاملت على خطواتها رغم التعب الشديد الذي تشعر به، ولكنها لم ترغب أبداً في السقوط أمامه متممة الأمر بسحلها، دفعها أمام مرآة.. كانت ترى وجهها وخلف منها وجهه، التقاء نظرة خير بشرٍ، تضحية بأنانية بحتة، براءة بنجث..

لهت في تعب رغماً عنها:

- لا أعرف ما هذا الذي تتحدث عنه.

اقرب منها حتى كاد هسيسه يلامس جانب شفتيها:



- بل تعرفين تمام المعرفة، ولكن يبدو أنك تحبين اللعب،
لنلعب قليلاً.

حين دفعها بعدها شعرت وكأنما العالم أظلم بشكل
ما، أسوء التصورات مرت في ذهنها ولم يكن الموت
منها، ملتصقة بالحائط راقبته يخلع قميصه، ينظر إليها نظرة
أرعدت فرائصها، يتأمل نفسه في المرآة بنرجسية ثم يفرك
لحيته ويقول ببساطة مدمرة:

- لقد طالت لحيتي!

وبعدها من جيب بنطاله أخرج شفرة، بللها بالماء وبدأ
يجز لحيته ببطء.. مزاجية خاصة، عيناه تنتقل من التركيز
التام مع ما يفعله ثم إليها.. عيناه تلتمع بشراسة ثم يفرقع لها
بأصابعه:

- تعالي.. افعلها أنتِ.

في حضرة البارود المنطق فاسد، عاشره الوهم وأكل
قلبه.

وسط تجمدها تقدم، سيطر على رسغها وأجبرها على أن
تُمسك الشفرة، وبيطء هادئ مثل أنفاس أشباح تائهة في
سراب أسود بدأ يحرك يدها المسككة بالشفرة على لحيته،
عنقه..

- هل تمتلكين الشجاعة؟

كان يلاعبها.. هو يعرف تماماً أنها لم تكشف سر خلوده



بعد، فهذا من جعبة الأسرار التي أخفتها "حرير" في رقوقها المسحورة. أسرار تستطيع قراءتها امرأة واحدة. "بداية" التي تسلت لها نبوءتها في غفلة منه.

كان يثق أن مباركة "شاهق" على زواج ابنة عمه بـ"الراعي" ليست رضوخاً، الأرقب يخطط على مهل. ولكن على ما يبدو أن "حرير" كانت حريصة في تمرير نبوءة تلك الفتاة وفعلتها بسرية خبيثة. وكر "الراعي" كان مثاليًا لإخفائها مع رواية الخائنة التي يجبس جثتها ويعاشرها كل ليلة، لم تعجبه الرواية ولكنها بدت منطقية مع ضعف هذا "البارق" نحو النساء. فجأة وبينما كان يسيطر على يدها كي تحلق هي ذقنه توقف بعنف، هرس رسغها، حرك يديها بقسوة كادت تكسرها ثم وضع الشفرة على عنقها هي..

نبرته مثل شراسة مذبحة وعيناه تبرق مثل بحيم كامل:

- كيف فاتني الأمر! هذا "البارق" سيدفع ثمن خديعته على مهل.

وكما ثار فجأة هدأ فجأة، ابتعد عنها.. ألقى بالشفرة في ملل، ابتسم لاويًا ثغره بتهمك:

- ولكن هذا هو الصواب.. لن ينتبه الملك لقاتل كلاب.

- ذئاب!



قاطعته وقد دبت فيها حمية الدفاع عن زوجها، لن تسمح
له بإهانة "الراعي" لن تسمح أبداً.

مط شفّيته بجفاف ساخر:

- يمامة عنيفة! تعالي!!

وجأة دفعها أمامه.. أخرجها من القبو، وبعد صعود
درج تلو درج وجدت نفسها في غرفة أخرى، ضخمة جداً
تبدو مثل بهو قصر وتحتوي على فراش أسود. كل شيء
فيه أسود، الخشب، الوسادات، الشرافف.. كانت الغرفة
خالية من أي شيء سوى هذا الفراش وصندوق زجاجي
فوق طاولة من الذهب. صندوق يحتوي ريشة!

في حكاية منفية نالت ساحة قوة جبارة فلعبت لعبة
التعاويد.

من النافذة الباردة تظهر عدة نجوم، ضحكات عذراوات
جورا بشعة، أنفاسها تخنق وهمسه جوار أذنها ينص
حكاية:

- كانت "حرير" امرأة التعاويد، بها كتبت النجاة واللعة.
ومن تعاويذها رق مسحور، صفحته فراغ لا يمتلئ سوى
بجبر خاص جداً، دماء أنثى وتقرأها أنثى..

دار حولها ثم شد خصلة من خصلاتها باستمتاع وتابع:

- وها قد وجدت القارئة.. باقٍ صاحبة الدماء.

تناثرت حروفها من شفّيتها بصعوبة ولكن بصرامة..



فات وقت الهروب:

- كيف علمتَ بشأني؟

رفع حاجبيه ببديهية رائقة رغم الغيظ المكتوم بداخله:

- مسكينة أنتِ مجرد وسيلة جديدة لـ "حرير".

تجمعت جبهتها في قلق والتهيه يحكمها، حكم قلبها "قلب" التي ركضت خلف نبوءتها.. ولكن هل نال تيه من "شاهق" مثلاً! عادت بكل انتباهها في حين عزف هو حروفه بشفتيه:

- لم تخبركِ عما ستجدينه، لم تخبركِ أن الرقوق المسحورة مرتبطة بريشة، إذا ما فتحتها صاحبة النبوءة اهتزت الريشة باحثة عن الخبر.. عن الدماء، وكان الباقي مجرد ترتيب أحجار وطائر التاج الذي تجسس على غرفتك العلوية.

في نبضها صدمة، قلق وخوف.. غضب وتيه.. الأحداث تترابط.. الرقوق المسحورة في الحجر.. قلب الراعي، نبوءة "حرير" لها، العبارات المنقوصة..

- أنتِ لي يا ابنة الأرقب حتى تلتقي الريشة بالدماء ولن يكون هنا.. بل في المعبد!

صوته قطع أفكارها وكان هو يلامس رغباته، فعلتها "حرير".. وصلت إلى نقطة كانت بعيدة عنها، كم مرّت من سنوات لهذا المنال.. اللعينة الصبورة.

التعاويد سحر خبيث لا يجوز تفسيره على اللسان، يجب



إخفاؤها، دفع الثغرات للبحث، للحفر عن نجاة التخلص
منها وتحقيق عدالة ظالمة جديدة. اللعينة.. لقد ظن أنه
تخلص منها حين دفعها في البئر، ولكنها أخبت مما تصور.

مجبولة على الاستماع تجمدت، لم تكن تعلم أي معبد
يتحدث عنه، ولم يكن هو يعلم أنها وجدت عبارات
منقوصة اكتمالها في هذا المعبد.

انقبض قلبها فجأة، عن أي دماء يتحدث.. عادت كلماته
لترن بظلمة في وعيها:

"دماء أنثى وقرأها أنثى"

هي القارئة. وهي قاب قوسين أو أدنى من ظلمة، حيث
الأخرى احتمال أكيد. أختها الصغرى التي لم تنل نبوءتها
بعد. وهسيسه جوارها قاتم وكأنما يستمع لأفكارها:

- نعم.. "نهاية!"

السر الذي ظلّ لسنوات طويلة يبحث عنه والذي لن
ينكشف سوى من دماء ينخرها سيف الأرقب!

عيناه لم تعد تندمج باللهيب الأزرق، بل يرقص فيها لهب
داكن..

احذر بارود.. بل احذر راج يحترق!

نصف يوم تقريباً، ابتعدت عنه بعد الزفاف بذريعة وجع



رأس، ثم تمللت بحنو ونامت بين ذراعيه! دفن رأسه في صدرها، ثرثر معها كما يفعلان كل ليلة، ولكن بدا أنها لم ترغب في الحديث. لم يكن يعلم أن زوجته التي معه مجرد نسخة مسحورة، الروح والمذاق والرائحة أنفسهم، الثغرة الوحيدة المعرفة.. هذا ما يفشل السحر في الانتصار عليه. نصف يوم تقريباً.. عاشرها! نالها بكامل منال الرجل لزوجته وعندما استيقظ مع خيوط الشمس وجدها جواره عارية شاردة، خادمة ساحرة تجيد فن التضليل فلجأت إلى الفراش كي تخفي جهلها بأسرار الراعي، خادمة لم تكن تعلم أن التعويذة التي تمكنت منها قاتلة، وأنها بعد وقت قليل ستتحول إلى جثة. ملعون فراش الراعي بالجثث.

- ما بك؟

- لا شيء.

- جائعة.

- جداً.

- سأطلب منهم تحضير الفطور ولكن بشرط.. تقرئين لي أولاً، تلك المخطوطة الأخيرة أثارت انتباهي.

زادت أنفاسها رغماً عنها، تذكرت تعليمات "سيراب":
"لا ثرثرة". فقط تصمد نصف يوم تقريباً. تأملته بصمت، كانت القوة تشع منه من قمة رأسه حتى أحمص قدميه. ومع هذا يبدو حانياً جداً.. مخطوطة تلك المرأة التي معه. وسط تأملها نظر نحوها بتعجب:



- تهريين؟

ابتسمت بنجلها المعهود:

- لا.. ولكن لنا أكل أولاً.

رائحة اللحم المشوي بعدها بوقت قليل اخترقت أنفها،
أجلسها إلى جواره وشرعا في تناول طعامهما، كانت تفعل
كل شيء وكأنها "بداية" تماماً. النظرة.. طريقة مضغ
الطعام، قبلايتها له في الليل. حتى ابتسامتها الرائقة الشاكرة
للخاديات وهن يضعن الصحون أمامها.

ثغرة واحدة فقط عجلت بالأمر. ليس القراءة كفكرة
فتلك المعرفة مررتها "سيراب" في التعويذة، ولكن
المعرفة.. المحتوى.. المخطوطة التي يتحدث الراعي عنها.
كانت مخطوطة شاردة.. وجداهما وسط الرقوق الكثيرة
ولفتت انتباههما، كانت "بداية" تجبها جداً. مجموعة
حكايات خيالية تحمل الحكمة والمعنى، حين قرأتها لأول
مرة قالت له بحماس طفلة:

- أشعر وكأنها حكايات من مكان آخر غير يودوس..
هل توجد أماكن أخرى؟
ردّ حينها بحكمة تناسبه:

- بالتأكيد.. خارج حدود المينوتور و"غاند" على الأرجح
هناك عالم لا نعرفه.

سأله بتشبت:



- هل تود معرفته؟

جاوبها وقتها فوراً، لم يفكر حتى:

- لا.. لا أريد سوى هذا القصر وأنتِ.

انتفضت الخادمة المسحورة حين وجدته يجذبها فجأة، يصعدان معاً إلى الطابق العلوي المحرم على الخادמות، يمر بامرأة جثة حقا راقدة بصمت كئيب في الفراش ثم فجأة ومن باب سحري تجد نفسها في صندوق معرفة. غرفة أشبه بالسحر مغلقة من كل الجوانب سوى من نافذة عالية، ومخطوطة مفتوحة.. وبعدها كلماته الحاسمة مما لا يدع مجالاً للهروب:

- هيا أخبريني.. ماذا فعل الأخ حين وصل إلى الكهف!

هروب فاشل.. تردد.. لعثمة فاقدة للمعنى.. لم تكن فاقدة لسرعة البديهة فقط.. بل فاقدة إلى مزية القراءة كمهارة. أنفاسها المضطربة، تيهها الواضح أمام الأحرف، وعجزها عن الجواب. كانت لتستمر التعويذة ساعة أخرى، ولكن الراعي عجل الموت المحتوم. هرس عنقها وقد انتصر الشك على المنطق، هرسه والنكرة تتلوى.. تقاوم مدافعة عن حياتها المفقودة فعلاً. هرسه حتى كاد يفتك بها، تلك التي عاشها منذ ساعات فقط على أنها بدايته.. جوار القبضة المحطمة، وصوته الذي كاد يحطم ضلوعها لفظت الاعتراف:



- من فعلها؟ انطقي.

- سيـ "سيراب" والبأ رود.

وسقطت تستجمع أنفاسها بعدما تركها، سقطت وبعدها
بثوانٍ لا أكثر عادت إلى صورتها الأصلية وتحولت إلى
جثة متحجرة ثم احترقت وتناثر رمادها من الأشلاء!

فراغ.. فتحة خراب.. موجة غضب مميتة. خطواته
هرست الدرج، زمجرتة موت مائة ذئب، عاصفة بحجم
تتحرك على قدمين. حين اعترضت خادمة طريقه مصادفة
دفعها غير واعي فكسر لها ذراعاً. فوق فرسه انطلق بلا
تفكير وإشارة يده أمرت كل رجاله أن يتبعوه. كل
رجال "الراعي" حول قصره، الخيول كانت تغرس
حوافرها في الأرض، تفتت الصخور المتوسطة، انتبهت
يودوس على رعب. عاصفة حوافر النار نفسها. كل من
رآهم فهم ما في وجوههم.. إنهم ينتون الزحف إلى قصر
البارود نفسه. ورعب ظهر بعد سماع صوت بوق بساعات
قليلة، نغمة شبيهة بعوار ذئب طلت من بعدها المسوخ
برؤوس الذئاب من العدم عليهم. لم تكن أجمهم ضخمة
ولكن وجوههم المصبوغة بثت في قلب كل من يراهم
الفرع، خاصة حين قابلوا سبعة من موالي البارود.. ببساطة
أكلوهم! كان عددهم ألف رجل، ومما رآه الناس فإن
قوتهم تبلغ قوة عشرة آلاف. صيحاتهم هزت الجدران،



واصطبغت الأرض بحمرة الدماء تحت خطواتهم.

"المجد لقاتل الذئاب"

هكذا كان هتاف أصواتهم الهادرة وهم يحيطون بـ"بارق"
على شكل حدوة حصان ويتحركون جميعاً نحو أول معسكر
نصبه في الطريق. البارق سيحرق الأخضر واليابس
والتماثيل. دون متاهات، دون خطط، ودون نبوءات
"حرير".

أعلن البارق حربه!

تنهدت "نهاية" وعيناها متعلقة به:

- "شاهق" لم نحن هنا؟

همست ورأسها يرتاح على ضلوعه، في حين كانت تجلس
بين قدميه، ظهرها يرتاح فوق صدره وأناملها تداعب كفه
الضخمة.

مال بشفتيه نحو أذنها الصغيرة بهمسٍ وقضمة:

- اختطفك الوحش في قلعتة.

استدارت له وعيناها قيدها وتعلم، عيناها الآن تنظر إليهما
كيفما تشاء.. تغيب.. تغرق ولا تود النجاة.

- أنت لست وحشاً أبداً..

مال ثغره بابتسامة إلى المرأة الوحيدة المسموح لها



بالكثير، تلك الصغيرة لا تدرك بعد قوة النبض من أجلها.

- هذا المكان حماية لك.. لا يستطيع أحد الوصول إليه.

بنظرة تأتة مبهمة سألته وهي ما زالت متشبثة بيديه:

- من البارود؟

لم يجب.. هل يحميها من البارود فقط.. لا. من "حرير"
أيضاً، هو لا يريد أن تنال نبوءتها! تحولت نظرتة إلى
قسوة تامة وإن كانت من أجلها لا عليها، الساحرة لا
تبوح بكل شيء.. وسيضمن أن "نهاية" إذا ما نالت نبوءتها
ستكون جواره، في حمايته التامة.

متهات "شاهق" تمتد من منتصف أرض الإقليم حتى
قوم السرداب مباشرة، الجميع يظن أنهم قوم بأجام
ضخمة نوعاً ما ويعيشون في أسوار عالية باتفاقية سلام
مهترئة. فمن حمت الأسوار بتعويذة هي "سيراب"، آكلة
العناكب التي تلعب على جميع الجبال. نصفهم أو بالأحرى
سكان السرداب الحقيقيون لا يعيشون فوق الأرض.
مدخل سردابهم يشبه قبراً ضخماً عند بداية وادٍ سحيق
أوله السرداب وآخره الغابة المحرمة. في البداية كان مرور
الشجعان من خلالهم مستحيلاً، كما تقول عجوز شعب
المطرقة هؤلاء كانوا يسكنون أطراف الإقليم من قبل
وأصابتهم بالخطأ بقايا تعويذة خطيرة جعلت قوة قبضاتهم
مهلكة لأي رجل مهما بلغت قوته. ولهذا كانوا لناظرهم
مسوخاً مرعبة. أجساد صغيرة مثل الأقرام وقبضات



ضخمة كل قبضة وأخرى مثل هراوة. هؤلاء حكايتهم لم
تناقلها الألسنة. أخفاهم البارود تحت الردم سنواتٍ حين
فشل في قتلهم ووجدهم "شاهق الأرقب" بعد رحلة بحث
طويلة في مخطوطاته. لم يكن يمتلك الكثير، ثروات توارىخ
من هنا وهناك.. شعر محرم أمر بحرقه وأنقذ أحدهم ورقة
أو اثنتين. وعزيمة لا تهدأ. وجدهم "شاهق الأرقب"
وأصبحوا ثاني كتيبة في جيشه. لم تكن تعلم أنها على حدود
السرداب، قبل أرض الغابة المحرمة بمسافة قليلة وأن
"الأرقب" هو الوحيد من الإقليم المسموح له بتخطيه.

كان الخيالة خاصته يحمون المنزل، مائة فارس يحيطون به
من كل الجهات مقسمين على دائرتين، فرسان الأرقب
دوماً في حالة استنفار، هؤلاء لم يغادروا أطراف الغابة
المحرمة أبداً ويقال إنه وضعهم هناك كي يضمنوا عدم
تسلل غير المرغوب فيهم إلى الغابة، تسلل من خلاهم صائد
العظام وحين كاد يعود إلى "بارق" مع خبرية أن "غضب"
الموجود في الغابة ليس "غضب". قتلوه.

مع رجل المتاهات كل الأمور محسوبة. "جبار"
أياماً ويتحرك بجيشه كاملاً، عودة المشعوذ قاربت على
الاكتمال. وتبقى نبوءات "حرير"، مع رجل المتاهات
كل الأمور محسوبة. سوى ثغرة.. ثغرة جاءت من بيت
"الراعي".

بعد ساعة كانت ملاح قائد فرسانه تنبئ عن الثغرة



الثغرة التي لم يتوقعها.

"بداية"

ضربت ريح سوداء يودوس. كانت حركة "شاهق الأرقب" برجاله لا تقل في ضخمتها عن "الراعي"، وإن لم يعتمد "الأرقب" على المسوخ. كان عدد رجاله مهولاً فعلاً. عشرة آلاف رجل فقط تحركوا خلفه في ظهور أول. مشهد يقول إن الدم لن يساوي شيئاً، ويودوس قاربت على الكثير منه.

كان "شاهق" يمتطي جواده بصرامة، لا يستطيع أحد ترجمة ملامحه الآن. نبأ اختطاف "بداية" انتشر كالنار في الهشيم وجواره خديعة الساحرة "سيراب". تأججت النار في يودوس وانتهى، لن تعود كما كانت.. لن تتحول إلى رماد حتى إلا مع نهاية البارود!

قرب خيمة منصوبة يحرسها خمسة مسوخ ترجل "شاهق" عن حصانه الضخم، كانت الشمس قد قاربت على الغروب وترك "بارق" رجاله لترتيب العتاد وزاد الطريق ساعتين فقط قبل استكمال المسيرة بعدها دون توقف. كان يجلس بسطوة على مقعد خشبي وقد وضع أحد مسوخه أمامه بقايا لأحد رجال البارود، ملامحه بدت مثل معدن قاتم. لا تعبير ولا حياة. إذ ببساطة الراعي فقد روحه..

ارتفعت عيناه الجراوان كالدّم نحو "شاهق" الذي وقف



منتصباً أمامه:

- سأقتله.

- لم لم تخبرني عن نبوءة "بداية"؟

صرامة "شاهق" كانت كحدّ سيف، عينا "بارق" دُكنة
دماء وغضب وعينا "شاهق" اشتعال كالنيران. ككل من
الغضب التام تدرجت بينهما..

- ماذا؟!!

- كان عليكم إخباري.

في مهب الغضب.. ریح من الجحيم.. حفرة في عين ذئب
مقتول.. انتصب "بارق" باستعار:

- ليس من حَقك معرفة شيء.. ولا محاسبتني، هل
فهمت.. أنا من أحاسبك، تلك التعويذة المحرّمة فعلتها
الساحرة زوجتك.

تحكم "شاهق" في غضبه وإن كان هدوء كلماته يغلف
سعيراً قائماً:

- القائد دوماً له خطته.. من كان يتوقع أن لديك
خططاً بدورك يا "بارق".

كانت تلك هي المعضلة، الفخ على الجميع.. الراعي.

"شاهق" كان يضع ورقته على الحياض مؤقتاً، يعلم أنه
سيحتاج إليه، ولكن متى وكيف كان الأمر مجهولاً له،



والملعونة "حرير" يبدو أنها تخادع بطريقتها. والبارود يبدو أنه عرف نبوءة "بداية" بطريقته. تابعت حروف "شاهق" بعدها مثل السنة لهب:

- كان على كليهما أن يخبرني.

انتفض "بارق" بكل قوته، غضبه الخارج عن السيطرة، فرط حرارة غيظه قادر الآن على إذابة الحديد:

- سأقتله.. هل تفهم سأقتله ولتحترق يودوس.

- ما النبوءة؟

بتر "شاهق" لجحيمه أثار جنونه، كان قاب قوسين أو أدنى من نحر عنقه برمح الضخم. جلده يحترق وأنفه سينفث النار مثل تين حانق.

- ما النبوءة؟

تكرار "شاهق" حاسم، هدوء السياسة على خط العدو. ردّ "بارق" كاتمًا للهب من منخاره:

- قلب الراعي.. "بداية" تجيد القراءة وهذا ما لم تخبرني أنت به.. مرحى يا "أرقب"، وجد العدو بيننا ثغرة.

سريعاً بعدها تفاصيل صندوق كتمان أفصح عنها "بارق" مضطراً. تفجرت الأحرف من لسانه جوار غضب يشتهي بالرمح خاصته فصل اللحم عن العظام. تأججت قسوة حروف فقدانها في عينيه، ومال ثغره متوعداً الجميع بما فيهم نفسه.



الأمر واضح أمام كليهما الآن.

- نكوّن جيشنا.

- أنت وجبار! توقعت.

- "حرير" تمرر النبوءات ولكن اللعينة تخابث.

- الفتيات لهنّ نبوءات.

- الأربع!

دار "شاهق" في الخيمة بعدها بحزم.

- على ما يبدو أن البارود عرف نبوءة "بداية" بشكل
ما. ولكن لا أعلم كيف.. لقد اختفى الصندوق جيداً
لسنوات طويلة. كيف حدثت تلك الثغرة؟

هدأ غضب "بارق" لوهلة وبدأ يعصر عقله، لقد كان
حريصاً جداً دون هفوة واحدة.. كيف حدث ومتى
حدث؟ هل الساحرة "حرير" متورطة؟!

صرخ "بارق" بسؤاله وقد عاد حنقه للتفجر من جديد.
الدكنة الدموية في عينيه تزداد حلكة وجبروته يتمدد
كوحش عظيم.

- الساحرة زوجتك لها يد.. تلك الخبيثة بالتعويذة التي
فعلتها.

على عكسه لم يكن "شاهق" حانقاً على "سيراب" لتلك
الدرجة.. بل قال بهدوء استفز الراعي:



- إنها نكرة.. مجرد أداة في يد من يستخدمها.

تلوى اللهب على لسان "الراعي" وكان صوته صراخاً في
جميع أركان المعسكر:

- لا أكثرث.. سأقتله.. سأقتل المينوتور الأضخم بنفسى.

- لا!

صرخة ثم حزم.. غضب ثم حقيقة.. هم غير قادرين على
قتل المينوتورز خاصة أكبرهم. لو كانوا لمحاربوا من زمن
فعلاً.

تابع "شاهق" وسط لهات "بارق" المحترم:

- ستواجه المينوتور وتنهزم أنت ومسوخك وسيستعرض
البارود قوته.

هرس "بارق" حروفه باغتيال:

- لو كانت زوجتك هي المحتجزة لما اتبعت نهج السياسة.

- هي ابنة "الأرقب".. ابنة عمى.. ولو كنت أعلم أنك لا

تستطيع حمايتها لحميتها بنفسى.

لقاء سيف ورمح بالكلمات، ثم الحقيقة. اهتزت الخيمة..

بل سقطت.. والتف الرجال في حماس وانتباه ووجل

لمراقبة معركة الراعي والأرقب. حربة قاتل الذئاب أمام

سيف الأرقب بنفسه. صرخت الخيول، والتقاء النصال

بدا كضربات برق. قوة غاشمة وقوة ساخطة. بداية حرب



تصب في مصلحة الطاغية.

نزع "شاهق" كلماته وسط القتال:

- أنت تعلم أنك لا تستطيع هزيمتي.

ردّ "بارق" بسخط وسط عنف هجماته:

- تقصد سيف الأرقب.

وبحركة خفيفة ذكية لمقاتل قديم لم يتمكن منه ضعف الغضب اقترب "شاهق" من "بارق"، سيطر بالسيف على عنقه ثم همس والكلمات هسيساً بينهما:

- هذا ليس سيف الأرقب.

سبح الغضب في عين مقاتل، والقهر.. والفقدان..

لا يوجد أسوأ حالاً من إنسان فقد البداية.

كان الصمت ملك المساحة، الرجال في راحة الظلام وشاهق ألقى كلماته الأخيرة بقسوة باردة:

- البارود ليس في قصره من الأساس.

وسط فورة غضبه وتجميع جيشه علم "شاهق" بطريقته سريعاً أن البارود لم يعد إلى أرض العرش. اختفى في مخبأ جيشه السري. على ما يبدو أن "بداية" لها أهمية كبرى ليخفيها في مكان كهذا. ورغم كل شيء هذا يعني أنه لن يؤذيها. بعد ساعات وبمنظرة مجردة كان يقف أمام



"الأرقب" بكامل عتاده، ليسوا بأصدقاء ولا أعداء..
ولكن عدوهم واحد.

قال "شاهق" بحسم سيف له هو الآخر قصة:

- أريد رؤية الصندوق.. قلب الراعي.

- وبعدها؟

- أحتاج إلى أن أعرف ما يبحث عنه.

كان قوياً ولكنَّ فقدانها خدشه، زلزه.. بصعوبة صعد
إلى الغرفة، أشار لشاهق إلى مبتغاه ورحل.. ركض
بحصانه بكل قوة يمتلكها حتى سقط، نظر إلى الشمس
واختلقت دُكنة عينيه بشعاعها فتحولت إلى حجر بركاني.
عاث السعير في سرايينه فساداً. أقسم للشمس.. لخادمها كما
تقول الأساطير.. سيقتله

أقسم رغم معرفته وتأكيد الشاهق له، أن المسخ لا
يموت. ولكن في مصاحبة شر الضفة الأخرى نجاة.

المشعوذا!

سيف الأرقب.. إرث العائلة

"خذه يا ولدي ولكن.. حذار".

حذار حذار، حذار من سيف يتحكم بك لا تتحكم به، سحر
سيف الأرقب ظل مجهولاً لسنوات، الطلسم على حدّه



ملعون ويُقال إنها تعويذة حرقت الأخضر واليابس. كان يعتبر سلاحاً خطيراً في يد رجل بلا فطنة، حتى إنه حين سرقه شقي من "الأرقب" الأكبر ذبح به نفسه. حينها علم "رقيب" خطورة هذا النصل مع عائلته وعليها، ومرر لـ "شاهق" نصيحته ووصيته. ونفذها "شاهق" وأزاد.

كان السيف عريضاً نوعاً ما، يثير الرعب في نفس كل من يراه لأول مرة، حدّه منقوش عليه طلسم غريب بحروف غير معروفة للبشر. أما مقبضه فكان من الذهب الخالص المثير للطمع في النفوس البشرية. ولكن كان به شيء غريب جداً، فتحتان دائريتان بهما ما هو أشبه بالتجويف. التجويف الأول فارغ تماماً أما الثاني فبه حجر غريب غير منتظم الشكل له لون القمر. لا يعرف أحد أبداً كيف قاد المصير السيفَ إلى "الأرقب" الأكبر، ولكن "شاهق" بحث على مدار سنوات وكاد يصل إلى أصل السر. ولهذا لا يستخدم السيف أبداً، لا يسمح له بالسيطرة عليه، كان أكثر مكرماً من أبيه وجدته الكبير فصنع منه عدة نسخ طبق الأصل، كان يوكل تلك المهمة لحداد الخندق في متهاته الأولى، يخرج في حربه وجولاته ومعاركه بسيوفه المزيفة ويظن الناس أن كل واحد منهم سيف الأرقب الحقيقي. أما السيف فلسنوات ظل قابلاً في مخبئه على أطراف الغابة مجهول دوره. ولم يكن يعلم أنه الآن حان دوره لتحقيق النبوءة.

أمام المخطوطات امتدَّ صمت طويل، بدت ملامحه



كظلام غابة واقتحم السواد الغور. ما سمع عنه بعد بحث
طويل ها هو أمامه.. الرقوق المسحورة.

فراغ لا يوجد به شيء سوى حاشية سفلية مُربعة.. السر
سينكشف من دماء سينحرها سيف الأرقب! وعلى بعد
مسافات قاسية، ساق القدر عروسه الصغيرة نحو غرفة
معزولة، طاولة خشبية نخمة وممدد عليها سيف مسحور.

سيف همسه طلسم غريب، مجرد ما نظرت اشتعل..
تحول.. بدت الحروف منطقية.

وحظت عيناها بلا تصديق وهي تقرأ المكتوب عليه.

على بُعد مسافات قاسية تجلس ساحرة البداية فوق بئر.
صوتها ثقيل مثل همسٍ كبير، كلا بؤبؤها تحولا إلى
لون حجر قمر. وشوشت حداة قبل أن تطير ونثرت ضحكاتها
مثل حبر صاحب.

نالت "نهاية" نبوءتها دون أن تحتاج حتى إلى جلبها إلى
هنا. النبوءة المكتوبة من أجلها منذ حفر الطلسم وحن
وقت التنفيذ.

على بعد مسافات قاسية قال السيف كلمته.. تجمدت بلا
تصديق.. شهقت وهي تنبته لامرأة تقف خلفها، امرأة
كلها سواد وتشبه "ضوء القمر"! ليست هي ولكنها تشبهها



بشكلٍ مخيف.

- من أنتِ؟

- تعالي؛ حان الوقت.

- كيف!

- لا يوجد لديك خيار. البارود اختطف "بداية".

شهقت بتبعد، تُكذِّب ما تسمعه وما تراه، ما يحدث.. ما
يقوله الطلمم .. مستحيل!

- لا أفهم.

صوت الهدأة المتحولة زعق بحسم أمر:

- هذا دورك.. تلك هي نبوءتك.

شهقت رغبة في الهرب، شهقت والعجز يخنقها:

- لا أستطيع.

قالت الهدأة بهسيس خبيث:

- فقط المسيه.

حين فعلتها ولا مست قبضته انتفضت مبتعدة من
الصدمة، شعاع من نور الفضة الخالصة احتل نصله،
شعرت به يندمج معها، وكأنه قطعة من جسدها وليس
مجرد سيف. تراجعت إلى الخلف برعب وتردد، حدقت
إليه بتركيز، حدقت إليه؛ الطلمم المحترق المكتوب من



أجلها، بل مكتوب عليه اسمها. الرسالة عليه موجهة إليها..
إليها فقط.

الحروف التي ما زالت لها حتى الآن صادمة.

"ينكشف السر من دماء ينخرها سيف الأرقب.. دماء
أكلة العناكب "سيراب".

على بعد مسافات قاسية وبئر الحرير! تلاعبت داهية
بجميع الخيوط. منعت الظل بعد ولادتها من الحضور،
أعطت النكرة أهمية مزيفة.. حتى إنها أوحى إليها بابتلاع
العناكب. ودفعتها نحو المصير الذي تريده لها تماماً.
ومن ستقتلها "نهاية". الأقرب لسحر الفتاة الرابعة، والتي
سيخضع لها وحدها السيف. سيف الأرقب صاحب
الطلم الملعون والتعويدة التي خلعت قلبين. أحدهما دُفِنَ
والآخر حجر مَيِّت!

في ظلمة تنفسها وتنفسه، لا تعرف ماذا حدث، في
لحظة كان ينتزعها من الثلج بقبضة وحش، وفي لحظة
كان يحيط بها من كل اتجاه بجناحي عُقاب وفي لحظة عاد
إلى صورته التي تعرفها وقد باتت في غرفته. غرفة المشعوذ.

انتبهت.. حاولت الهرب بعجز، تخطته ولكنه أوقف
محاولتها الضعيفة باحتجاز من ذراعه فباتت محاصرة بينه
وبين الجدار. خذل القلب العقل، سقطت في هوة عينيه،
حين تحركت ترك لها تلك المرة المساحة ولكن لأنها



أصبحت أقرب إلى فراشه. وعاد بعدها ليحاصرها. هي وهو.. ومسافة أضيق من ورقة وردة بين كليهما، تراجع إلى الخلف في نجل فطري.. في خوف.. حاولت أن تباعد فجذبها نحوه بسلاسة بقوة ذراع واحدة. قوة لو ترك لها الدفة لحطمت ضلوعها، لثم شفيتها بلا كلمات، ضمها بعنف.

- لا.

كانت منها أضعف ما يكون، ودفعة مثل لا شيء ابتلعها هو مع قبلاته، مقاومتها الفاشلة استسلمت، حملها إلى فراشه، يفعلها الآن.. اللحظة التي خافت منها والآن تريدها. اندمج الجسدان كما لم يخطط! وآخر ما التقطته أذناها قبل أن تغيب في لحظة الاكتمال زجرة الثلاثة ظلال داخله.

في سرد قائم، وُلِدَ بطل.. اجتاحه مصيره رغماً عنه. بطل خلق ظلاله، حرر الشر من داخله، ولكي ينتصر عليه أن يناله من جديد!

بين نهديها صحراء جاورت أفكاره. نجلت.. كتفت ساعديها حول صدرها.. حاولت عيناها الهروب منه فسحب كلتا يديها نحو شفتيه ثم أجبر عينيها لتكونا معه، عيناها معاً، نبض قلبها معاً. عفواً.. نبض قلبها.. هو رجلٌ بـ قلبٍ مَيّت.



أنفاسها المترددة تذبجه، تقتله وتحييه..

- أستفعلها.. ستقاتل "غاند"؟

صمت لوهلة، نصفه في صندوق أسود مثل متاهته
الوهمية، يفكر ويفكر.. ونصفه معها يذوب. مال رأسه وهو
يتأمل أهدابها ثم قال بخشونة هادئة:

- نعم.

شحب وجهها، انكملت بلطافتها الهادئة.. مد أصابعه نحو
ذقنها فرفعها نحوه:

- خائفة؟

- لن تكون معركة سهلة.

- أنا لست "غضب".

قالها بحسم.. عيناه رفعت راية القسوة والعشق في آن
واحد.

- المشكلة ليست في هزيمتها.

كانت مستلقية على ظهرها وهو جوارها مرتكز على أحد
ساعديه ويميل بجسده فوقها، نتثر مدارية نصف عريها
بالقميص خاصته الذي أعطاها إياه في البداية وبتورد
وجنتها بنجل من حين إلى آخر. رفعت أناملها نحو
صدره.. الآن تدرك أنها لا تسمع نبضات قلبه أبداً ولكنها
لا تسأله.. بل تهرب.. تهرب منه إليه.



تابع وكلماته تجتاح عشقها ومخاوفها:

- الظل سيعود إليّ.. الشر سيعود إليّ كاملاً.

أغمضت عينيها بألم ثم همست وكلماتها تعانقه:

- من أنت؟

- تلك حكاية طويلة ممنوع عليّ سردها.

- لم؟

- إنها ضريبة السحر.. نحن لا نستطيع الكلام عن
التعاويد.

بحدس مررت مجدداً أناملها فوق موضع قلبه غير
النابض.. تجعدت جبهتها وهي تضم حاجبها بحزن مكلمة:

- تلك التعويذة؟

غامت نظرتة نحو ماضٍ مدفون مع قلب أخيه، سحر محرم
دفع ثمنه الجميع. هرب من الذكرى، تغلغت قبلاته وأنفاسه
في عنقها، احتجزها بين ذراعيه ثم قال بخشونة حازمة:

- دعك منها الآن.

حدقت إليه بتشبث:

- أريد أن أفهم.. أريد أن نكون معاً في سلام.

التمعت عيناه بنظرة وحش.. نظرة المستدب ولكن في
حماية لها.



- أنتِ هنا في سلام.. هنا أستطيع حمايتكِ.

- ممن؟

- أخبرتكِ؛ لا أستطيع البوح.

- أستستطيع بعد قتل "غاند"؟

ابتسم ببأس وهو يملس على خصلاتها:

- بعد قتل "غاند" سأصبح رجلاً سيئاً جداً يحبك جداً جداً.

- لا بأس.. سأتحملك.

كان يندمج بها، يغرق فيها.. يتزلزل قلبه الميت وهو يستنشقها..

- هذا الرجل السيئ سيحميكِ بكل قوته.

ضربت صدره في اعتراض:

- هذا الرجل السيئ لا يخبرني بكل شيء.. أخبرني بشيء واحد فقط.

بعد وقت همس بخشونة بالعبارة نفسها التي قالها من قبل حين تفجرت براكين رغبته فوق جسدها..

- أنا أكتمل بكِ.

ولم يكن يقصدها مجازاً.. هو حقاً يكتمل بها!

بعد مرور أيام



في لحظات وازت اختطاف البارود لـ "بداية"

"ها"

"غاند" تصرخ بيهجة، ويُطعمها شيخ.

دوماً ما كرهت نافذة القصر الخلفية، هسيس "غاند" المرعب والموت بين نابيها. شعرت بقشعريرة تمكنت من جسدها كله، كانت مستنزفة، يقتلها التيه، يقتلها القصر الذي عادت به حبيسة، يقتلها الشر الذي يعود إليه.. وتحيا فقط بين ذراعيه، وكأنما هي منه وهو منها. هي تشعل الضوء داخله وهو ينشئ الظلام. والغريب أن هذا ما يجب أن يحدث. توهج قلبها فقط حين لامسها، عانقها من الخلف ووضع ذقنه على عُرِي كتفها الناعمة الظاهر من المئزر الحريري التي ترتديه، مئزر بلون حجر قر!

قالت هاربة من ضعفها نحوه..

- من هذا؟

- سأخبرك فيما بعد.

تدمرت، عادت نبرته الحسنة التي بسلاسة تمتلكها:

- كل شيء فيما بعد.. سألتك قبل ذلك أهم سؤال

عندي وقلت فيما بعد.

غامت عيناه مثل الغيم، تحول عناقه إلى قسوة، تجعد

الحرير القمري تحت سطوة قبضتيه. سألها بغموض قائم:



- مُصرّة؟

- نعم.

- تتحملين!

- أحاول.

- الظلام مخيف يا جميلة.

- لا تقولها.. أريد أن أعرف اسمي.

شعرت بحرارة أنفاسه تلامس عنقها، بل تحرقه.. شفتاه
تقترب من أذنها وهمسه حتى قبل أن يبدأ يقلبها في راحة
يديه.

ولكن محتوى الهمس فتاك.

سقطت من راحة يديه على صلابة حقيقة صادمة:

- اسمك يودوس..

هي يودوس.. القمر الذي نجا!



الفصل السادس عشر

يودوس

القمر الأول

القمر الذي نجأ!

في قاعة مذهبة ممتلئة بالشموع، تحاوطها العمدان مذهبة
القاعدة من كل جانب اقترش الأرض نسيج حريري أحمر
لامع جمع بينها وبينه.

- يودوس..

رفرت أهدابها بعجز:

- لا أفهم..

همس بخفوت وهو يستحوذ عليها أكثر:

- ربما لا تحتاجين.

بدت يأسه، منهكة بالكثير، سعيدة لأنها معه وتعيسه
لأنها حبيسة هذا القصر.

- كيف؟ كيف لا أحتاج إلى فهم معنى اسمي، ولماذا!

ثم انتفضت، رغماً عنها انتفضت تدور بتيه في أطراف
القاعة.

- لقد انتظرتني طويلاً، احتجت إليّ كي تنال ظلالك
من جديد وكي تنال "غاند".



بعدها غامت عيناها بتشتت:

- ماذا لو هزمتك "غاند"؟!

تساؤها اليأس بث في جسده قشعريرة خارج سيطرته، هي كلها تفتت سيطرته كما لم يضع في حسابانه أبداً. هي يودوس، القمر الأول الذي سقط! هي قلب تائه ضعيف، حائر ذابل وهو يعلم. تدبل أمامه.. ليس بشكلٍ جسدي تلك المرة، فالقبح لم يقرب ملامحها، ولكن روحها تدبل. عيناها تبدو مثل بلور مكسور، نضارة وجهها تبهت، بالكاد تناول الطعام والشراب وفي أغلب الأوقات تراقب "غاند" باكية. تسأل الورود على الشراشف كي تفهم يائسة فتردد الورود الحكاية القديمة المحفوظة نفسها. نال وجهها بكفيه، حاوط وجنتيها.. مال بجهته فوق جبهتها وهمسه يحتلها:

- لن أسمح لـ "غاند" بهزيمتي.. ثقي بهذا.

ثم جذبها حتى اصطدمت بضلوعه، أظلمت عيناها وتوحش شر المستدئب في صدره.. ألمها رغماً عنه ولكنها لم تتعد، بل عانقته.. حين تعانقه تعانق المشعوذ والعقاب والوحش والمستدئب، تعانق "غاند" نفسها ولا تبالي.. تشعر بالقيد والحرية في الحين ذاته وهذا غريب. تنفست ببطء ثم ابتعدت عنه.. قالت ببساطة قاتلة له:

- هل أنت غاضب مني؟!

من دُكّنة عينيه طلّت صدمة، جمال قلبها حصاره. رفع ذقنها فرفع وجهها إليه ثم قال بنبرة تعانقها:



- غاضب منك؟! -

لوت شفيتها بتعبير حزين وقد اغرورقت عيناها بالدموع
مثل عصفور غابة رقيق:

- لأنني أصبحت كئيبه.

لو كان بقلبه الميت حياة، لدق بعنف الآن.. دق فقط
من أجلها. قال وهو يحترق:

- لا تقولي هذا مجدداً أبداً.

مرت سبابته فوق ملامحها بتأنٍ ثم قال وابتسامة عذبة
ترسم فوق شفيتها:

- هذا العقل الجميل الصغير تحتله المخاوف والأفكار..
جميلتي تكبر.

رفعت عينيها الواسعتين نحوه بتشبث:

- هل هذا سيء؟

حاوطها بنظرته، ليس كعاشق فقط ولا مشعوذ يمتلك
حبيته وأسيرته بل معلم..

- ثقي بغريزتك، ولكن لا تتعدي عني أبداً.

عبارته الأخيرة كانت نبرتها حارقة، شيطان أسود ارتسم
في مقلتيه فقط من أجلها.. تنهدت بيقين وهي ترتاح
برأسها فوق صدره:



- البارود.. أنت تريد حمايتي منه.

تشنجت ملامحه وشعرت بقوة ذراعيه تسحقانها وصوته
يقسو في عزيمة:

- لن يمَسَّ شعرة منك.

وجأة اشتعلت نظرتة ككل، غرس كلماته فيها غرساً كما
غرست قسوة أصابعه ذراعها:

- يودوس.. لا تتركي هذا القصر أبداً مهما حدث.

دون يقين منها ورغماً عنها قالت فجأة وقد حاولت
التملص من قسوة قبضته التي جاءت فوق احتمالها تلك
المرّة:

- "غضب" .. أنت تؤلمني.

"غضب"! "غضب"! لم يشعر بنفسه، تقريباً طار بها حتى
ارتطمت بالجدار وهو يحتجزها بجسده، زأر رغماً عنه في
وجهها، أطلّ الوحش يحذرهما بأنيابه واشتعل حريق عينيه
في وجهها:

- انسي هذا الاسم فوراً.

- لا لا حبيبي لا تغضب مني.

تجمد فجأة، عادت ملامحه وهي تعانقه وتطبع قبلة على
شفتيه غير مبالية، كانت إكسیره، قوته في السيطرة على
الظلام داخله. كماله بكل معنى ممكن للكلمة. هدأت



أنفاسه الثائرة وبعينين بهما تيه تاريخ كامل ركع على
ركبتيه أمام جسدها ثم عانقها، كانت ذراعه تحيطان
بخصرها ورأسه يرتاح فوق بطنها في عجزه. يجتمع بها بكل
أشلائه. ارتكزت على ركبتيها مثله ثم بدأت تنثر قبلات
عاطفية لطيفة فوق شفتيه، قبلات عشق تخاف فقدانه،
لا تكثر بأي شيء سواه. قالت بيقين به بساطة وحكمة:

- هل يؤمك الأمر؛ وجودهم داخلك؟

أوماً بابتسامة هادئة مستسلمة، معها فقط مباح إعلان
استسلامه، صراعه، كراهيته لهذا الشر الكامن تحت
جلده. بنظرة عشق تامة نحوه تابعت هي:

- ولماذا أخذتهم إذن؟!

قال بنبرة ثقيلة مُتعبة:

- لقد احتجزتهم في القصر لسنوات، ولكن العودة
حتمية.

- هم منك؟

- نعم.

- كيف؟!

- إنها حكاية طويلة.

استندت برأسها فوق صدره، في حين فرض هو الصمت
على اللحظة، لا يبتغي غرقها في القصة الآن، بل لا



ينتوي أن تعرفها أبدأ. الحكاية المقسمة بين ثلاثة، حكاية
آسيوس ويودوس. البارود معرفته منقوصة، وهو معرفته
مشروخة.. والمجد نخبث "حرير".

ولكنه لن يسمح لها بتنفيذ ما تريده تلك المرة.

احذر ساحرة.. على وجهها خريف، صيف وشتاء وربيع
مقتول.

عينان بمزيج الأسود والأزرق، مشعوذ وبارود نالتهما
مع سخرية القدر بنبوءة. فم ابتسامته تشبه ظلام الحريق،
والآن أذنان.. هي تسمع صليل الأرقب من هنا. صليل
النهاية!

ثلاث نبوءات.. ثلاث فتيات.. والرابعة أصل الكنز.

الأولى "بداية"، الوحيدة القادرة على قراءة الرقوق، لا
يستطيع أحد سواها فك الرموز.. الثانية "قلب"، صاحبة
السهم الذي سيغير مسار الحرب. والثالثة "نهاية" سيف
الأرقب!

أمّا الرابعة فحين تنال نبوءتها سيثتمُّ أنفها العبق الذي
تحتاج إليه.

جلجل صوتها الكئيب في جنبات الغرفة..

- الآن الستر قارب على الاكتمال، قر يودوس سيفتح
الطريق من جديد، لن يكرر التاريخ نفسه، بل سيحدث



المفترض حدوثه.. لن يهرب أحد من مصيره، لن يهرب
أحد يا "شاهق"!

رغم الغضب المتأجج بداخله لم يفقد ثباته المهيب، رفع
رأسه نحوها بعد أن كان استماعه لها مطرقاً لظلمة الأرض
تحت قدميه.

- لو أصاب "نهاية" سوء سأدمر كل خططك؛ سأحرق
الأخضر واليابس.

ابتسمت بمكر قاتم وعاد صوتها إلى الخروج مثل صدى
من قبر:

- لن يصيبها مكروه، فقط احرص على تدريبها كي تقتل
الساحرة مباشرة دون تردد. السيف سيستمع لها وحدها.
- ثم بعد؟

- سيعود إلى مكانه.. سيعود إلى مالكة الأصلي!

يوماً ما سينكسر الصمت.. يودوس صمت أكثر مما
يجب!

حول وكر "حرير" الصمت قاتل، في قلبه يسود الألم،
التعاسة، الغضب المكتوم لسنوات عدّة في بئر. رائحة
الخوف تتناثر حولها، الخوف انتشر في يودوس منذ خبر
خطف "بداية"، البعض خائف من ويلات الحرب
والدمار الذي سيطول الجميع، والبعض يخاف سطوة



البارود، والبعض يخاف هزيمته وقدوم شر لا يعرفونه.
والبداية من جديد. نعم.. فالشعوب لا تخاف الحرية بقدر
خوفها من توابعها، تخاف التغيير الذي لا تعرفه. الخوف
يسيطر وكفى.

بالخوف تُحْكَمُ الشعوب

بملاحق القناع الجامد المعتادة على وجهه وقف يراقب
ظلام السماء، الخبيثة مرّرت نبوءتها في النهاية. المتاهات
ستتلاقى كلها وإن كان لا يحدث كل شيء تبع ترتيبه
تماماً. الأمر أشبه بطاولة مكر اجتمع عليها الأعداء كي
يتخلصوا من عدو أكبر. وكل طرف يلقي بما في جعبته
ورغمًا عنه الساحرة تتحكم في الخيوط. مررت له خديعة
نبوءة "سيراب" وحاول أن يستغلها لمصلحته، ولكن للسحر
رأي آخر، تعويذة قديمة تقيد الجميع وكي تعود الأمور إلى
نصابها يجب فك الطلسم.

حين وصل إليها وجدها تنكش جوار الجدار بعجز،
تنظر إلى السيف في تيه كامل وتهزمها أنفاسها بالقلق
والخوف.. تنهد بتعب ثم اقترب منها:

- "نهاية" ..

ارتكز على إحدى ركبتيه ثم مد أصابعه ليرفع ذقنها نحوه
فوجد شلالاً من البكاء. عيناها تحمل كل أنواع الخوف
الممكن.

- أنا... أنا لا.. أستطيع، لا أستطيع.. أن.. أقتل.



كانت تقول كلماتها ببطء تعيس، تنهار بين كل حرف وحرف، تمرر يقين بساطتها وإنسانيتها في نجل. ملّس على خصلاتها بحنان وقال في قوة:

- أعلم.

انتفضت فجأة وتعلقت بعنقه، تعلقت بعنقه بكل مكانها، منذ ساعات حين عاد إلى المنزل وأخبرته وهي ما زالت في حالة جمود من أمر السيف رحل في حينها، رحل وحوله حميم بركان كامل وبين وقت رحيله وعودته أيقنت ما حدث فعلاً، وأيقنت أنها لا تستطيع. كيف تستطيع كيف!

اعتصرها بين ذراعيه في حنان صارم:

- الأمر ليس سهلاً أعلم.. ولكنه ليس مستحيلاً.

تنفست بضعف:

- أنا لست قوية بما فيه الكفاية.

ابتعد لمسافة محسوبة كي ينظر إلى عينيها:

- أنتِ قوية جداً.. السيف اختاركِ.

- كيف؟ كيف؟ أنا لا أفهم.

احتوى تيهها بحكمة وقال وقد اتخذ قراره، القرار الذي

لا بدّ منه.. من أجلها.. فقط لها وحدها:

- سأخبرك ما أعرفه، كل ما في جعبة "شاهق



الأرقب".

توسّع عينيها هنا تشبث، تعلق تام به وكأنه أسطول النجاة.. رضح ومسح عبراتها سريعاً مثل طفلة، ثم الاستسلام لطوفان قبلات كامل. أراد أن ينهل منها، يتوه لدقائق كلاهما يحتاج إليها قبل أن ينحرف بها إلى أرض المعركة. يجازف لأول مرة منذ رتبّ متاهاته، يجازف مضطراً ليس فقط بسبب نبوءات "حرير"، ولكن لأن الحرب لا تخضع للقوانين الثابتة. الحرب في أصلها قانون مجازفة.

ساحرة ومشعوذ وجبار. وهو الأرقب، الرابع على الطاولة.

ترتيب امتدّ على مدار سنوات مثل ثورة صامته على جبروت وحش لن يظلّ ساكناً كثيراً، في النهاية سيقتل الجميع. لم يقابل المشعوذ يوماً، "جبار" هو الوحيد الذي كان من المسموح له لقاءه.. و"حرير" تفاجئهم بالنبوءات مثل ساحرة خبيثة. نبوءة "قلب" في البداية زلزلت حساباته.. ودّ حينها لو يستطيع حرق الساحرة في بئرها ثم رتب الأمر مع "جبار" سريعاً. نبوءة "بداية" أخفتها الساحرة عنه ونبوءته هو وجهت تفكيره مدة نحو "سيراب" وتفكير البارود أيضاً. فهم بعدها أن "حرير" تلاعبهم، تحرك القطع على هواها كي تمرر الخديعة كاملة للعدو،



والصديق. كي تنجح عليك في مرحلة ما أن تخدع الجميع.

- لم تفعل ذلك؟!

قاطعت "نهاية" ببراءة حكايته، كانت تجلس فوق ساقيه مثل طفلة مطيعة، وهو يستكمل ظهره منتصب إلى الجدار:

- كي تضمن خديعة البارود نفسه..

بدت عالقة في ألغاز الحكاية:

- هذا يعني أن "جبار" يدرّب "قلب" على أمر هام.

- نعم.

- هل تعرفه؟

- بالتأكيد.

- ما هو؟

- ليس الآن.

قالها بحسم، كاد يبتسم ساخراً وهو يوقن أنه يفعل ما تفعله "حرير".. لا يصرح بكل شيء.. نوع من التحصين الفكري ضد احتمال الهزيمة، إذ المخطّط.. الحاكم.. القائد.. أياً كان الوصف لا يبوح أبداً بتفاصيل خطته للجميع. قاطعته هي بعفوية.. أدارت دفة الحوار نحو جهة أخرى:

- والمشعوذ، هل هو سيئ مثل البارود؟

تجرت عيناه بظلمة تامة وأفكار تسرح طوال حياته في



متاهاته:

- لا أعلم.. ولكن ما أعلمه أنه إذا ما استعاد قوته كاملة
لن يقدر عليه أحد.

تغضن جبينها بتفكير:

- ولكننا لا نملك خياراً سواه.

أسدل أجفانه متنهداً:

- المجهول أو الشر الذي نعرفه وأنا اخترت المجهول.

مع آخر كلمة كان قد فتح عينيه من جديد، بدا لها
أن ما بداخلهما حريق أسود، عزيمة كبرت وتشعبت
على مدار سنوات، هو رجل قادر على تخطي الظلمة
ومواجهتها، لا الانتظار في جدران أمان زائف. وضعت
يدها فوق قلبه فأيقنت ضرباته العنيفة، ضربات قلب
الأرقب في ذروتها.

- كيف سنهزم البارود؟

لاحظ أنها قالتها بصيغة الجمع، تخطو على خوفها الآن،
تحاول أن تهزمه وتشب على قدميها كي توازي الجميع.

قال بهدوء حكيم:

- كي نفعها يجب أن نعرف الحكاية كاملة.

وأشار إلى الرقوق المسحورة.. نظرت نحوها في تعجب
وكان الجزء الخاص بها وببداية في الحكاية لا يزال مجهولاً



لها بعد.

- لم لم تخبركم "حرير" بنفسها؟

قال بوجه جامد يصعب تفسير شعوره في تلك اللحظة:

- لقد ألتت تعويذة تمنعها هي ونسلها من قص الحكاية
أو قتل بعضهما بعضاً.

- هذا يعني أن البارود لا يستطيع قتل المشعوذ ولا
المشعوذ يستطيع قتله.. كيف سيهزمه إذن؟

- لا نحتاج يا "نهاية".. فقط يهزمه وينفك سحر الطلسم
وتصلح "حرير" ما أفسدته.

- أنت لا تعلم ما أفسدته.

- لا.. حتى البارود لا يعلم كل الحقيقة، ولهذا يريد
الرقوق بشراسة.

- والمشعوذ؟

شرد قليلاً، شعرت أنه بدوره يفكر محاولاً تفسير هذا
الرجل، "شاهق الأرقب" رجل المتاهات يقف بحرص
أمام مجهول يعلم أنه مجبر على احترامه. ليس نرجسياً
متباهياً مثل البارود يجد قوته في القتل، ولا مجرد طامع في
سلطة ينسج الخيوط للقفز مكان الحاكم.

تهد ببطء ثم قال بصوت مظلم مستعداً لأي احتمال:

- هذا هو النصف المجهول، ولكن حتماً نحتاج إليه.



أومات مثل تليذة نجبية في دقائق قليلة لمعلمها:

- نجازف..

- أنا أثق بكِ.

عاد جسدها رغماً عنها إلى التشنج، استقامت ودارت في
الغرفة، صارحته وهي تصارع الخوف داخلها:

- لا أعلم إن كنت أستطيع.. ليتك دربتني أنا وليس
"قلب".

ضابت عيناه بعث لها وحدها:

- كانت خططي لكِ أشياء أخرى.

لحظة نجل مرّت.. أخفضت رأسها وتنفست عدة
مرات تحاول استيعاب الكثير الذي يحدث حولها والذي
لا تعرف سوى نصفه بعد..

- ماذا سأفعل؟

تنفس بتمهل وكأنما كان يرتب الكلام في ذهنه قبل
تمريره لها، ثم قال بحزم:

- أولاً علينا أن ندمج تلك القبضة الرقيقة بسيف الأرقب.

شهقت.. دارت حدقتها بلا تصديق ما زال مسيطراً
عليها بعد:

- يبدو أمراً مستحيلاً.



دثر قلقها سريعاً بسطوته:

- لا يوجد مستحيل على زوجة "شاهق الأرقب".

وهنا نص انتمائها إليه.. إليه وحده، جذبها بهدوء، حاوطة جسدها من الخلف بذراعيه بلهسة أخطبوطية، جعل السيف في قبضتيهما معاً، كانت رقصتهما الخاصة.. يتحرك بها بحرص، يعلمها بمهارة "الأرقب" نفسه التحكم.. الثقة. هي لا تحتاج إلى تكنيك مبارزة، ولكن عليه ضمان وصول النصل إلى الساحرة. فرصة واحدة.. مرة واحدة. لا مجال للتردد لا مجال أبداً، ولا يجوز لغيرها ضربة السيف.

يأتي الغروب حتماً بعد كل شروق، تنزل الشمس لتشرب من نهر ما فلا تعود، ويُطل قمر تركه في زمان ما ثلاث إخوة. خطواتها بطيئة ميتة، وجهها أشباح موت، ضحكات عذراوات جوراً تتناثر ببعاء غريب مرعب، فتبدد السلام إلى الأبد.

- هل تعرفين أين نحن؟

قالها بعُجْهِية وهو يمدد ساقه على فرع شجرة عريض، وظهره يرتاح على الجذع ويمضغ ورقة شجر. هو سجان مختل يأخذ سجينته كل ليلة لنزهة ويطلب منها جمع الثمار وأوراق الشجر. حركت أهدابها ساخرة:

- وهل يوجد فارق؟



ابتسم بجموح:

- هيا هيا.. أريد أن أقيس قوة ملاحظتكِ.

كان يراقبها باستمتاع مراقبة الوحش للفريسة، لم يكن التهام قلبها في نيته، ولكن ما المانع من نيل هذا المذاق في النهاية.. مذاق قلوب بنات "ضوء القمر" كلهنّ.. الأربع.

قالت بلهجة حاسمة رغم إنها كها وساعات النوم القليلة جداً التي تناولها كل ليلة.

- نحن في الجنوب، لسنا في أرض العرش والمنطقة تبدو مهجورة من البشر.. إذن نحن على أطراف الإقليم من جهة المستنقعات المميّنة، المنطقة التي لا يقربها بشر.

مط شفّيته بإعجاب ثم التمعت عيناه:

- ذكية!

بلغة حرّة دون اكتراث برودة فعله تابعت مستنتجة بسخرية:

- ومنعتَ بذكر وحوش المستنقعات اقتراب أهل الإقليم من تلك المنطقة، ومن يقترب لا يعود. لم يعرف أحدٌ أن هذا مكان جيشك السري.

لوى ثغره بغرور:

- جيشي السري لا يتخطاه بشر، ومن يفعل ببساطة يموت.. لا يعود حتى لقص ما حدث.



لا يعود حتى لقص ما حدث.. تكررت الكلمات في عقلها، هو يقول ما تعرفه فعلاً ولكن رنة الأحرف وقعها في القلب مختلف، هو لن يسمح لها بالعودة.. مثلها مثل كل من اقترب من أرض جيشه، الفيلق المرعب.. العذراوات. لم ترَ ولا واحدة منهن من قُرب حتى الآن، لا تعرف تحديداً ما يمكنهنَّ فعله، ولكنها تعلم جيداً أنه لن يسمح لها بالفكاك من قبضته. نظرت إلى سلة الأوراق والثمار التي جمعتها ثم رفعت رأسها نحوه في جمود:

- هل هذا كافٍ؟

قفز فجأة برشاقة من وضعية جلوسه فأصبح أمامها، مط شفّيته باهتمام وهو ينظر إلى محتوى السلة ويفرّكها بيده ثم مثل كل مرة رماها..

- يبدو أن موهبتك الوحيدة القراءة.

تساءلت ساخرة بذبول:

- عن ماذا تبحث؟

ردّاً بجديّة تامة مباشرة:

- مذاق جديد للقلوب التي أتناولها، تلك التعسة التي هنا تجعل طعمها بشعاً!

ثم اقترب منها، مالت شفّته بقسوة مرعبة وقد قرص ذقنها بشراسة:

- ما رأيك أن تعديها أنتِ..



ثم تنفس ببطء وكأنما يستنشقها هي:

- ماذا تفضلين يا "بداية" أن تعدي المائدة أم تكوني أنتِ
المائدة؟

وتابع باستمتاع وعيناه تنتزه في ملاحظتها:

- تعرفين السر كله أم تغرقين في رقوق منقوصة؟

رغم كل شيء، رغم الرعب، رغم أسوأ توقعاتها التي
لم تصل بعد إلى وحشيته التامة، رغم المخاوف التي تملأ
رأسها رفعت عينيها في شجاعة نحوه:

- أعرف السر كله.. هذا قدرتي.

اقرب منها وبدت وكأنما نظرته تتغلغل في روحها:

- رائع.. إذن عليك تنفيذ ما أطلبه منك.

خفق قلبها بعنف رغماً عنها:

- وما هو؟

- سنذهب معاً إلى المعبد وهناك سيسلمني "شاهق"

القوق التي أثق أنه وجدها فعلاً وحينها يحين دور

أختك.. الصغيرة التي ستقتل "سيراب"!

هو دونها غارق، جثة في قاع الماء، تمضغه أسماك البحر.

كانت ملامحه تبرز بقساوة تامة ورجاله أمامه، هذا



يركض وهذا يلهث وهذا يؤكد أن مكان احتجازها على أطراف المستنقع، منطقة غير مأهولة لم يعبرها بشر وعاد.

قال بنبرة مثل النرف القاتم:

- سأذهب أنا.

- لا!

حزم أكثر رجل يكرهه في العالم الآن بعد البارود يظهر خلفه، تدفقت من عيني "شاهق" نظرة صارمة وقد أمر بإشارة يد جميع الرجال بالرحيل.

- آخر ما نحتاج إليه الآن فقدانك يا "بارق".

وهو رجلٌ فقد قلبه، فهل يكثرث بنفسه.. زفر بجحود ورمحه بدت جاهزيته باحثة عن الدماء:

- سأتدبر أمري.

قاطعته "شاهق" بصرامة حادة:

- نحن لا نعرف ما سنواجهه هناك.

- جيد سأحضرها وأعود لأخبرك.

- وماذا إن رأتك جثة!!

احتدَّ "شاهق" بعنف، كان هجوم ملامحه مثل زئير أسد مجنح:

- موتك لن يقدم لنا شيئاً..



انتفض، اشتعلت عيناه بكل معاني الغضب الممكنة،
غضب لن يهدأ ما دامت بعيدة عنه..

- أنت لا تشعر بالنار المتأججة داخلي.

ردّ الشاهق ببرود استفزه:

- جيد.. نحتاج إليها للحرب الكبرى.

صرخ بكل عزمه كي يستفيق الآخر، يترك الخطط وينظر
إلى حقيقة واحدة:

- "بداية" في قصر الوحش!

زفر "شاهق" وقد كان هو نفسه هادئاً بعد ثورة، من
داخله كان يعلم أنهم جميعاً سيصلون إلى تلك النقطة، أن
الفتيات هنّ دورٌ رغماً عنهنّ وعنه..

- أنت قلتها "بداية"، والبداية والنهاية في المعبد ولا نمتلك
الآن سوى مجارة التيار كي لا يتحطم قارب النجاة الوحيد
الذي نمتلكه.

زفر "بارق" فأحرق الهواء حوله، جلس مستسلماً على
صخرة وعيناه بهما بريق مثل بريق نصل رمح.. قاطع.

- قد نستقله ويغرق بنا.

بصوت خافت ردّ "شاهق" وهو يشد على غمد سيفه:

- ربما.. ولكنها تبقى على الأقل محاولة شرف.

ثم استدار بنظرة قاسية حاسمة:



- لن ينتصر الشرف وأنت تلقي نفسك بالتهلكة أمام امرأتك.

اصطكت أسنان "بارق" بقهر، قهر لأول مرة يظهر فوق ملامحه:

- امرأتي بين جدران رجل فاسد. أنا أحبس أفكارى السوداء كي لا أواجه احتمالات ما يمكن أن يفعله.

تقدم منه "شاهق"، ربّت كتفه مومئاً متفهماً للبحيم داخله، ربما لو كان مكانه لا اتخذ ردة الفعل نفسها.. أو أحرق الأخضر واليابس كما قال لـ "حرير".. إلا أنه تابع بعزم وحمية ابن عم في البداية نحو عائلته:

- "بداية" امرأة حرة، ستقتل نفسها لو لمسها.

وذئيل كلماته بعدها على الفور بحكمة جامدة سوداء.. حنكة حرب قاسية على الجميع:

- ولهذا لن يقربها.. لأنه يحتاج إليها حيّة.

استكمل على الفور وعيناه مع الأفق، مواجهة حاسمة قادمة وعلى الأغلب سيسقط الضحايا:

- البارود قادم وهي معه.. ستلتقي الجيوش عند المعبد.. جهّز حالك يا قاتل الذئاب.

التمعت عينا "بارق" لمعة نصله المتحفز.

- معركة؟



وهنا أوماً "شاهق" بتأكيد حكيم، صرامة "الأرقب" هنا لم تكن مجرد قرار.. بل رسالة.. تجمع خيوط الحرب بين قاداتها.

- بالتأكيد.. ولكن ليست كبرى.. حين تخرج "بداية" من المعبد بعد إتمام مهمتها سيحدث قتال شرس، وهنا عليك حمايتها.. عليك حمايتها هي وزوجتي.

بوادر العاصفة قاربت، وهو جهز نفسه لمعركة فردية مع البارود. مجازفة لا بدَّ منها كي يضمن هروب الطير من القفص المجهز له. فالبارود سيحارب بكل قوته كي يحصل على "بداية".. والرقوق.. وسيف الأرقب الذي الآن يعرف أن قيمته تفوق الحكايات المسربة عنه.. وعليه بكل ما يمتلك من قوة وحنكة أن يمنع هذا.

قهقهة

صوت ضحكته كاد يهز الجدران ولا مانع من البحث عن قلب منفعل بعد نشوة لالتهامه.

احذر؛ بارود سعيد

تجولت نظرتة فوق ملامح الساحرة باستمتاع:

- لا أصدق أنه أرسلك أنت.. "شاهق" ما زال قادراً على إبهاري.

رفعت "سيراب" حاجبها الأيسر باغتيال ثم قالت



مددمة وهي تسترجع ما حدث:

- كنت أظن أن أسوار أهل السرداب ستحميني،
فاتضح لي أن "شاهق" يسيطر على السرداب كله.

التمت عينا البارود باهتمام:

- هل قابلته؟

- لا.. أرسل إليّ أحد رجاله.

كان عقل "سيراب" متوجساً بما فيه الكفاية، هناك
أجزاء من اللعبة لا تفهمها.. "شاهق" واثق من خيانتها،
ولكنه لم يعاقب أو يناور.. بل أرسلها نحو عدوه. إلا أنها
سريعاً ما تثبتت بثقتها العملاقة..

- هو يعرف أنه يحتاج إليّ في المعبد، وأنت أيضاً تعرف
هذا.

التمت عينا البارود بسخرية:

- لا تقلقي يا "سيراب" أنا لن أقتلك.. لا أحتاج.

ثم مط شففيه بقسوة صخرية:

- ثم أنني لا أملك سيف الأرقب.

رفعت ذقنها بشموخ ساحرة عاهدت نفسها على الفوز،
هي آخر نسل الساحرات، وريثة قوة "حرير" الكاملة قريباً
وكل ما عليها نيل الحجر من المتباهي. لقد رضخت، ناورت،
ضخّنت، مضغت سيقان العناكب، ركضت في حشد



القاتل وتزوجت الباحث عن دور البطل ونسلها المينوتور..
حلها المينوتور.. وستحققه. قالت بيقين متطرف:

- أعرف أن "شاهق" سيسعى لقتلي، ولهذا لن أخرج من
هذا المعبد إلا ومعى زوجته.

التمعت عيناه ببحث وقد قرر الاستمتاع بالمرحبة، قدم
عنكبوت مهما فعلت لن تهزم للأسف خبث أمه.. أسوء
امرأة في التاريخ.

- أطربيني يا "سيراب".

تابعت متهمكة مجارية سخريته:

- أنت لك "بداية" والرقوق التي تريدها وأنا أريد الزوجة.

ضافت عيناه باهتمام تاركاً هوامشها الجمقاء:

- ما رسالتك من "الأرقب"؟

زفرت بالحروف مضطرة حتى ترتب أمورها:

- يقول إنه سيضع الرقوق في المعبد حين تضع أنت هناك
الريشة.

التوى ثغره بحماس، "شاهق" يجيد اللعب، متعة المباريات
قبل أن يلتهم قلبه بنفسه في النهاية، وقلب "نهاية"، وقلب
"جبار"، لا يكثرث بقلب آكلة العناكب، سيكون مطاطي
المذاق. ضحك ثم مط شفثيه بيأس:

- أمي أمي.. أكره تلك المرأة يا "سيراب"، لقد حافظت



على سر الريشة لسنوات حتى إنني بعد عقد كامل من
البحث لم أتباهَ أمامها حين وجدتها، وها هي.. "حرير"
الخبث النقي، اكتشفته ببساطة حين خطفتُ زوجة
الراعي، وثرثر عند البئر.

كان يحادثها بهدوء مستمتع رائق، إذ هو ينظر إلى
مشهده المفضل في الحياة، امرأة ميتة.. امرأة من دمائها
الحقيقة دون أن تدرك.. هي تظن أنه يحتاج إلى دماء
"نهاية".

- سأسلمها لك بعدما أنال الرقوق.

- تبدو صفقة مرضية.

ابتسم بهدوء وفرقع بأصابعه كي تأخذها خادمة إلى
غرفتها، كانت ذكية في التزامها بتعليماته، وضعت على
عينها عصابة كي تحمي نفسها من العذراوات!

عذراوات جورا

الجيش المستحيل هزيمته. النظرة نحوهم تحول اللحم
البشري إلى حجر، لن يكشف هذا السر الآن. تلك هي
هديته لجيش "جبار".

فوق طاولة الحرب بعض التوقعات يقين. سيخلع الجميع
ثوب السلام، ولا تفاجؤ إن وجد عجوز تركض بفأس في
جيش يسمى جيش الناجيات من "غاند". عبث عبث



ولكن مهلاً.. هو البارود. هو أصل يودوس.. بل أصل
آسيوس. منذ الخيانة كل شيء متوقع من "جبار"، ومن
ثمَّ النغول معه.. لم يقتلهم، ولكنه يعد له ولهم مفاجأة.
لوى شفّتيه بتمهل وهو يمضغ قطعة تفاح وينظر نحو ملاح
"بداية" المتجمدة أمام طعامها..

- هل تعلمين.. أحب الثرثرة معكِ، وجهكِ.. مريح.

قالت بهدوء مستسلم ثابت رغم كل شيء:

- وربما لأنك لن تسمح لي بالعودة أبداً.

كانت بشكل ما مسلوقة الروح. هذا المكان الذي
يحتجزها فيه يشبه الموت، المجهول البارد الذي لا تعرفه،
منذ صارحها بدور "نهاية" وهو يحتجزها في غرفة علوية، لم
يعد يسمح لها بالخروج رغم أنه يثق بأنها لن تخبر الساحرة
بشيء كي تضمن نجاة أختها.. وتلك هي متعة الشر.. الشر
موجود في الجميع، الاختلاف في الذرائع. طلّت من شفّتيه
ابتسامة تابوتية:

- سمرح معاً لا تقلقي.. أنا وأنتِ و"نهاية"، وبعد قتل
"جبار" سأنال عروسي الهاربة، سأكل ثلاثكّن على مائدة
واحدة.

لم تكن تعلم أنه يقصد كل حرف من عبارته بشكل
واقعي وليس مجرد مجاز، أما هي فالجواز أصابها بالغثيان،
الذبول ما زال يرهقها ليلة تلو أخرى والاحتجاز عبث
بالوقت في عقلها. فلم تدرك أنها تحمل في رحمها وريث



"الراعي" فعلاً، طفلة ستكون نسخة مصغرة منها ومن بأس "بارق". رفعت عينها نحوه بالقوة الكامنة داخلها والتي لا تعرف مصدرها بعد:

- سنرى.

غامت نظرتة بغضب حارق مثل الشمس، الساذجة الضئيلة تعانده وخبرتها الهاموشية لا تدرك ما يستطيع فعله، لا تعلم قوة الرجل الذي أمامها بعد.. تقدم منها ببطء، أزاح صحن لحم الغزال من أمامها وفرقع بإصبعه فجاءت خادمة على وجهها رعب مرتعش إذ لتوها طبخت "قلب" زميلتها. مطّ شفتيه بهدوء ثم رفع الغطاء من على الصحن الذي لم يكن يحتوي كما أمر على "قلب" الخادمة فقط، بل رأسها مقطوعاً في هدية درامية لسجينته العنيدة. انتفضت برعب حتى كادت تسقط من على المقعد، كل ما فيها أصبح يرجف حتى الجنين في رحمها. بهسيس هادئ تابع وهو يعيد الغطاء على الرأس ثانية:

- لنبدأ مجدداً يا "بداية"، من السهل ذبح فانٍ، ولكن يا عزيزتي من المستحيل قتل مسخ.
ومطّ شفتيه في انتصار مسرحي دوماً ما يكرره لأنه يحب هذا المشهد:

- بارود أول.. ثانٍ.. ثالث.. جميعنا الرجل نفسه يا عزيزتي.



لم تنهر.. مررها وهو يتولى تدريبها، يدمجها بالسيف كي يحقق كلاهما مهمته..

- "بداية" مع البارود.

حاربت قلبها الذي انتفض، يدها التي اهتزت.. شهقت
تبتلع الكلمات والهواء:

- الكثير يحدث مرة واحدة.

دفعت نفسها بكل قوتها نحو السيف أكثر، ماتت
"ضوء القمر"، غابت "قلب".. احتجرت "بداية"، الأدوار
تحاصرنَّ رغماً عنهنَّ والشجاعة أن تقبل كل واحدة
دورها. الوقت الآن حيوان مفترس، يلتهمها بلا رحمة..
ربما من الأفضل لو أغمضت عينيها ووجدت نفسها أمام
خط النهاية.. أمام دماء "سيراب"..

- خائفة؟

- كل لحظة!

- ستنجحين.. ثقي بهذا.

ورغم أنها تستند إليه بكل مكانها قالت في قوة غريبة، قوة
مررها هو نحوها بتركيز في الأيام السابقة:

- سأبذل قصارى جهدي.

ونظرت نحو انعكاس صورتها في السيف.

- من أجل "بداية".. من أجلك.. من أجل "قلب".. من



أجل الحقيقة التي تنتظرها يودوس.

ابتسمت بعدها وعيناها تسبح في ملامحه ثم قالت بحكمة:

- ما الشيء الذي قد يفاجئنا؟

تنهد ومتاهاته تشكل أمام عينيه، محاولة رسم حل لكل الاحتمالات الممكنة..

- أشياء كثيرة، أن يظهر بجيشه السري مثلاً جوار المينوتور، وهذا نحن لسنا مستعدين له بعده.. أو أن يدخل إلى المعبد معكّن وهذا أنا لا أريده.

تنحنت سريعاً:

- ألم تعطيك "حرير" ضماناً أن هذا لن يحدث.

تقلصت ملامحه بجديّة:

- تعلمت ألا أثق بها بشكل كامل.

كان كل شيء قد تمّ، أرسل البارود طائر التاج خاصته بالريشة ووضع هو الرقوق في المعبد معها كما الاتفاق. فعلها بسخط هو يعلم ولكن هل يمتلك كلاهما خياراً آخر. جذبها فجأة، يوجهها، يدربها، ويهمس.. حتى الجدران هنا لا يثق بها:

- "نهاية".. حين ينتهي الأمر في المعبد، ستفعلين ما سأقوله لك بحذافيره.

كي تلفت انتباه وحشٍ عليك أن تمر أكثر من فريسة،



والمسخ الذي يقاتلونه ليس سهلاً. لقد سيطر على يودوس سنواتٍ طويلةً، مسخ دموي من الممكن أن يفعل أي شيء. في اللحظة التي ستخرج فيها "نهاية" و"بداية" من باب المعبد ستفجر معركة مميتة ولهذا عليها ألا تخرج من هذا الباب أبداً.

نصف ضوء نصف ظلام.. خادم الشمس خادم القمر.
نصف الحقيقة معه، نصف الحقيقة مع أخيه. قلب
وقلب.. زال منهما الخفقان. أحدهما نُزِعَ والآخريات!
نهضت من البئر بتناقل.. مشطت شعرها الطويل الشبيه
بشلال أسود. كانت تبدو جميلة وكأنها امرأة في عقدها
الرابع. مياه البئر تسرب من بين أصابع قدميها، وينبض
الدم الأزرق في عروقها.. دم لم تفلح ساحرة العناكب
في نيله مهما قضمت منهم، ولكن يبقى دمها هو ما تحتاج
إليه. تفتت ابتسامة قائمة على شفيتها وخادمتها الحداة
تركع:

- لقد ابتلعت ساحرة العناكب الطعم.. سيأخذها البارود
كما خططنا إلى المعبد.

أطلّ صوتها بانتماء قائم إلى الظلام:

- رائع، الجميع الآن يتجه إلى الهدف نفسه.

رفعت الحداة حاجبها في إعجاب:



- سيتجه جميعهم نحو المعبد!

غامت عينا "حرير" بانتصار:

- لا يملكون خياراً آخر.

مثل سواد مشتعل بحماس سحر أسود سألتها الحدأة:

- وبعدها؟

وبعدها.. أُشِعِلْتُ نار البداية في آسيوس منذ عقود،
والآن حان وقت النهاية.. أُشِعِلْتُ نار البداية فوق فراش
ملك حين أنجبت له توأمان. مشعوذ وبارود. أُشِعِلْتُ نار
البداية حين سقط قرء.. حينها بدأ كل شيء!

زامت مثل حيوان ليلي.. انتفض السواد في مقلتيها،
خرج من أعماقها مثل عواء شياطين غابة مسكونة، بعدها
لا مجال سوى لشيء واحد.

- البقاء للأقوى!

تهرب.. تركض.. تكون معه وكفى حتى لو في قصر
مظلم. حتى لو في شاطئ بحر تحرسه أفعى! مالت نحو شفتيه
بطاقة كاملة.. لا يعلم ماذا حدث ولكن فجأة اختفى
الذبول. انتفضت بطاقة مثل وعاء زهور حية.. مثل مذاق
فواكه سحرية لا تنبت سوى في شامبالا نفسها. همس
بنشوة امتلاكها رغماً عنه:



- مذاق لحم شهبي!

اتسعت ابتسامتها ببراءة مشاكسة:

- تتحدث مثل قنطور.

ضيق عينيه بمكر واحتوى خصرها فجأة فسقطت فوقه ثم
دار بها على الصخور ورذاذ الموج يناوش جسديهما:

- لا تستفزي جنون الوحوش يا جميلة.

استقامت برونق سحري خاص بها.. من بعيد ترى
"غاند"، ترى حارسها الدؤوب.. تجاهلت كليهما وقد بدت
كلها في سكرة، غياب تحتاج إليه.

- هل تعلم أفقد كلينا في الغابة.. أغمض عيني الآن
أتخيل أنني بها.

أغمضت عينيها.. سكنت ملامحها كلها في سلام،
حاوطها بذراعيه من الخلف ثم أغمض عينيه معها ثم قال
هامساً يواكب خيالها:

- أستطيع شم عبق حساء الخوخ.

ضحكت من مناوشته ومنعت الحزن من التسلل.. كتمته
هو والذبول بكل قوة تمتلكها:

- هل تعلم.. كانت أجمل أيام حياتي.

عقد حاجبيه وأدارها نحوه، هزها كي تنظر إليه:

- كانت؟



خطفت شفتاها الابتسامة تلك المرة بصعوبة ووضعت
كفيها على وجنتيه وتابعت:

- لقد فقدناها الآن.

لم تكن قبلته حينها لأناملها مجرد قبلة عادية، كان يندمج
بهما بكل طاقته:

- أمامنا هنا كل الأيام الممكنة.

لم تستطع أن تحتل أكثر.. كان يعلم أن هذا سيحدث
ولكنه كان يعاند.. يعاند بكل جبروت وتشبث وخيال
وسحر وقوة وحوش أربعة. ذبولها ليس مجرد قُبْح تلك
المرة. روحها تموت.. روحها لا تستطيع الابتعاد عن
الغابة. سقطت بين ذراعيه فجأة، عالمه تفجر.. البحر
أسود و"غاند" بلا قيمة والسماء تنطبق فوق رأسه. صوته
اختنق.. تحشرج وهو يضمها نحوه:

- لا!

أما صرخته بعدها فصمت الآذان. وانتفضت أرض
الثلج كلها.

- يودوس!

حملها بين ذراعيه وصعد بها إلى غرفته، مددها على
الفرش، غاص بقبلته في عنقها.. عيناه بدت حينها كمن
يحمل في قلبه عبء جبل.. بل عبء يودوس كلها، بنظرة
مثل صعقة اتخذ قراره. قراراً ليس فيه رجعة.



حان وقت اللقاء مع أمه.. حان وقت لقاء "حميد".



الفصل السابع عشر

"شاهق الأرقب" .. الرجل الأول في يودوس .. أخطر الخلايا النائمة ضد البارود. أحق الرجال من تمثل لهم الحرب هدفاً، وأخطرهم من كانت الحرب له وسيلة. وسط مجموعة حراسه المقربة جلس "شاهق" وقد تحفّزت كل ملامحه الحادة للقادم، خطط المتاهات لا تنتهي، وإن فاجأته الأحداث أكثر من مرة. على طاولة مستديرة وفي صمت ما قبل طلوع الفجر وضع ما هو أشبه بخريطة لمنطقة المعبد، المدخل والجوانب ومحاولة البحث عن ثغرة. لقد أمّن هذا المكان ضد الثغرات جيداً وحرص ألا يكون له سوى مدخل واحد فقط حماية لما في داخله. ولا يبدو الأمر سيئاً الآن، فالثغرة له وعليه، ولكنه حتماً كان يحتاج إلى مخرج سري من أجل "بداية" و"نهاية" بعد إتمام مهمتهما.

قال الرجل الأضخم من حراسه بحماس:

- دعني أذهب مع السيدة "نهاية" .. سأحميها ثق بهذا.

أجاب "شاهق" بنبرة ثابتة:

- أعلم هذا جيداً يا "نائر"، ولكن على الأرجح ستدخل

ثلاثتهن إلى المعبد فقط .. "حرير" ستحرص على ذلك.

- هل أخبرتك؟

- نعم، ولكنني تعلمت ألا أثق بالساحرات.



ثم توحشت نبرته مع أن عينيه كانتا باردتين مثل مثل صقيع
ميت:

- أنا مع البارود.. لو دخل سأدخل معهم ولو لا فيني
وبينه معركة.

كان الحراس يعرفون شجاعة "شاهق" جيداً ويدركون
مهارته الفائقة في القتال. ولكن البارود مسخ.. مسخ
حارب لسنوات ولا يعرف أحد تفاصيل قدرته القتالية
فلم يروه من قبل يحارب يوماً. تقدم "نائر" بحماس المحارب
الأصيل:

- نحن نحتاج إلى قوتك كاملة في الحرب الكبرى يا
سيدي.. تلك مجرد مواجهة.

رمق "شاهق" الظلام المختلط بظلال الغابة المحرمة من
بعيد وقد أظلمت مقلتاها الحجريتان بالعهود التي عاهدها
لنفسه، ثم قال بصوت رخيم:

- لو خسرنا تلك المواجهة يا "نائر" فسنكون قد خسرنا
الحرب.

ثم تابع بنظرة متفحصة لسفوح الجبال القريبة وقال بتنبيه
خاص يعرفه رجله الأول:

- حان الوقت لتستدعي أصدقاءنا من هناك..

- للمواجهة؟



- لا.. لن أغامر بكل البطاقات لدي.. أحتاج إليهم
للحرب الكبرى، أخبرهم بالحرف "شاهق الأرقب"
سيفي بوعده".

"ذوو الرؤوس الضخمة"

مجموعة قديمة من ما قبل يودوس لهم بنية متوسطة نوعاً
ما، ولكن رؤوسهم ضخمة وعيونهم كبيرة ولهم قبضات
قادرة على حمل فؤوس قوية قاتلة لأعدائهم، طبعاً لم
يكونوا بقوة جبارة مثل رجاله أو قوم السرداب أو جيش
الخنديق، ولكن في زحام الحرب العدد فارق، خاصة أنه
يتوقع فقدان الكثير من الرجال في معركة الغد. عددهم
ضخم يقدر بنحو ثلاثين ألف رجل وامرأة وطفل والجميع
يستطيع القتال.. لديهم التاريخ ولكنهم عاهدوا الجميع على
الصمت ولا يكثرثون بالفائز أبداً. سيساومهم.. الحرب
لا تعرف الشعور.. الخبط فقط. لديهم رغبة واحدة
وهي الخروج من يودوس. رفض البارود تحقيقها، ولكنه
سيحرص على أن المشعوذ يفعل. وولاؤهم قابل للتغيير.
هي مجازفة ولكن المجازفة في الحرب أفضل مائة مرة
من السير نحو طريق الهزيمة. دفأ "نائر" يديه قرب النار
المشتعلة جوارهم ثم قال بحكمة المحاربين:

- إذن بعد المعركة جوارك يا سيدي لدي رحلة طويلة.

نظر "شاهق" بتقدير لأوفى رجاله الذي يعلم جيداً أنه لن
يترك مواجهة الغد أبداً حتى لو هُرس تحت أقدام المينوتورز



الثقيلة. تبادلوا جميعاً النظرات بحسم وكانوا يعلمون جيداً أن معركة الغد بها الكثير من الموت. الخوف عند المواجهة الأولى لن يكون أبداً في مصلحتهم، خاصة أن البارود سيستعرض قوته بالتماثيل المسحورة. ولحظة الخوف تلك ستكون بداية الهزيمة.

سيقاتل بالحيلة مع القوة.. لا سبيل سوى هذا، فلا جدوى من مواجهة حجر مسحور بقوة مميتة قادر على اكتساحهم بلا رحمة. الحيلة ثم الحيلة.. والبداية معه هو ورجاله. أما العنفوان المشبع بالغضب.. فسيتركه لـ"راعي".

عدو عدوي صديقي! حكمة التاريخ التي لا تفقد قيمتها أبداً.

- رجالي سينهمرون عليه هو وتماثيله مثل سهام محترقة. كانت ثقة "بارق" مغلفة بالحنق، عيناه لا تنام، ولا يعطيه الزمن سوى صبر مغلف بقوة امرأته البعيدة عنه.
- أنا لا أهتم في تلك المواجهة سوى بأخذ امرأتي يا "شاهق".. فليحترق المعبد ولتحترق يودوس.

تنفس "شاهق" بهدوء وهو يعلم من داخله صعوبة تمرير صوت العقل لـ "بارق" في تلك اللحظة وببساطة لم يكن يحتاج. أحياناً كل ما تحتاج إليه لتشتيت الخصم في الدقائق الأولى من المعركة قطع ثائر! حتى لو كان سيفقد



نصفهم. عقد حاجبيه ثم قال بجدية ثابتة النبرة:

- افعل ما تريد، ولكن بعد دخول "بداية" و"نهاية" إلى المعبد.

- أنا لا أريد دخولها المعبد من الأساس.

- هي ستريد هذا.. أنت متزوج من امرأة غير عادية..
امرأة من عائلة الأرقب فتقبل هذا يا "بارق".

تابع "شاهق" وهو يرمق باهتمام قوته الجسمانية الواضحة على جسده:

- أعلم جيداً أنك تستطيع الصمود في مواجهة مينوتور وربما هزيمته، ولكن فقط واحد فقط أنت.. باقي رجالك لا يستطيعون.

دمدم "بارق" بطيش رغماً عنه:

- سنأخذ فرصتنا...

قاطع "شاهق" بحزم قائم:

- هل تريد الموت أمام زوجتك.

ثم التمت عيناه بقسوة قادة الحرب التي يعرفها "بارق" جيداً ولكن همجية المحارب داخله تنتصر لامرأته.

- البارود نفسه لن يجازف بقتلك أمامها لأنه يحتاج إليها لقراءة الرقوق.

- ماذا تريد؟



بتر بها "بارق" الحوار بحزن محتق يدعي الثبات، عقله
بات عاجزاً عن التخطيط، رحمه يبحث عن الرقاب حتى
يصل إليها.. حتى "غضب" لم يعد يفكر فيه ولا في خيائه.
هل بدّله إلى تلك الدرجة؟ صنعت من العضلات قلباً
بات هشاً بفقدانها! قلباً يريد أن يصرخ.. يبكي.. يشق في
لوعة على الفقد. يخنق عنق المسخ الذي لا يموت أو يقطعه
فيصبح حاكماً بلا رأس.

جاوب "شاهق" بحزمه المعتاد الكاتم لانفعالاته:

- لن نغامر بكل رجالنا في المعركة، خمسة آلاف يكفي..
لن نجازف بالجميع، والمعركة ستبدأ بعد دخول "بداية"
و"نهاية" و"سيراب" إلى المعبد ليس قبلها.

- وحدهنّ؟

- أفضل خيار لنا أن يدخلن وحدهنّ.

- خمسة آلاف ضد خمسة عشر ألفاً منهم المينوتورز.. أنت
تقودنا إلى الهلاك يا "أرقب".

خبث الحرب شرس.. على الجميع. هي مجازفة بالتأكيد
ولكن ليست هزيمة، الهزيمة ستكون قاصمة لو ألقوا
برجالهم كلهم في الهلاك. نبرة "شاهق" كانت قسوة
القيادة:

- الموت حتماً سيحدث غداً.. ولكن ليس من مصلحتنا
خسارة الجميع، ما أسعى إليه هو الفوز بالوقت ليس أكثر



حتى يحين وقت خروجهنّ من المعبد.

بحكمة قائد حرب أخذ "شاهق" يرتب فوق الطاولة قطعاً من الحجر الصغير المميزة بثلاثة ألوان بين الأبيض والأسود والرمادي. الأسود جيش البارود من فيالقه المتعددة والأبيض رجالهم أم الرمادي فهم تماثيل المينوتورز.

- من جواسيسنا علمت أنه قادم بكتيبة من خمسين تمثال مينوتور على الأرحح سيحيط به وب"بداية" نصفهم والنصف الآخر سيَطَوَّق المعبد من جميع الجهات.

ثم بدأ يرتب القطع في وضعية الحرب:

- هنا سيلتقي رجالنا رجاله.. معركة استنزاف، خمسة وعشرون من المينوتورز لن يشاركوا في المعركة.. هدفهم سيكون "بداية" و"نهاية" حين تخرجان من المعبد وبالتأكيد سيكون معهم ثلاثة أو أربعة من قادة فيلقه الأول.

- وجيشه السري؟

- تأكدت لن يظهره الآن.. هو يدخره للحرب الكبرى.

تابع بعدها "شاهق" بعملية:

- خمسة وعشرون آخرين سيتواجه معهم رجالنا.. يبدو العدد بسيطاً، ولكن مع خمسة عشر ألفاً من الجنود خاصته كلانا يعرف أنها معركة موت.

دار "شاهق" حول الطاولة ثم وضع بعض القطع الخشبية في الجانب الأيسر لجهتهم.



- هنا الرماة.. هدفهم سيكون رجال البارود، لن نبدد سهامنا على المينوتورز.

ثم تحرك إلى الجانب الأيمن ووضع قطعاً خشبية أكبر حجماً:

- وهنا المجانق لن تفتت المينوتورز، خاصة أن حركتهم سريعة جداً، ولكنها كافية لبعض الفوضى في البداية وسنستخدمها بحذر.

أشار "بارق" نحو نقاط المواجهة المحتملة:

- كي لا يهلك رجالنا منها أيضاً.

زجر بعدها متابعاً وصورة البارود ترسم أمام عينيه:

- أريد المسخ.. أريد قتله.

كان "شاهق" يفهم جيداً الثورة بين ضلوعه، ولكن الثورات تمتلك حماقة الجموح ولهذا نصفها يفشل. قال مرتباً كتفه:

- أحتاج إلى قوتك لعزيمة الرجال.. لا يجوز أن نخسر المعركة في أولها. يجب أن يرونك وأنت تهزم مينوتورا.

بريق أسود مشتعل هو احتلال عيني "بارق":

- فورة شجاعة سنتهي بهلاكهم وأنت تعلم.

- في الحالتين هم هالكون بلا محالة إذا ما واجهوا تلك المسوخ.. فلنجعله هلاكاً بشرف. كي لا نمرر الهزيمة



للمواجهة القادمة.

سخر "بارق" بظلمة رغماً عنه:

- الحرب التي تعتمد على المشعوذ.

وشاهق ينصت.. علَّه الصمت على مدار سنوات
الإنصات، للعدو وللصديق ولحجر الأرض نفسه لو لزم
الأمر. قال بعزيمة تحمل قوة دروع الحرب في ذروة القتال:

- نعم المشعوذ.. تلك هي الحقيقة التي يجب أن تعلمها..

لن نفوز بتلك الحرب من دونه.

عقد "بارق" حاجبيه بتفكر، ثم فجأة جنح نحو اللحظة
الأهم.. النهاية.. خروجهنَّ من المعبد:

- وماذا عن تلك المعركة؟ ماذا سنفعل وقت خروجهنَّ؟

أغمض "شاهق" عينيه وعاد لتكرار أساسيات خطته للمرة
المائة، يجب أن يكون الخروج سريعاً، في لمح البصر..
لحظة مفاجئة للتماثيل الحمقاء والرجال وقبلهم البارود.
لحظة مجازفة لا محالة إذ الرجل الذي سيفكر في اختراق
جحافل المينوتورز ستهشم عظامه، ولهذا فإن السبيل الوحيد
حريق؛ مجائق الزيت المحترق ستفتعل حريقاً إن لم يصب
المينوتورز بأذى، وهذا أكيد، سيشتت الرؤيا بالدخان
الكثيف. وحينها سيحين دور رجال الخندق، العيون
المعتادة على الظلام.. سيأخذون زوجته وابنة عمه إلى
مناهاته.



عبس.. بعد ساعات من ملامح الاكتراث عبس فجأة،
تمايل فوق شفثيه تعبير غاضب وحرّك وجهه أمام المراة
بجدية تامة:

- لا أحب موعد هذه المعركة، كنت أفضل أن يكون
شعري أطول قليلاً!

في حضرة "بارود".. لا لتفاجأ من شيء أبداً!

حان الوقت

وها هي متجمدة، ثابتة بعد صدمة اكتشاف المسخ.
كانت تظنه نرجسياً.. مختلاً بزهو مبالغ فيه، أسوء ما في
الخوف منه جبروت تماثيله. ولكن أن يكون هو المسخ!
كانت تعلم أنه يريد أن يفرض سطوته عليها بالفرع، يضمن
خروجها من المعبد راضخة له وهي مؤمنة أنه الخطر الداهم
الذي لا نجاة منه سوى بالاستسلام. ينهكها فيأخذها من
أقصى اليمين إلى اليسار في انفعال مختل. بالأمس قلب
مذبوح واليوم متبرماً من شكل خصلات شعره!

احذر بارود.. رجل قتل التاريخ، وينوي نحر المستقبل.

بدا منتشياً رغم كل شيء بزيّ الحربي، هو عادة ما يجب
ارتداء نفس ملابس فيلقه الأول دون تمييز في هيئته. وإن
كان ظهوره تلك المرة سيكون استثنائياً، "البداية" جواره
وحولهم تماثيل المينوتورز. عقد حاجبيه بجدية وقال وهو



يحادثها ولكنه كان ينظر إلى المرأة إلى نفسه:

- أتمنى ألا يتهور "بارق"، لا أريد بداية اليوم بقتله أمامك.

خشن صوتها وبكل عزيمة ممكنة لديها حذرته:

- لن تقربه.. لن أقرب الرقوق إذا ما آذيته.

- لا تقلقي.. لا يوجد لدي وقت لهذا الهراء!

قالها بحزم، عيناه التمعت بما يشبه حريق الشمس من قرب وكان آخر همه هراء عاشقين مثيراً للشفقة. الغيم الأسود قادم.. المينوتورز سيفتكون بالجميع. ولا مانع من وضع العاشقين في نعش واحد.

اقرب منها بهمس هادئ حتى كادت شفثاه تلامس شفثتها:

- لا تقلقي.. سأحرص على أن تكوني معه في النهاية.

انكشيت بكرامة امرأة حرة وابتعدت عنه، رفعت ذقنها في شموخ رغم كل خوف وتعب ووجع:

- متى سرحل؟

- متعجلة؟

- لنتهي وكفى.

تنفس باستمتاع ثم مط شفثيه بنخبث وهو يغمز لها:



- نحن في انتظار امرأة العنكبوت.

"سيراب" العمياء عما يحاك من أجلها، لا تعلم أن "حرير" قررت التخلص منها بيد عصفورة عابرة. السيناريو يعجبه.. هو بارود يحب المفاجآت. عاش كثيراً فلم تعد تبهره المؤامرات المكررة. قال بنبرة طاووسية مستمتعة وهو يسكب لنفسه نبيذاً ما قبل الرحيل:

- هل تعرفين يا "بداية" رغم غضبي من "جبار"، فإنني صفت له، على مدار سنوات طويلة لم يستطع أحد خداعي بتلك المهارة.

ثم أشار إلى ركن خاص في غرفته وقال بتلذذ:

- سأحتفظ بتمثاله المتحجر هنا وسأكل قلب "قلب" أمامه.

تجاهلت تلميحه البشع، مر الوقت وها هو نسيم الصباح صامت، تشعر أن الرياح حول هذا القصر كثيفة، عذراوات جورا اختفين بأمره وجيشه الضخم يقف في انتظاره عند البوابة. كل شيء حولها يبدو مستحيلًا للغاية وحقيقياً للغاية أيضاً. دروع.. خوذات.. سيوف.. تماثيل رؤيتها تزرع في القلوب رعباً يشبه الدوار. تحت رداء أزرق قاتم بقلنسوة اختفى جسدها الضعيف، وضعها على حصان جواره، والساحرة على الآخر. بدأ إيقاع حوافر الأحصنة التحرك بانتظام، التماثيل تحيط بهم من كل جانب وحوهم الفيالق خاصته بألوان دروعهم



المختلفة. نرجسيته مثل تاج فوق عرش مناجل. حان وقت الحصاد.. بعض الدماء كي يدخل رجاله لأجواء المعارك، فرغبة القتل أحياناً من كثرة الملذات تفتري. دروع حديدية.. برونزية.. ذهبية.. فولاذ يلتمع تحت أشعة الشمس الحارقة. خيول الفرسان في البداية والمشاة خلفهم، والرماة مدربون على اتخاذ مواقعهم. المينوتورز كانوا مجموعتين؛ واحدة تحيط بها هي والبارود وسيراب، وأخرى في المقدمة على ما يبدو لها مهمة أخرى. أصواتهم فقط زججرة خشنة دون لغة مفهومة. الهتاف كان للبشر وتوقعت مثل جميع أهل يودوس أن حركتهم بطيئة ثقيلة ولكنها تفاجأت أن منهم من هو أقل حجماً ولكنه يمتلك سرعة مخيفة مع مهارة قتال حد نحر ثلاثة فرسان بضربة سيف واحدة. جيش البارود ليس مجرد كرنفال استعراض أو زرع خوف كما حدث مع فيلق الصفوة. هو ببساطة جيش قادر على الفتك بلا رحمة.

معسكر النغول.. أرض الموت

- انظري إلى عين عدوك!

أحد دروسه الهامة لها.. هي حين تُمسك بالسيف تتجاهل النظر نحو عين الرجل الذي تنوي قتله، الوحيد الذي نظرت إليه كان "رشد" في نوع من الانتقام المظلم. ولكن مبارزات الحرب خالية من الانتقام. هي لحظات بقاء



بتركيز في ذروته كي تحافظ على حياتك.

مطت شفيتها بغرور:

- لا أحتاج، أريد النظر إلى قلبه، وضعية السيف في

يده.

كان يتحدث وهو يبارزها في تدريب خفيف:

- قراءة عين العدو مهمة، ومفيدة أيضاً لتخويفه.

حدقت إلى دُكنة عينيه بشقاوة:

- بالنسبة إليك أنت، طبعاً سيخاف.. هل يتحمل

المحاربون النظرة من "جبار".

كانت تناوره بمهارة، مستواها اختلف.. نظر إليها

بتفحص ما كرك:

- يبدو أن "رام" لقتك بعض الدروس.

- إنها داهية أحب تلك الفتاة.

- وأنا أيضاً.

ابتسامته الهادئة مع الردّ أكدت لها أهمية النغول لديه،

ليس كما وصفته "رام" من قبل أن الموت له أمر اعتيادي،

قلب "جبار" خندق فيه الجميع يتوه. بعاطفية أنثوية تصيبها

فقط معه تابعت:

- تخاف عليّ أيضاً؟



لم تدرك تأثير ما قالته إلا حين لمحت سقوط السيف من يده، اكتساحه إياها حتى شعرت أنها فقدت ملكية شفتيها من الأساس، حين انتهى ورفعت عينيها لتلتقي بعينه لمحت الفولاذ القائم في بريقهما.. وبحرارة قائمة تعتصرها، سيطرة المحارب.. سيطرة الرجل.. سيطرة الجبار.. قال بلهات صارم:

- لا تنطقي بتلك الأحرف مجدداً. لن يصيبك مكروه ما دمت حياً أو حتى ميتاً..

وعلى الفور عاد لالتقاط السيف، حكمة السلاح عُرف المحاربين، وجهه نحوها وعيناه لا تنظر مجرد نظرة.. بل تتوغل فيها، تقرأ وتسيطر.

- انظري إلى عيني عدوك، اقرئي خطواته قبل أن يخطوها، شجاعته أو تردده. حاصريه، اجعليه يرى موته في عينيك ثم أجهزي عليه بحركة واحدة.

والسيف قاصم، قاسٍ عليها بكل قوته الآن، فالمعارك لا تعطي فرصاً ثانية.

- لن أفقدك في هراء المعارك يا "قلب".

سرعان ما جارتها، كانت عاشقة ومجتهدة وعنيدة.. تبادر وتدافع وفضولها يوازي غرورها رغم دوار القبلة:

- السيف أم القوس؟

ردّ وهو يبارزها بمهارة هادئة تلك المرة:



- القوس مهمتكِ والسيف قوتكِ إذا ما احتجتِ إليه.

- الأسهم.. أنتِ تدرِبي على أقواس أكبر.

- نعم.. وهذا مقصود.

- هذا رائع.

والحماس رائع حقاً، ولكنه أحياناً يغفل عن رؤية التفاصيل. فكرت بتركيز وهي تحرك سيفها:

- إذن أنا في المسار المفترض لم تبدله؟

- لا.

- سرعة جبارة.. أقواس ثقيلة.

وصمتت لوهلة وتولد لديها يقين، عاشرت المحارب وها هي شقيقة النبال والسيف، عاشرت القائد وها هي تخطط، وعاشرت الداهية.. من استطاع خداع البارود.. وها هي تقترب من الحقيقة.

- مهمتي ليست قلباً بشرياً يا "جبار".

امرأة الأرقب

جبينها متعرق، خطواتها متوترة تمارس العدّ وهي تتحرك بالسيف، وعيناها تدور في ألف اتجاه. احتواها فجأة فمرت بجسدها ارتجافة كاملة ثم سكنت. رفعت رأسها باحتياج صامت نحو صرامة عينيه التي طالما ما امتلكتها وشتتها



وفعلت بها الأفاعيل، فالت شفتاه بابتسامة خاصة بها
فقط دوناً عن جميع البشر:

- لا تخافي!

لم تجب، حاولت التثبت بالشجاعة التي تستعيرها منه،
إلا أنه تابع بحكمة وهو يقوضها بذراعيه:

- أعلم أنك ما زلتِ خائفة يا "نهاية".

ثم أدارها نحوه، رفع ذقنها النحيل لترتفع كل ملامحها
له، ثم تابع بنبرة تستحق أن يخلدها التاريخ كما احتلت
مكانها الآن:

- زوجة الأرقب لا تخاف أبداً.

حشرجتها الضعيفة خرجت بعفوية قاتلة، حتى إنها ضمت
أناملها فوق صدره ثم نقرت بها مثل طفلة مترددة مع
الحروف:

- أخاف أن أخذلك.

كانت صادقة جداً، لم تكن تفكر في لحظتها في نفسها أو
مستقبل يودوس، بل تخاف خذلانه، تخاف أن تفشل
بعد ثقته بها. غامت عيناه وهو يحاول سبر أغوار الثقب
السري في نبوءات "حرير". لقد ارتبط السيف بنهاية
كي تنخر دماء آكلة العناكب، "نهاية" دون غيرها، وهذا
لا يوجد له سوى تفسير واحد. لأنها الأخت الأقرب
للرابعة.. شاء قدرها أن تلتقط قوة ما تجيز لها استخدام



السيف كما المطلوب منها.. ولكن إن ترددت، أو انتبهت
"سيراب" .. فالعواقب غير مضمونة.

" الدم سيراك وعندها سيتضح السر الأكبر.. سر
يودوس".

كلمات "حرير" لا تزال في أذنيه، هو يعلم المطلوب لعودة
قوى المشعوذ كاملة وعاهد على تنفيذه، "جبار" أيضاً
يعلم.. ولكن سر يودوس.. البداية والنهاية وتفصيل ما
بينهما ستقرأه فقط "بداية" ومن خلال الريشة المغموسة في
دم "سيراب"، والبارود سيكون حريصاً أن تقرأه له! لن
يتركها.. سيهرس رجاله ورجالهم لا يبالي كي يحصل على
تلك الرقوق.

التقط أنفاسه بعنف وسحبها نحوه فجأة، عانقها بكل طاقة
عشق امتلكها لها يوماً، غرس شفثيه في عنقها بجوع حار
لها فقط، لها في لحظات خارج تعقيدات متاهاته.. ثم
ابتسم بحكمة وأعادها لتصبح أمامه وهز كتفها بنظرة بدت
مصيرية:

- "نهاية الأرقب" ..

همست بعجز:

- لا أفهم.

تابع بتوكيد مرتب:

- نهاية عهد سيف الأرقب معنا.. أنتِ آخر من سيلبسه



من العائلة.

- وبعدها؟

ترقق الضوء المتسرب من النافذة فوق عينيه ثم قال
بيقين صلب:

- سيعود.. سيعود إلى مالكة الأصلي.

شعرت بالتيه، السيف معها حالة أخرى، تشعر وكأنما
ينتمي إليها بشكل ما، وهذا غريب، تأرجحت الأفكار
في عقلها وعادت لتتذكر النبوءة التي تقودها نحو دماء
"سيراب". هل تزوجت "سيراب" "شاهق" فقط من أجل
أن تقتلها هي؟ خبث "حرير" فوق استيعاب عقلها الصغير،
لقد وضعتهم جميعاً مثل الأجرار كي تصل إلى ما تريد
تماماً. وها هو السيف سيمضي في رحلة من ملكية "شاهق"
لها ثم إلى آخر بعد أن يصطبغ بدماء آكلة العناكب.

تساقطت أحرف السؤال على شفيتها:

- كيف؟ ومن مالكة الأصلي؟

والجواب واحد.. البداية والنهاية والقصة المخفية في
الرقوق.

- وريث مملكة آسيوس.

ما قبل لحظة مواجهة



اصطدام أجساد وفولاذ وحجر. شهيق زفير.. بوق حرب.
حان وقت الدماء يا يودوس.

هل حقًا يراها أمامه.. لحماً ودمًا وقلبًا وروحًا وعينين.
بين "البارق" وبدأيته مسافة قاتلة لروحه، ولحظة أكثر
قسوة من هرس ألف ناب في جسده. دقائق قلبه الآن
بلغت حدًا مميّتًا. عيناه تسافر وتخترق الفيلق الأول ووجوه
المينوتورز الصارمة وتصل إليها.. حريق حمضي ينفجر في
دمائه، واللهيب الداكن يعود إلى زرقة خاصة فقط بسببها
ولها. كانت هناك تمتطي بشموخ فرسًا جوار عدوه، وجهها
به هالة حكمة قائمة وعيناها تتعمد عدم النظر إلى أي
شيء، مندججة مع الفراغ وكفى.. حتى إنها لا تراه.. لا
تبحث عنه! ماذا فعل بها هذا المحتل! زجر وأراد اختراق
الصفوف وحده رغم يقينه باستحالة الأمر، صيحات
الحماس حوله من الرجال نائرة رغم الرجفة الأولى لرؤية
المينوتورز. مندوب من جهتهم وآخر من هناك واتفاق على
ممر آمن لثلاث نساء فقط أمام مدخل معبد. أكثر من
هذا لا يجوز، لو التقى هو وشاهق والبارود في مواجهة
الآن لبدأ الهرس مبكرًا ولن تخرج امرأته ناجية.

أما هي فتتنفس بصعوبة، تشعر وكأنها لا تسمع شيء من
صيحات المقاتلين، أصيبت بالصمم وأذناها تلتقطان فقط
صوت أنفاسها. المسخ جوارها مختللاً، يرمقها بطرف عينيه
ثم فجأة يقول لها بعنف حاد وحصانه يقترب من حصانها:

- اشربي هذا!



- ماذا؟! -

- ستفقدن وعيكِ أيتها الغبية وأنا أحتاج إليك يقظة.

تجرعت ما قدمه مضطرة، مجرد عصير فواكه مع قطع مجففة من الزبيب. كانت حقاً في أضعف حالتها وتكابر، القليل جداً من الطعام الذي تناوله جعل جسدها يثار منها الآن ويأخذها في التيه رغماً عنها. دوي الطبول حولها ينبئ بالقادم، جيش البارود يبدو ضخماً جداً يفوق رجال "بارق" و"شاهق" أضعاف المرات. نالت قوتها ولكنها تجمدت، تشبثت بقوة ورثتها من صاحبة الندوب الكبرى.. "ضوء القمر". لم تبحث عنه.. لم تسمح لعينيها بالضعف كي لا تمرر له ضعفاً أسوأ يحرق به الأخضر واليابس ونفسه قبلهما كي يصل إليها.

ابتسم البارود بجبروت هادئ:

- تقدمي يا حلوة.. حان الوقت.

ثم سخر بظلمة نرجسية قاسية:

- "سيراب" ستساعدك.

الآن هي والساحرة في مسار، حتى أغرب خيالاتها لم تتوقع تلك اللحظة. كانت "سيراب" تبدو مثل ملكة لم تر المقصلة بعد، تُحرك كلتا يديها بسطوة السحر. تسمح لأربعة عناكب ضخمة جداً بالظهور فتراجع الرجال في البداية في وجل. مالت شفتاها القرمزيتان بابتسامة خاصة



لـ"أرقب" الذي مضطراً حسب استيعابها بعث بصغيرته وهي تحمل السيف. "نهاية"! وردة شجاعة حديثة.. تحتضن سيف الأرقب في مشهد بدا غريباً للجميع، حتى إن البارود ابتسم بغیظ وشم "حریر" في سره سبع مرات لأن تلك الوردة تبدو غير مؤهلة لإتمام المهمة. ولكن ألم تعلّمه أمه أن يثق بالسحر! ألا تتجبر سطوته حوله الآن بفضل تعويذة المينوتور.

مشهد يشبه الهلاك

أربعة عناكب ضخمة تحيط بزائرات المعبد، وخمسة وعشرون مينوتوراً يصطفون في دائرة مغلّقين كل طريق ممكن للهرور أمام "شاهق" ورجاله، "بارود" يتبختر وقد أيقن تماماً أن خبث سحر أمه سيمنعه من أن يخطو إلى المعبد، فبقي في مكانه وقد حوّل اغتياظه إلى ابتسامة واسعة و"شاهق" يقف أمامه مباشرةً على بعد مسافة لا تسمح بالقتال الآن ويقتنصه بنظرة حرب تامة.

والراعي.. يزجر، يفقد أعصابه، يدمر رغماً عنه خطة الحرب الأولى.. جندي عاق.. قائد فقد ثباته الانفعالي.. عاشق ينزلق نحو الهاوية.. رؤوس الذئاب خاصته أصدرت وعوعة مخيفة، وعيون المينوتورز انتبعت في مشهد مرعب. فشل ذريع لو بدأت المعركة مبكراً. و"الراعي" أهوج غاضب بقوة ألف ثور ولكن المينوتورز قادرين على الدمار الشامل.



نظرة سوداء.. نظرة غضب حارق.. ونظرة سيطرة من
قلب متاهة.

بارود.. راعي.. أرقب.

رفع "شاهق" يده بحركة محسوبة فحاصر رجاله "بارق"
ورؤوس الذئاب، وصرامة نظرته تعيد الراعي من فجوته
بحسم. لديه القدرة على التدمير هذا أكيد، ولكنه تدمير
ما قبل هلاكهم جميعاً إن جرى بهذا الشكل. رضح..
احترق.. رفع رأسه وعيناه تبحث عن نظرة أخيرة لها،
يأس مثل ظمآن والماء بعيد عنه ولا يستطيع الاقتراب.
عجز حارق كئيب يذكره بمشهد أفعى التهمت أمه. وجأة
التقت عينها عينيه.. تستدير من بعيد وبدا أنها قررت في
لحظة فاصلة أن تبحث عنه.. تسرق رؤياه قبل الدخول
إلى المعبد ومن يعلم ستراه بعدها مجدداً أم لا. تبتسم..
تبتسم بصدق تام رغم كل شيء فقط لأنها رأته. رؤياه
تشبث.. حياة.. شربة ماء وسط الصحراء بعد عطش
أيام عدة.. شفتاها تتحرك ناطقة باسمه.. تبدو مثل حطام
ولكنه حطام ثابت شاخ قوي، وهذا ما توصلت إليه بنظرة
صامته.. أن يمنحها القوة لتبدأ دورها، أن يثق بها.

نفير

بتر ثقيل لنظرة عاشقين، مشهد غريب.. تماثيل المينوتور
تزجر بصوت مخيف، العناكب تصرخ، المسار مباح
للساحرة ورفيقتها، والإغلاق سحري عنيد بباب من



الفولاذ الصلب من المستحيل اختراقه.

تم.. بدأت مهمة الرقوق، وبدأت المعركة.

ثلاث نساء نحو مجهول، معبد فُتِحَ من أجلهم فقط.
"سيراب" تتقدمهم، لها في خيالها أحلام مشروعة.. بعد أن
تتمكن "بداية" من الرقوق ستبدأ خطتها الخاصة، عفواً يا
"شاهق".."منطقة وعرة" حبيبتك سيلتزمها عنكبوت.

على شفيتها ارتسمت ابتسامة شرسة ثم نظرت إلى "نهاية"
فجأة بجانب عينيها ساخرة.

- يليق بكِ السيف.

تجاهلت "نهاية" النظر نحوها، احتضنت السيف أكثر،
ولكن بلا منطقية وبمجرد أن أغلق الباب ركضت نحو
أختها في عناق متشبث. ربّبت "بداية" رأسها بحكمة وقد
قرأت في عينيها أنها تعرف كل شيء.. همست لها بصوت
داعم خفيض رغم أن قلبها كان يخفق بعنف من هول
اللحظة:

- أنا أثق بكِ يا "نهاية".

عبارة لا بدّ من قولها، حتى لو كان خلف رأس أختها
الصغرى بشكل تهديدي عنكبوت أحمر مخيف! كان المكان
يبدو كثيباً قائماً، آثار الدماء على الجدران بدت مثل كتابة
أشبه بالمخالب. كثيرة كثيرة.. "نهاية" تحتضن سيفها وتقرأ



في حيرة المكتوب، بعضه مفهوم وبعضه لا، وبداية نتوجه نحو عبارات معينة، نتذكر المكتوب في غرفة قلب الراعي وتبحث عن إكمال العبارات بلهفة.

يموت النغل... والتكلمة الآن أمامها واضحة "حين تجتمع الظلال".

" "حريد" ملفوف في قماط يسقط حين ينطلق السهم".

وعبارة جديدة لم تنل منها حروف من قبل.

تموت الساحرة في.. قلب المعبد!

كتمت انفعالها. كانت "سيراب" تمشي بخيلاء فوق ما هو أشبه بدائرة حجرية، تحرك عناكها الضخمة بإشارة يد، وعيناها مسلطة على السيف مع "نهاية" متفكرة في دوره بيد أنثى ضعيفة مثلها. مشهد مضحك مثل عصفورة تمسك في منقارها رُحماً. "نهاية" تدور وسط الكتابات، وتلح على طاولة صخرية الريشة والرقوق التي تجاهلتها "بداية" الآن عن قصد. كلُّ له خطته.. "بداية" تبحث عن معرفة تساعدنَّ على الجدران، ونهاية متشبثة بالسيف وكأنه بعد "شاهق" قوتها الوحيدة، أما "سيراب" فتأففة متعجلة نحو المجد، تحت جلدها دماء تريدها ساحرة آسيوس. تحت جلدها أحلامها الخاصة، السيطرة على سيف الأرقب.. تدميره.. قتل صغيرة الأرقب.. واختطاف "بداية" والرقوق.

- ألن ننتهي؟



قالتا بتسلية ساخرة، وأحد عناكبها يدلك لها أصابع
قدميها في استعراض فاجر. هزأت "بداية" منها في عقلها
وقد ذكرتها بالبارود.. إلا أنه هو من أخبرها أن نهاية تلك
ستكون على يد أختها الصغيرة. استدارت لها في ثبات قائم
وقد أيقنت أن اللعبة في مسار خطير. إذ الساحرة بدورها
لها خطتها، ولكن الحدس داخلها يقول لها إن النجاة على
الجدران.

- قومي بعملك ودعيني أقوم بعلمي.

ابتسمت "سيراب" بـ سُمِّية ماكرة:

- والمجد للبارود!

انحنت "بداية" نحو الجدران تنال بتركيز المعرفة منها، ما
حرص البارود على إخفائه من تاريخه المظلم وكونه مسخاً
خالداً لا يموت.. بل ما يحرص غيره على إخفائه. حتى
قوة عناكب "سيراب" مكتوبة هناك..

ترياق خيوطه ذهب صلابته تفوق قوة الفولاذ

وشبح خيوطه مثل وهم شفاف من يلمسها يطير عقله

زئبق خيوطه حد سيف.. قادرة على قطع الرؤوس لو

تناثرت

أما الخيوط الحمراء فهي سم عنيد قاتل بمجرد اللمس

الساحرة تمتلك جيشها الخاص، ولهذا هي تتباهى بغرور.

بدت لها "سيراب" غير واعية بأن المكتوب يخصها أيضاً،



لم تكن قادرة على قراءة النصوص فوق الجدران فهي بلغة
مملكة يودوس المحرمة قراءتها وكتابتها على الجميع والساحرات
يعددن تعاويذهن بلغة قديمة خاصة بهنَّ قيل إن "حرير"
هي من دربت أولهن عليها.

زحفت نظرتها على التفاصيل سريعاً، كيفية السيطرة
على العناكب. بدا الأمر مستحيلاً ولكنه قابل للتحقيق.
العناكب ستطيع من يطعن أحدهم بسيف الأرقب.

- غر... غر... ساحق.

صوت "سيراب" الثقيل يتغنى بتعويدة، شفتها انتهجتا
تبرم وعيناها تأكل "نهاية" أكلاً.. لو كانت عنكبوت
لأكلتها. توغلت في خيالها إلى القادم، زوجة "الراعي"
الضعيفة سهل السيطرة عليها، ستقيدها بترياق، وسم
سيحتجز "نهاية" في حين يؤمن لها شبح وزئبق طريق
الخروج. سهل عليها الهرب قبل استيعاب المينوتورز فقط
تقرأ الرقوق وحينها تنال تعويذتهنَّ المحرمة. ستقتل "نهاية"
أولاً وتحتفظ بالكبرى حتى تنال منها ما تريد. استهانوا
بقوة الساحرة.. كل واحد منهم يرتب لألف معركة. وهي
ستهزمهم جميعاً بتعويدة واحدة.

- غر.. غر.. ساحق.

كانت تكررهما بخطرسة، وترياق يدلك قدمها. تنفست
"بداية" ببطء وقد نالت أغلب ما تريد معرفته من على



الجدران ثم تفجرت من بين شفيتها عبارة صارمة فاجأت
"نهاية" قبل "سيراب":

- سنحتاج إلى دماء عنكبوت.

عبست ملاح "سيراب" فجأة وانتفضت مثل عفريته ليل
جاحظة:

- ماذا؟

ردت "بداية" ببساطة جامدة دون أن يبدو على ملامحها
أي ارتباك.. فمن سمعت عذراوات جورا وقضت أياماً مع
المسخ لن ترتجف أمام آكلة العناكب.

- ما سمعته.. الريشة تحتاج إلى حبر، والحبر هو دماء أحد
عناكبك يا "سيراب".

عقدت "سيراب" حاجبها في تشكك:

- أيهم؟

- ترياق.

زال التوجس قليلاً.. فترياق أضعف عناكبها، ولو
كانت زوجة "الراعي" تتخابث أو تنفذ مع "شاهق" خطة ما
لاختارت سماً. ولكن رغم هذا دمدمت باعتراض:

- لا يجوز.

- إذن لا رقوق، هذا هو المكتوب على الجدران اذهبي
وأخبري بارودك.



لم نتوقع "نهاية" أن ترى أختها بتلك القوة. وكأنها
اكتسبت فجأة بنية خشنة في مواجهة الشر. تنفست
"سيراب" بياس ثم رضخت مضطرة، كانت ستلقي تعويذة
إلا أن "بداية" أوقفها بحسم:

- سيف الأرقب.

- ماذا تعنين؟

- الدماء يجب أن تُراق بسيف الأرقب ومن نسل
الأرقب.

ضحكة عالية مستبدة تسربت من شفيتها القرمزيتين، ضحكة
استعارة قوة، قساوة طلت من عينيها ورأسها يميل بتأمل:

- رائع.. إحداكن ستقتل واحداً من عناكبي.. يبدو
أمراً غير قابل للتصديق.

- وهل ما نحن فيه قابل للتصديق يا "سيراب"!

زوجة الراعي باتت شرسة.. أم إن حقاً سماع ضحكات
عذراوات جورا يبدل النفوس. ربت رأس عنكبوتها
الطائع بحنان لم يؤثر للحظة في قرارها بموته. سحر المينوتور
هدفها.. السطوة هدفها.. مقعد "حرير" أو عرش "البارود"
نفسه.

المجد للبارود؟ لا لا.. المجد لـ "سيراب"!

موقد نار خابئة التمتع بمقلتها.



- حسناً فلتفعلها الصغيرة المتشبثة بالسيف.

قالتها هازئة، وكتمت "بداية" انتصارها.. أَلقت "سيراب"
تعويذة نوم على العنكبوت المسكين فسقط بلا حراك وهنا
جاء دور "نهاية" والسيف.

السيف يدفعها وهي تدفعه.

كلاهما اندمج ببعضهما بعضاً

دعمتها "بداية" بنظرة وجسد العنكبوت الضخم المخيف
نائم بلا حراك. ترددت.. نظرت نحوه في شفقة.. أرادت
سبيلاً آخر إلا أن نظرة "بداية" هنا كانت هي الدفع
الصارم. طعنة! فعلتها بجهد.. بدت سهلة وصعبة، كانت
تعرف غرس السكين في الأسماك وليس في جلد ثقيل
فوق تكور تنبثق منه سيقان بحجم دودة ضخمة. هنا
يبدو الأمر قاسياً مرعباً، أمسكت "سيراب" بطرف ثوبها
الأسود بإعجاب، فالضعيفة فعلتها، تسربت الدماء فوق
أرض المعبد وابتعدت "نهاية" بدمعة سقطت على جثة
العنكبوت المغدور به دون أن تدرك تحفز الثلاثة الباقين
لطاقعتها، ودون أن تدرك "سيراب" أيضاً.. قرفصت لاهثة
بعدها ناولتها "بداية" إحدى القوارير المستخدمة لتعبئة الحبر
التي أعطائها لها البارود بنفسه. قوارير ذهبية بختمه الخاص!
وبينما كانت "سيراب" تغرف الدماء بجشع أشارت
"بداية" لنهاية بالتقدم. لحظة حسم.. لحظة بدت غير قادرة
على تنفيذها أبداً.. حتى تقدمت العناكب وقيدت



ساحرتها. انقلب السحر على الساحر، بل انقلب العنكبوت
على ساحرته!

- لا!

- نعم!

"نهاية" .. "بداية" .. شر لا بدّ منه .. بل قتل لا بدّ منه.
العناكب تطيعها، بدت تائهة و"بداية" تأخذ بيدها نحو
مصيرهما معاً. استدارت لها بعينين دامعتين:

- كيف تستطيعين فعل هذا!؟!

فأمسكت "بداية" ببطنها بعزيمة ويقين أدركته:

- أحمل نسل "الراعي"! داخلي قوته .. داخلي عزيمة أمي ..
حق سكان يودوس في التخلص من المسخ وصدقيني لو لم
نفعل سيقتلنا جميعاً.

الساحرة صرخت بعند، كبرياؤها رفضت التوسلات،
التمعت عيناها بسواد قاتم مخيف فبدتا مثل فجوة مظلمة
والكلمات تخرج من جوفها مثل صوت جثة في قبر:

- سأفتك بك .. سأقتل "شاهق" أمامك .. سأعود يا
"نهاية" .. سأعو...

سيف الأرقب، قبضة "نهاية الأرقب"، وطعنة سريعة
قاسمة في منتصف صدر "سيراب" تماماً، في منتصف



صدر ظلام أخافها.. كاد يربكها، ودون تفكير وكأنما قوة
السيف تدعمها غرزت النصل في جسد ابنة الظل.

دفع العناكب بجسد "سيراب" بعدها في تجويف الدائرة
الحجرية فتسربت فيه الدماء، امتلاً سريعاً على آخره.

- حان الوقت.

قالتها "بداية" بجمود وهي تسيطر على الغثيان الذي أصابها،
القسوة التي تملك قلبها من أجل النجاة.. من أجل
الحق. سحبت بعضاً من الزجاجات التي معها وضحكت
هازئة لعلامة البارود ثم بدأت في ملئها بدماء آكلة
العناكب. أما "نهاية".. فتمكن منها الغثيان فعلاً وأفرغت
ما في جوفها في حين كان يربت فوق كتفها عنكبوت!

ثلاثة نساء نحو مجهول، معبد فُتح من أجلهن فقط.. وفي
الخارج تبدأ معركة.

صيحة فرسان.. أسهم تنهمر.. البدايات المعتادة
و"البارود" يضحك. الحروب عادة هي أفضل لحظاته وتلك
مجرد معركة بداية. انحرف فرسان الصف الأول خاصته
بأحصنتهم في ترتيب عملوا حسابه قبل أن تسقط فوقهم
أحجار المجانق وبعدها حدث ما توقعه "شاهق"، لم تتأثر
المينوتورز بها بتاتاً، وكأنهم مصنعون من حديد فولاذي
وليس حجراً. بدأ بعدها هجوم الصفوف الأولى من الجانبين،
اصطدمت الأجساد والسيوف وتناثرت الدماء والأحشاء.



وقف البارق بسطوة وسط المعركة، يهشم الرؤوس بحربته ويتحرك مثل شبح ضخم وسط الظلمة الرمادية التي أنتجتها حوافر الخيول. كانت همجية رجاله هي المطلوب في المقدمة.. ارتبكت فيالق البارود وهذا ما أعطاهم أولوية. كان انتصاراً مختبئاً يعتمد على الفوضى مع الكثير من الضحايا. رجال "شاهق" كانوا أكثر حكمة، قاتلوا بذكاء وكانت لهم مهارة استخدام سيفين كل سيف في يده. "البارق" جسور وسط رجاله و"شاهق" بشجاعة لا تقل عنه يقبض فوق سيفه، قوة نصله قاصمة تنخر مواجيه واحداً تلو آخر. عيناه تقتنص وفولاذه ينفذ، رأسه يهشم جبهة المقاتل أمامه وقت الحاجة وجسده يدور بسيطرة تامة بين أكثر من غريم فيفتك بهم جميعاً في دقائق معدودة. يرفعه ثم يهوي به على الرقاب ويدور نصف دائرة فينحر مهاجماً آخر قبل أن يصل إليه. كانت المعركة في أوجها.. رؤوس الذئاب زجروا.. واجهوا حرس الفيلق الرابع وقضمو بعضاً من لحومهم فأثاروا في صفوفهم الرعب، ولكن بعدها تدخلت تماثيل المينوتور فبدأت مرحلة الفتك بهم. وسط المعمعة سقط "بارق" فوق ظهره ولكنه ما لبث أن وثب واقفاً بقوة شرسة وكان أمامه مينوتور.. لحظة مواجهة منتظرة.. رجاله مترقبون من بين معاركهم وشاهق يومئ له كي يبدأ. هجم الثور الحجري سريعاً، كانت قوته مهلكة قتراجع "بارق" في البداية إلى الخلف متفادياً انقضاضه، حربة أمام سيف ثقيل، ضربة أمام ضربة، ضربات المينوتور حقاً قوية مهلكة من المستحيل أن يتحملها



رجل عادي. هنا أيقن كلمات "شاهق".

"لن نتصر دون المشعوذ"

كان يتفادى الضربات بمهارة، وحرته تسعى لضرب المينوتور في الجوانب القابلة للتدمير. يتلاقى السيف مع الحربة في صوت جبار، ثم يعودان للابتعاد ويتلاقى بالقوة نفسها ثانية.. معركة باهرة راقبها البارود بإعجاب في حين مط شفتيه وقال لمينوتور مجاور له لا يفهم اللغة من الأساس.

- رائع "بارق" هذا.. ليته في فريقتي.

ابتسم "البارود" بعدها ساخرًا والمينوتور الغبي الذي لم يكن أكثر من أداة قتل ينظر نحوه ويزجر. والآخريواجه الراعي في معركة طالت. حركات "بارق" الدوارة كانت قوية وسريعة فبدأت في إرباك الثور. إلا أن ثقل يد الحجر لم يكن بالأمر الهين فقد تفادى "بارق" ضربة على آخر لحظة كادت تهشم عظام ظهره. الرجال تصيح في تحفز، وضربات "الراعي" تهتاج وهو يتشبث بصورة امرأته، يضرب بعنف.. يضرب بكل قوته.. مرة.. تلو.. تلو ثلاثين مرة.

حتى حدث.. حدث أمام الجميع.. تهشم رأس مينوتور.

هلل الرجال.. لحظة انتصار لم تكن متوقعة، ثاروا جميعاً وتحمسوا وبحث كل منهم عن "الراعي" في نفسه. يا للأسف كما خطط "شاهق" تماماً، فلا يوجد في يودوس



سوى "بارق" واحد. كي يهزم التماثيل يحتاج منه إلى مائة. صاح الرجال.. أعجب البارود الحماس فبدأ إشارة مشاركة باقي التماثيل حتى العشرة الباقين حوله. بدأت الدماء بكثرة وهذا يثير شهيته. هو قاتل فاجر حان دوره في الطعن. كان سيفه يعترض بقوة كل من تواتيه الجرأة للهجوم عليه ثم يستمتع بعدها بسادية الطعنات فوق جسده. خزق عين.. قطع أنف.. وبعدها الغرس الممتع في القلب مباشرة. صليل السيوف ممتع، والتهاوي على الأنفخاد والرقاب ينعش قلبه. البارود يقاتل وهو بارع حقاً.. مسخ مختل.

بدأ الرجال في التقهقر.. الهروب من مواجهته، صراخه النرجسي مع كل فورة دماء تطل وجهه، سيفه الذي شقَّ وجه رجل في آخر ضربة أمامهم الآن. من قال إن الطاووس لا يستطيع القتال؟! هو فقط لديه مزاجية خاصة.

رنة فولاذ جديدة، انتباه من الباقين وحقاً فقد "البارق" و"الأرقب" الكثير من الرجال. ولكن تلك مواجهة تستحق الانتباه.. "الأرقب" بنفسه ضد "البارود". تجتر "البارود" بسيفه بخيلاء ثم اتخذ في البداية وضعا دفاعياً أثار تعجب البعض. ولكن هذا هو "البارود".. من الصعب توقعه. كان غروره في أوجه.. جيشه منتصر.. التماثيل فتكوا بأكثر من ثلثي رجال "بارق" و"شاهق". والمعبد ما زال محاصراً برجاله. سيف "شاهق" يهاجمه بلا ترؤف. فيرفع



سيفه مدافعاً ويحدث ارتطام الفولاذ شرراً.

معركة بلا دروع.. فالدروع للضعفاء.. مسخ وبطل قادر على مواجهته، قوة الأرقب ممتزجة بالذكاء دوماً، ولهذا هو أكثر من ماهر في مواجهة خبث المسخ. ابتسم "البارود" بإعجاب بارد:

- أنت أقوى مما ظننت.

لم يكن "شاهق" برجل ثرثرة، كان يهاجم في صمت، رأسه يحسب الوقت وهدفه المحافظة على ما تبقى من رجاله وتنفيذ خطته الخاصة بمنجنيق النار كي يؤمن خروج "بداية" و"نهاية". "بارق" الآن كما المتفق عيناه على بوابة المعبد وحين يلح أقل حركة سيمنح المجانق الإشارة.

تسربت ضحكة لاهثة من "البارود":

- أسنقضي النهار كله في العراك.

ابتسم له "شاهق" بخشونة:

- هل تخاف الخسارة؟

كان يقصد استفزاز نرجسيته، يناوش غضب المقاتل لديه.. يراقب تكتيك هجومه.. انتفض "البارود" بعنف وإن لم يكن مغتاضاً بشكل كامل إذ فطن سريعاً للعبته، ولكنه أراد المناوشة بالسيف.. تلقين "شاهق" ثقل هجومه، كان "شاهق" بدوره يتفادى الضربات بمهارة. يتراجع بحكمة ثم يدور فيبدل الأدوار ويمارس الهجوم بنفسه من جديد.



ينهك المسخ ويوازيه قوة ويغيظه. "بارود" ممتلئ بالشر..
والإثم.. والغرور.. "بارود" تارة غاضب وتارة هازئ وتارة
مغرور مختال وتارة يضحك بهيستيريا. أربعة فصول في
معركة واحدة. وإن وصل خبثه إلى عمق سريع.. استغلال
ثغرة انتباه "شاهق" لـ "بارق" كل عدة دقائق وجفأة..
خدش ذراعه بسيفه.

التوت ابتسامته بعدوانية:

- ها... تمتلك دماء حمراء مثل البشر، كدت أشك أنها
زرقاء يا ابن "الأرقب".

تجاهل "شاهق" تلميحه عن ذكر "حرير"، وإن رمقه بنظرة
وحشية ونطق بمكنون لا بد منه:

- الغريب أنك لا تمتلكها أيضاً.. لم تلقنك "حرير"
السحر.

- مم أرى أن المعركة ستكشف بعض أوراقنا.. جيد..
كدت أشعر بالملل.

سخر "شاهق" بظلمة:

- لم لم تحاول قتلي مبكراً إذن؟

مط "البارود" شفثيه بمنطقية باردة:

- إنها لعبة السياسة اللعينة.. حافظ على الفارس كي لا
يثور المشاة.



كانت الرؤوس نتطلع إليهم، معركتهم هدأت بعض الشيء ولكن "شاهق" كان يعلم أنها لن تطول، "البارود" بدأ يراقب المعبد من كُتب واللحظة الحاسمة اقتربت. لن ينتزع سيف أحد منهما الآن الحياة من الآخر، وتلك المواجهة لا تليق بها اللكمات. فقط مبارزة شرسة أخيرة وحرص فيها "الأرقب" على أن يجذب انتباه "البارود" تماماً.

- "نهاية"!

- ماذا سنفعل؟

معبد كان يحيط بثلاثة.. والآن اثنتين وقوارير دماء. دقائق قلب "نهاية" تتقاذف والعناكب الباقية تحيط بها في طاعة، و"بداية" تركض إلى الرقوق.. تغمس الريشة وتنتظر.. ترى العبارة الأولى فقط. "حكاية آسيوس" دون أن تظهر ثانية.. تغمس الريشة من جديد علَّ حبر الدماء سريعاً ينضب، ولكن لا شيء.. هناك أمر خاطئ. سألتها "نهاية" بتوجس:

- ماذا هناك؟

- لا أعرف مكتوب "حكاية آسيوس" ثم...

تجمدت مع ما حدث.. حين نطقت بما قرأته بدأت الريشة تكمل المكتوب، وهكذا توالى الكرة.. الريشة لا



تُكَلِّمُ عِبَارَةً إِلَّا حِينَ تَقْرَأُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ مَا قَبْلَهَا. وَهَذَا
يَعْنِي شَيْئًا وَاحِدًا فَقَطْ.. أَنَهَا يَجِبُ أَنْ تَقْرَأَ تِلْكَ الرَّقُوقَ
لِأَحَدِهِمْ. سَرِيعًا بِنَوْعٍ مِنَ الْحَدْسِ قَفَزَتْ إِلَى آخِرِ رِقْ..
وَكَأَنَّ تَوَقَّعَتْ.. كَتَبْتَ الرِّيشَةَ اسْمَ الْمُنشُودِ. مِنْ يَجِبُ أَنْ
تَقْرَأَ الرَّقُوقَ لَهُ.

ورث آسيوس

مالك سيف الأرقب

المشعوذ.

نظرت إلى "نهاية" بتفكر.. ثم العناكب وبعدها حدث ما
لم نتوقعه أبدًا!

حول بئر قائمة. وتاريخ يشبه دماء متجعدة.. تاريخ
ممزق يحوي مأساة.. التمتع عيناها بانتباه ثائر.. دق قلبها
بعنف.. غادرها السكون وتمكن من خلاياها كلها شعور
أم!

رسمت ملامحه في عينيها وهو يقترب:

- أخيرًا!

لم يبدُ على ملامحه أي انفعال قط.. إلا أن فوق عينيه
ارتسمت نظرة لو رأتها الأرض لانفطرت في البكاء.
لانشقت الأحجار صارخة ولأغرقت الأنهار يودوس مجارة
لغضبه. اللحظة التي تمت فيها خيانتته!



قال بحدة قائمة:

- ماذا يجب عليّ أن أقول.. مرحباً أمي!

أغمضت عينيها باسترخاء ثم عادت إلى فتحهما برضا على صورته من جديد:

- لن تسامحني أبداً أليس كذلك؟

رفع ذقنه في قسوة:

- لستُ هنا من أجل الغفران.

ثم سار نحوها خطوات صارمة، اقترب بتحذير ورفعت هي يدها كي تلامس ملامحه في عاطفة بحتة.. وجنتيه.. فكيه.. شفتيه.. جفنيه.. انثنت شفاتها بسخرية:

- أنت تشبيني رغماً عنك.

ارتسم فوق ملامحه انفعال أسود:

- الإطار فقط يا أمي.. هو إرث روحك.

-لا!

صرخت بها بعنف، تحولت حدقتها إلى لون أحمر قانٍ يشبه الدماء التي كانت بداية سحر الطلسم:

- سأصلح ما أفسدته.

ازدادت أنفاسه هو بعنف أكبر، لهث بقسوة وقد ارتسم الوحش فوق ملامحه وخرجت حروفه من بين شفتيه مثل



طعنات خناجر شرسة:

- أخبريني إذن ما أريده.

وكانت تعرف ما قدم من أجله، خبثها يتخطى بحر "غاند".
خبثها نضج في إناء السنوات القائمة التي مرت عليها وعليهما
معها. صدق أو لا تصدق.. كان "البارود" في حكاية ما
ضحية!

قالت بحروف خرجت من جوفها بحريق ماكر:

- لن تستطيع إنقاذها.

زأر بشراسة في وجهها، كانت ظلالة في لحظة واحدة..
زأر وانتشت هي.. تحرر رغباتها بفحيح شرس:

- قوتك تلك تستحق العرش.. الخلود.. تستحق يودوس
وما حول يودوس.. وكانت تستحق آسيوس. قوتك لا
مثيل لها.. البقاء للأقوى وأنت الأقوى وستصبح أقوى.

دمدمة واعدة تسربت من بين شفثيه:

- لا أكثر بأطماعك.

غمرته بحروفها من كل اتجاه:

- ليست أطماعي.. بل هو المفترض حدوثه.. هو
مصيرك.

لهث بعنف.. اشتدت حرارة أنفاسه وظهرت أنيابه أمام
وجهها:



مئات الأعوام:

- كما أنت.. تحارب الشر داخلك.

ثم همست جوار أذنيه بنبرة أم:

- الشر يجب أن ينتصر يا حبيبي.

وبعدها مالت نحوه برضوخ، شبه عناق أرادته.. ملست فوق كتفه.. همست جوار أذنيه بما يحتاج معرفته حتى يبقيا في القصر مؤقتاً.

حتى تكتمل الحرب.. ينهي الشر وحده.. يواجه الطوفان لا يبالي ويخوض معركة مميتة، وهي آمنة في قصره في سلام. يودوس، عبير القمر، حجره، وهو خادمه.. هو منها وهي منه.. نظر إلى أمه متأملاً دون أن ينطق بكلمة واحدة ورحل.

لم يغفر بعد .. وربما لن يغفر أبداً.

عاصفة المعركة في أوجها..

إشارة "بارق" اقتربت.

المنجنيق جاهز.. ورجال الخندق على أهبة الاستعداد لإتمام مهمتهم. فوق الرؤوس منشور العرق والرمال والدماء وضربات الفولاذ. وتحت الشمس الحارقة بدت غبرة المعركة مثل عاصفة خفيفة. شهيق كثير.. زفير أكثر..



أنفاس متعبة.. قتال في أوجه.. وبداية ونهاية تحت
الحصار، خروجهم مجازفة موت لا بدّ منها.

"بارود" .. "بارق" .. "شاهق" .. ولحظة حاسمة اقتربت.

حتى جاءت لحظة طاغية.. بترت كل شيء..

عُقاب ضخم ظهر من العدم، من تاريخ قريب كانت له
أسطوريته الخاصة. عقاب ضخم فوق رؤوسهم وقد ضرب
بجناحيه الهواء نخلق عاصفة أقوى مما رؤوا يوماً.

صرخة "البارود" المهتاجة الغاضبة صمّت الآذان وسط
ذهول "بارق" وارتياح عيني صاحب المتاهات.

السيف يعود إلى صاحبه.

والرقوق كما رأت "بداية" تخص وريث آسيوس.

المشعوذ.

لم يكن يحمل كما الحكايات "ضوء القمر".

بل بناتها

"بداية" و"نهاية".

قبل أن يطير بهما نحو قصره.



الفصل الثامن عشر

آسيوس

قبل أكثر من مائة عام

أرض جديدة!

صرخ بها الشاب على مقدمة القارب

سبعة قوارب بثلاث عائلات ضخمة، وقد أوصولهم إلى هناك.. غامت عينا القائد وهو يتأمل التمثال الضخم الذي ظهر أمامهم مثل دليل وسط الضباب الذي حاوطهم أياماً.

- حسناً لتتجه إلى هناك.

تردد التاجر، لم يأنس قلبه مشهد التمثال الضخم:

- لنبحث عن أرض أخرى.

ردَّ القائد بحكمة صارمة:

- لا يوجد خيار، لقد قارب الماء والطعام على النفاد.

وهنا جاورهم العالم، لم يعقب.. راقب حجم التمثال وهو يتضخم كلما اقتربوا من الأرض.

تقدمت فرقة الاستطلاع وعلى مقدمتها القائد ورافقه

العالم والتاجر، قارب يناوش الشاطئ، مصير يبدأ وفرقة

استطلاع القائد متحفزة بسلاحها.



حتى..

حتى ارتعشت الأسلحة في قبضاتهم من هول ما رأته
أعينهم!

ها هي الشمس تصبغ أرض المعركة بحرارها القاسية،
تختفي في جزء من لحظة حيث حجب ضوءها جناح عقابٍ
ثم تعود أكثر عنفاً. هو مسخ مهتاج.. هو قاتل فاجر.. حان
دوره في الطعن.

احذر بارود!

أنفاس مسخ حارة، لحظة هزيمة قائمة. وأخوه.. توأمه..
رفيق رحلة شامبالا، وعدوه.. استولى على الرقوق.

لحظة ارتجال هي الوحيدة التي ستطفئ لهيبه. وأمر حاسم
لكتيبة المينوتور.

"اقتلوا الأرقب"

لحظة ثقيلة مُربكة، سيوف نتطير ومطارق ثور ودقيقة
واحدة أربكت "الأرقب" رغماً عنه، تشتت ذهنه للحظات
وعيناه تراقب العقاب الضخم وهو يختفي بزوجه وابنة
عمه وسيف الأرقب. السيف يعود إلى مالكة الأصلي..
السيف يعود إلى وريث آسيوس.. والرقوق ستقرأ
لصاحبها.

حين ابتعد العقاب بجسده العملاق كانت ثورة المعركة



في أوجها، كتيبة المينوتور تشكل في وضع هجومي غريب، أشبه بسهم ضخم، يحاول بعض الشجعان اعتراضهم في تحدٍ إلا أن قوتهم وسرعتهم بدت قاصمة لأقوى الرجال، تكتيك الانسحاب الآن يبدو فشلاً ذريعاً لن يقدم سوى فقدان الكثير من الدماء، إذ كتيبة المينوتور الأخرى التي كانت مرتكزة عند المعبد تتقدم نحوهم لتحاصرهم. إشارة نظر سريعة بينه وبين "بارق" الذي جمدته الصدمة بدوره مررت إعطاء الإشارة للمناجق كي تنفذ الخطة الأولى الخاصة بهروب الفتيات، انتشرت النيران سريعاً في أجساد رجال "البارود" وحلّ الدخان ليشتت الرؤية بحق، ولكن وسط كل تلك الفوضى قتال تماثيل المينوتور انتحار، فحتى مهارة رجال الخندق في الرؤية المشوشة لن تقدر عليهم. سريعاً أيقن الرجال و"شاهق" المراد، كتيبة المينوتور تريده هو، بدأ الرجال في التضحية بأنفسهم، الالتفاف كدائرة حوله وإن كان هو يخترق الجموع ويتصدر المشهد ويقاوم ببسالة، صراخ مثار من الجميع، صراخ حياة وموت.. سيوف تصيب وسيوف تتكسر على الضلوع الحجرية. تقدم رجال الخندق سريعاً رغبة في محاوطة زعيمهم والعودة به نحو فوضى الحريق كي ينفذون خطة هروب سريعة من بطش المسخ المختل، ولكن كان "شاهق" في مقدمة المواجهة من الأساس والتراجع حتى لو أجبروه أمر مستحيل.

"الشاهق" يواجه "مينوتور".. سيف أمام سيف.. قوة قائد



أمام بطش متحجر. "البارود" يضحك بهيستيريا ولحظة
شرف المعارك لا تهمة الآن.

"الشاهق" يقاتل مينوتور، اثنان.. ثلاثة!

لحظة قائمة مستحيلة النصر.

رؤوس أقوى المحاربين تتطاير، حتى "بارق" بدأ يفقد قوته
فهزيمة مينوتور آخر مستحيلة وهو التف حوله أربعة. انتشى
"البارود".. ليلة دماء. ستصبح بنات البومة أرامل وعليه
أن يرأسل أخاه كي يُطعم "غاند"!

ووسط عبث المعركة، وانتصار شر كثيراً ما يحدث،
قررت بنات البومة أن ينتصرن بشكلٍ مختلف.. من
العدم، ظهرت ثلاثة عناكب ضخمة لتطوق "شاهق"
وبارق وباقي الرجال مثل درع أسود حي وبدلت قانون
المعركة تماماً.

دوار.. طنين.. لحظة تشبه قضم وحش مفترس لرأسه.
عناكب "سيراب" تقتل رجاله!

ارتبكت تماثيل المينوتور في البداية، خيوط العنكبوت
زئبق تتطاير بعشوائية تتر أعناق رجال "البارود" وقوتها
قادرة على التماثيل أيضاً، لا تقتلهم ولكن تشتت قوتهم
وتسقط سيوفهم، العنكبوت شبح أفقدت خيوطه الفرسان
رشدتهم فبدأ فرسان الفيلق الرابع في مهاجمة المينوتور،



وخيوط سَم الحمراء بدأت تحصد حياة أغلب فرسان الفيلق الأول. ضاقت عيناه في حَنَقٍ وهو يدرك أن "سيراب" اللعينة كان لديها جيشها الخاص. والآن سحر أمه الخبيث يعود ويفعل شيئاً قبيحاً.

بدأ رجاله في التراجع والهرب، بقي فقط المينوتور وهنا أمرهم بترك "شاهق" والتفرغ للعناكب، حرب في أوجها وشراستها وبدا الطريق ممهداً الآن لتراجع جيش "الأرqb"، فرصة النجاة الوحيدة القصيرة من تلك المعركة. صوت العناكب وضربات المينوتور يمثل النهاية. وكما توقع "شاهق"، لم تصمد العناكب أمام كتيبة المينوتور كثيراً، خاصة أن الكتيبة الأخرى اخترقت دخان المعبد وبدأت المشاركة في القتال.

لفظ آخر عنكبوت منهم أنفاسه مع اختفاء آخر رجل من رجال الخندق بعد تأمين ما تبقى من جيش قائده وتناثر الدخان على مشهد مهيب مرعب للتماثيل فوق الكثير من الجثث وثلاثة عناكب انتهى دورهم.

رمق "البارود" المشهد واختفاء "بارق" و"شاهق" بنظرة قائمة باردة وهو فوق حصانه بكبرياء زعيم، ثم رفع ذقته المدببة نحو الشمس، نظر نحوها بمكر وإن لم تكن تلك شمس، وأشار لما تبقى من رجاله واستدار راحلاً..

جولة أولى.. كانت مجرد جولة أولى، وسيهددهم الثانية بطريقته.



قبل دقائق..

المعبد

ما حدث فوق استيعاب خيالها. مشهد غريب، رائع جداً وسيئ جداً جداً. جسد "سيراب" المشقوق بسيف الأرقب تسربت منه الدماء، انتشرت حوله في الفجوة التي ترقد بها. رغمًا عنها لهاثها ارتفع وهي تحدق إلى جثتها، تستعيد فعلتها منذ دقائق معدودة، غرس السيف في جسد الساحرة. الآن تحولت "سيراب" إلى لون شاحب مخيف، عيناها ما زالت على بحوظ الدهول والغضب وعناكبها الضخمة الباقية تحيط بها هي.. تطيعها هي. حين قرأت "بداية" العبارة الأخيرة في الرقوق حدث ما لم يتوقعوه، انشق الجدار الجانبي للمعبد ليظهر من خلفه درجٌ ملتف مخفي، وقد بدا أنه مسار إلى السطح العلوي حيث ديبب خيول المعركة تسربت أصواته لهم بقوة. لم تفكر "بداية"، اتخذت قرارها سريعاً بحدس حكيم وجذبتها نحو الدرج، صعدت كالمنومة.. مسيرة مع الطريق المكتوب لهما. تبعتها العناكب وفوق السطح لم تبدُ "بداية" متفاجئة وهي تنظر نحو العقاب الضخم الذي حط بمخالبه أمامهم. بدا جلياً أنه قد قدم من الاتجاه الخلفي للمعبد وهذا يعني أن المتعاركين بالأسفل لم يلحقوه. تحفزت ملاح "نهاية" وأختها تسحبها بعزيمة نحو الطائر المسخ..



- هيا.

- أين؟ كيف!

- لا وقت للتفسير.

بدأت "بداية" جافة جامدة وقد تحولت فجأة إلى أمها، لمحت "نهاية" في وجهها شجن "ضوء القمر" وقوتها وجمالها وهيبته. حركت "نهاية" وجهها برفض متردد، في حين سحبته "بداية" بإصرار، تأكدت أن سيف الأرقب معها وأن في حوزتهم دماء "سيراب" والرقوق، وامتطت كلتاها عنق العقاب بعد أن أخفض لهم جناحيه كي يصعدا بسلاسة. كادت تتجمد أفكارها حتى نبهتها "بداية"، فالقادم في المعركة غير مضمون العواقب خاصة مع غضب المسخ حين يفقد رقوقه. حركت عنقها نحو العناكب الطائعة ولفظت كلماتها بضعف ربما، ولكنه كان كل الصدق في قلبها في هذا الحين..

"احموا شاهق"، "حاربوا مع جيش الأرقب والراعي" ما كادت تنطق بكلماتها حتى رفرف العقاب بأجنحته الضخمة وضربت الريح الناتجة عن هذا وجهها بعنف فدفته سريعاً في عنق أختها ارتفع العقاب بكليهما فوق أرض المعركة ليتخذ الصمت الذاهل مكانه على وجوه الجميع. ارتفعوا مروراً على أرض الإقليم وكأنها لا شيء، مجرد جروف مكسوة بالأشجار، طار بمحاذاة النهر وبدأ العالم مختلفاً جداً من فوق جناحي طائر. حتى جاءت اللحظة



المنتظرة.. لحظة البداية حين أخذ أهم للمرة الأولى، ومن
يعلم قد تكون تلك لحظة النهاية.

ها قد وصلوا، إلى مكان احتجاز أختهم التي لم يعرفوها
يوماً. إلى قصر المشعوز، الظلام الذي سيتحالفون معه، إلى
بحر "غاند" وصياح القناطير. أسوء مكان في يودوس كما
علمتهم الحكايات.. أرض الثلج.

حين حطَّ العقاب بمخالبه الضخمة على الأرض وترجَّلت
هي وبداية كان المشهد وسط الصقيع أسطورياً، عاد
إلى هيئته البشرية بشكل سريع، تأملت "بداية" ملامحه
بتعجب، المشعوز الذي طالما ما سمعوا عنه في الحكايات لم
يكن بالهيئة التي توقعها أبداً. كانت ملامحه هادئة جذابة،
تشبه سكون البحيرات، وفي الوقت نفسه قوية مثل جبل
صارم. و"نهاية" شهقت بتفاجؤ وهي تهمس بأذنها:

- هذا هو المشعوز!

بدت "نهاية" طفولية بريئة في ردة فعلها، أما "بداية"
فكانت متحفظة؛ عقلها يفكر في أكثر من اتجاه، كانت
ملامحه محتلة بالقلق واللهفة، قال بصوت متعجل محتق:

- اتبعاني.

وركضاً على درج وهن خلفه وصل إلى غرفتها، كانت
نائمة مثل مشهد سلام رائق، منهكة القوى، جميلة جداً



بشكل لافت.. أختهنّ الرابعة التي لا يعرفن اسمها بعد.

اقرب هو من الفراش ثم لثمّ جبهتها بقبلة ثم نظر إلى ملامحها وكأنه يشربها، يندمج بها.. استدار إلى كليهما ثم قال لنهاية بصوت مبحوح:

- أرجوكِ اقتربي.

هذا الرجل عكس ما تصوره تماماً، اقتربت "نهاية" بتردد لا تفهم، طلب منها أن تمسك بيد الفتاة ففعلت على الفور وحينها حدثت المعجزة. رفرت الفتاة أهدابها وبدأ وجهها النائم الغائب يعود إلى الحياة. تستوعب ما حولها، عيناها تراه هو في البداية، تثبث به.. تناديه بصوت سعيد هامس ثم تحاوط عنقه بذراعيها في لطفة وتلامس بشفتيها شفتيه. أخفضت "بداية" نظرها في حين تأملتهما "نهاية" بحالمية حتى ابتعد المشعوذ عن حبيته بكياسة قبل أن يفقد نفسه مع شفتيها وأشار لها بعينه أن تنتبه.. وهي مثل طفلة.. انتباهها لطيف ورد فعلها ألطف، حين أخبرها انتفضت بعفوية، بكل قوة تمتلكها استقامت لتعانق "نهاية"، تحاول الاقتراب من "بداية" فتقدمت الثانية سريعاً لتعانقها هي كي لا تترك الفراش. ثلاث بنات وبقيت رابعة، لقاء غريب بلا كلمات، قد يحوي آلاف العبارات وقد يحوي فراغاً وإن بدأت "نهاية" بالعفوية نفسها التي تشبه أختها:

- ما اسمك؟



- يودوس.

المشعوذ من نطق بها، دهشة "نهاية" كانت بسيطة سعيدة
أما "بداية" فتجمدت ملاحظها بتفكر.

يودوس! من اتخذ اسم من!!

نظرت إلى المشعوذ وتساءلت وإن بشيء آخر:

- كانت مريضة؟ هل لهذا جاءت "نهاية"؟

صمت المشعوذ للحظة ثم قال بهدوء مستسلم وهو ينظر نحو

حبيته:

- لقد استمرت في القصر سنواتٍ عدّة بسلام، ولكن
يبدو تعويذة قبح بسبب "حرير" حمت روحها وجسدها من
الذبول.

رددت الفتاة كلماته بذهول:

- تعويذة قبح!

تابع المشعوذ وكان يعلم أن ما سيقوله سيصدمها ويعلم أنها
ستغفر له.. لأن نقاء قلبها لا يوجد له مثل في الحياة..
ستغفر له:

- ولهذا أحضرت لها "ضوء القمر"، كانت تأتي على
شكل بومة، "ضوء" كانت هنا طوال تلك السنوات يا
جميلي لأن دماء عائلتك تحمي روحك من الذبول.

تجمدت يودوس، تحجرت عيناها بدمعة فاقرب



هو، حاوط جسدها بذراعيه.. دفنت رأسها في صدره
وبكت.. بكت بتعب.. بعدم فهم.. تسربت كلماتها رغماً
عنها واحترق قلبه هو:

- هذا قاسٍ جداً.

تنفس باحترق تام، داخله خندق.. فجوة.. هوة بحجم..
هرسها معتدراً، أسند جبهته فوق جبهتها فقبلت هي شفتيه
بتشبث معلنة كل حبها له.. هذا الحب لا يفهمه أحد..
هذا الحب لا يفهمه بشر.

كانت "بداية" و"نهاية" غادرتا الغرفة نحو الرواق، كلتاهما
تنظران إلى بعضهما بعضاً في جمود حائر، في حزن على
أمهما.. "ضوء القمر" التي حملت حملاً ثقيلاً من الحزن
والأسرار. هل هناك أسرار أخرى قادمة.

صوته قطع جمود الصمت حولهما حين خرج من الغرفة
قائلاً بحسم:

- هي سترتاح قليلاً ولكن أريدك بجانبها.

قالها وهو ينظر نحو "نهاية"، في عينيه حزن مخبئ، ظلام
مر عليه رغماً عنه وربما ظلام قادم.. تنفس ببطء ثم نظر
إلى السيف ثم قال بصوت ثابت أجش:

- اعتقد أن هذا لي.

تنفست "نهاية" بتوتر ثم تقدمت منه لتناوله السيف، هل
هذا حلم.. هل هذا كابوس.. لا يعلم أحد، ولكنه بمجرد



أن أمسك بالسيف صرخت "غاند"!

كشافة الأرقب تراقب، وإن ابتعد "البارود" بالتأكيد.. عاد إلى أرض العرش تاركًا كتيبة مينوتور على حدود الإقليم، خمسين تمثالًا ويقال إنه سيبعث بخمسة وعشرين آخرين.. اتخذوا الحدود بين الإقليم وطريق أرض العرش موقعًا لهم. أعطى "شاهق" أوامره سريعًا للسكان كي ينتقلوا إلى أطراف يودوس من الجانب الآخر نحو منطقة السرداب وحدود الغابة المحرمة. بعضهم وافق على الفور وبعضهم رفضوا واستمروا في حياتهم اليومية متخذين قرار تقديم الولاء للبارود وتمثيله، خاصة حين علموا بهزيمة "شاهق" ورجاله في المعركة. آخرون قرروا ركوب القوارب واتخاذ مسارهم من خلال نهر يودوس نحو أرض الموت طلبًا للحماية عند "جبار". انقسم الإقليم والحرب ما زالت في بدايتها، عدد كبير منهم كان ولاؤهم إلى "شاهق" بالتأكيد وهذا ما منع "البارود" عنه في البداية، ولاء بُنيَ على العهود والقوة والشعور بالطمأنينة والآن ينتوي "البارود" نسف هذا كله.

تبادل "شاهق" ورجاله النظرات، في حين كان يرتكز بذقنه وقبضتيه على سيفه الفولاذي، ثم قال وعيناه مركزة على "الراعي":

- "البارود" لن ينتظر.. سيضرب ضربته القادمة سريعًا.



صمت "بارق" لوهلة، القوانين تتبدل ورياح التغيير تهب بقوة، وقد ضربها فجأة جناح عُقاب. كزَّ على أسنانه ثم قال بقتامة حاسمة:

- ماذا عن زوجتي؟ ابنة عمك.

- تؤدي المهمة المكلفة بها.

فرقع بعدها "شاهق" أصابعه آمراً الرجال كي يتركوهما وحدهما، قال "بارق" بعدها بانفعال:

- عليك أن تخبرني بكل ما تعرفه.

صمت "شاهق" لوهلة بتفكير عميق ثم قال بصوت حاسم:

- نحن ببساطة في انتظار المشعوذ، انتظار اكتمال قوته كي نستطيع الانتصار على "البارود".

انتفض "بارق" واقفاً بفم متشنج:

- وماذا سيكلفنا هذا يا أرقب؟ أنت ببساطة تتحالف مع

شيطان آخر.

كان الغضب يعتلي وجه "بارق"، الغيظ والحيرة.. لقد اتخذت "بداية" قرارها بالرحيل فوق ظهر العقاب. زوجته تفعل الشيء نفسه.. تتحالف مع قوة الشر الأخرى، هل لديها خيار أم فقط استسلمت لنبوءات "حرير".. تابع وهو يتعارك مع أفكاره:

- ماذا سيحدث؟



- ستقرأ "بداية" الرقوق وبعدها يحين دوره.

بدأت ملاح "شاهق" هادئة، بدأ أنه يعلم ما سيفعله المشعوذ أو على الأقل جزءاً منه. اتفاق تم من قبل بتوقيع "حرير" والجميع عليه أن يرضخ.. يرضخ كي تتخلص يودوس من "البارود".

كانت كل عضلة من جسد "بارق" متحفزة، يقبل ويرفض في الوقت نفسه، ينتزع الكلمات من الأرقب الذي على ما يبدو لا يخبره بكل شيء، يرتب "شاهق" أحجاره بحزم وقلق ويعرف أن كل ما في استطاعته الآن المحافظة على استقرار الإقليم والهروب من فخ بداية الحرب المبكرة قدر الإمكان حتى يصل المشعوذ إلى ذروة قوته.

استقام "شاهق" وأشار إلى خريطة يودوس المفرودة أمامه:

- هنا أرض الموت، سيتحرك "جبار" بجيشه ولن يستغرق طويلاً للوصول، سيتخطى كتائب "البارود" هناك بسهولة.

ثم أشار إلى بقعة أخرى من أطراف الإقليم حتى طريق طويل ممتد في أراض غير مأهولة.

- هذا هو الطريق الصعب الذي اتخذته في البداية، يقع تحت سطوة المشعوذ ولهذا لا يستطيع حرس "البارود" الاقتراب منه.

- طريق صعب؟



- مسحور.. نحس ممالك لا يستطيع سوى "جبار" المرور منها.

عقد "بارق" حاجبيه بتساؤل ساخر:

- ولم لم يحمه المشعوذ؟

ضاقت عينا "شاهق" بجمود به مزيج من الحكمة والقسوة:

- التاريخ الذي منعه "البارود" عن أهل يودوس يقول إنه قد سكنت يودوس العديد من الكائنات المسحورة من قديم الزمن، رفض الكثيرون منهم تقديم ولاءهم للبارود، والمشعوذ هو من سيطر عليهم، ولكن بحساب.. البائسون يقدرّون حريتهم أكثر من البشر.

قال "بارق" بنبرة ثقيلة هازئة أيضًا:

- ولهذا اختار "البارود" البشر؛ تناسبهم العبودية.

جاراه "شاهق" وهو ينظر إلى الأفق من مدخل الخيمة التي يجلسون بها:

- البشر يناسبهم كل شيء، والحاكم المتجبر يسعى ليشكلهم على مزاجه.

التمعت عينا "بارق" بحسم وإعجاب لم ينكره:

- وأنت رفضت هذا.

بدت القوة الكامنة داخل "شاهق الأرقب" الآن مرئية، صاحب المتاهات الذي ظل لسنوات طويلة يخطط في



سكون:

- لأنني حفيد القائد، القائد الذي لم يكن من المفترض أن يحكمه "البارود" من البداية.

ضاقت عينا "بارق" باهتمام:

- القائد؟

تابع "شاهق" وهو يخرج من صندوق محفوظ في خيمته رقوقاً أخرى، لم تكن كبيرة ولكنها كانت كافية لتضعه ومن الصفر على بداية الطريق. أشار إلى الرقوق ثم نظر نحو "بارق" بحزم:

- هنا بدايتنا يا "بارق"، أصلنا.. الثلاثة الذين قدموا إلى أرض آسيوس بحثاً عن أرض جديدة ليجدوا "البارود" والمينوتور في انتظارهم.

تنفس بحكمة ثم تابع:

- من زمان بعيد وطريق تلو طريق حتى الوصول إلى أطراف أرض العرش، وصل ثلاثة رجال بعد رؤية سراب، تمثال مينوتور ضخيم كان علامتهم لاكتشاف أرض جديدة، كانوا قد استقلوا قواربهم ورماهم موج البحر بعيداً عن "غاند"، على أطراف المستنقعات حيث سمعوا صراخاً مرعباً لم تفسره الرقوق التي تركوها، أرادوا العودة ولكن فضولهم قادهم نحو هذا المصير، هؤلاء الثلاثة هم أصل يودوس وعائلاتها الموجودة الآن.. القائد



والتاجر والعالم، القائد "الأرقب" والتاجر "الراعي" والعالم كان اسم عائلته "عون"، ويقال إنه قدم العون لكل من صادفه وأنجب الكثير من الصبيان. كان "البارود" كلما علم أنه لَقِّن أحدهم علمه ذبحه، ولهذا لم يبقَ ولد.. الفتيات فقط. وحرص العالم ألا يواجهن هذا المصير، ومثله القائد وإن رضخ للبارود في البداية، ولكنه ورث أولاده القوة والعزيمة للتخلص من المسخ، هل تعلم ماذا حدث بعدها يا "بارق" وكيف قال القدر كلمته؟

تحفزت ملاح "بارق" باهتمام و"شاهق" يتابع:

- هذا ما عرفته مؤخراً، فمن نسل العالم كانت أمك، ومن نسل الراعي أبوك، وأنت من حافظت على الرقوق المسحورة لسنوات، الرقوق التي ستساعدنا للقضاء على "البارود"، الرقوق التي ستخلص يودوس من تعويذة "حرير".

تسارعت أنفاس "بارق" وماضيه يمر أمامه من جديد، عذاب أمه.. توضيحيتها من أجل الرقوق، أمه من نسل العالم، تراها أخفت هذا؟ هل محا "البارود" تاريخ الرجل لأنه يقرأ، تساءل باهتمام:

- من كتب الرقوق المسحورة؟

جاوبه "شاهق" وقد ترتبت أفكاره الآن وبات الكثير متضحاً أمامه:

- "حرير"، سجلت كل شيء، بواطن الماضي والخلاص في



المستقبل وسحرتها، ثم أوكلت العالم لإخفائها ونجح في هذا قبل أن يقتله "البارود" ويتخلص منه.

قالها "شاهق" وقد بدا التاريخ مرتباً أمامه الآن ككتاب مع أنه لا يعرف تفاصيل مملكة آسيوس بعده. عاد إلى مراقبة الأفق، ومجدداً غاص في متاهات عقله. رجله توجه لذوي الرؤوس الضخمة كما الاتفاق وبدأ التجهيز بحزم للمواجهة الكبرى التي ستكون على الغالب في أرض الإقليم، "جبار" في الوقت المناسب عليه أن يتحرك وكل حداد في يودوس يعمل بجهد كي يصنع الكثير من الأسلحة. وبارق عليه أن يجمع عائلته حتى من تراودهم أنفسهم بطاعة "البارود"، يجب أن يظل الإقليم متماسكاً.

أضخم معركة ستمر على أرض يودوس، جيش "البارود"، جيش المشعوذ، جيش "الأرقب"، وجيش "جبار"، و"الراعي" أيضاً له جيشه. "بارق" يجهز نفسه ورجاله بعزم وعنف، ورغم كل شيء بات التخلص من "البارود" هدفاً لن يجيد عنه.

المعركة قادمة للجميع وبعدها نعيم أو جحيم.

ولكن لا تراجع.

في بلاط الطاغية كل شيء مباح، كل شيء ممكن

ساحة المينوتور.. هكذا يسميها، المكان الذي أعدم فيه من



قبل فيلق الصفوة.

نصف دائرة من مائة تمثال كل منهم بحجم رجل عملاق. استقام بعد أن فرغ من جسد محظيته، نالها عارية وسط التماثيل في مشهد مريض محبب له. التماثيل تبدو مرعبة حقاً من قُرب، أجساد حجرية ضخمة البنية بوجوه شرسة مرعبة. كيف خسر "البارود" معركته ومعها سلاح كهذا.

ببراءة حمقاء جلست تحت قدميه في حين استقر هو على كرسي عرشه المفضل وعيناه مع مصير قادم، سواد يطل من الماضي وسواد قادم بالتأكيد، ولكنه سيكون مُنفذه.

- سيدي هل خسرت المعركة حقاً؟

دماء الغضب تحت أوردته لم تبرد، كانت الفتاة جميلة بشكل أحرق، وجهها مستدير ولها شففتان ممتلئتان تمتع بهما منذ قليل وأنف قصير مفلطح، ولكنه لم يقلل من جمالها. كان يتصور كيف سيقتلها، الغريب أنه ليست له شهية للقلوب اليوم.. "شكراً أخي أفسدت شهيتي".

قالها لنفسه بغضب ساخر ثم تابع ونظراته مسلطة بجمود عليها:

- أنا لا أخسر.. أنا أستريح وأعود من جديد.

بدت الفتاة مبتهجة، سعيدة سعادة ضخمة فقط لأنها معه، كانت يافعة تبدو في عامها السابع عشر، رفضت



الشاب الذي تقدم لها فقط لتنال هذا المصير، أرادت أرض العرش، صورت لها أحلامها الكثير مثل عشقه إياها وكيف ستصبح ملكة وتأكل التين المجفف كل يوم لأن أمها تمنعه عنها. حتى أفكارها الشهوانية كانت ناعمة بسيطة لا تمثل شيئاً مما اختبرته الآن، حين لاحظت أن كأس النبيذ خاصته فرغت ملأتها له في طاعة ولهفة على الفور وابتسامة ضخمة تشق وجهها:

- ستقضي عليهم يا سيدي أنا أعلم.

رفع حاجبيه ساخراً وقد التمعت عيناه الزرقاوان بأفكار ومصير يخصه ثم قال ببأس قاتم:

- وهل أنتظرك أنتِ لتخبريني هذا!!

تسارعت أنفاس الفتاة المسكينة، تراجعت وهي تخفض رأسها معتذرة ثم قالت بتوتر:

- آسفة سيدي لم أكن أقصد.

بدا العالم حولها هنا غارقاً في ظلمة رمادية، تماثيل حية تزجر، كانت حجرية منذ قليل.. تراجعت في جزع، فوق جسدها العاري كانت لتوها قد ارتدت ثوبها البسيط المائل إلى لون طحين الأرز وغطت به نهديها الصبوحين، ونصف ظهرها ما زال عارياً، كان هو هادئاً، يتأمل مشهد ما قبل موتها مثل لوحة.. مشاهد ما قبل الموت عادة ما تبث فيه راحة نفسية. لاحظتها "حرير".. وعرفتها من قبل "ثا".. ولم يرغب المشعوذ في تصديقها.



شق صوت غريب سكون الأرض حولهما، إشارة
سبأته للمينوتور كانت هادئة حاسمة. مشهد قتل جديد..
فالحاكم من وقت إلى آخر يحتاج إلى الابتكار.

شهقتها تسربت بضعف، جسدها يُرفع وعظامها تُسحق
بفضل قوة ذراع المينوتور الذي تقدم خلفها، عيناها تجحظ
قبل الرحيل، تنظر نحوه بتوسل ورعب وعجز، أحلامها
تبخرت، بل فُتتت بحجر حي! دق المينوتور عنقها في لحظة
حتى كاد يخلعه من مكانه، ثم سحبها آخر وألقى بها في قاع
حفرة كي تنتظر جثتها النسور.

كان الطاغية يحتاج إلى وقت مستقطع كي يصفى ذهنه..
يرتب معركته، ويهزم الجميع.. أخاه.. وحريره.. والرقوق
الملعونة. يهزم يودوس كما هزم آسيوس. هو خادم الشمس
التي حبوها عنه، وحتماً لها سيعود.

- "حرير!"

قالتها الخادمة بطاعتها العمياء.

توهج الظلام في إحدى عينيها وفي الأخرى انتفض
الغضب الأزرق. نبرة صوتها متعرجة دامية.

- هناك رأى أحدهما القمر ورأى الآخر الشمس.

- ماذا؟



- أحدهما أراد الشمس والآخر قدره القمر.

نظرت إليها الفتاة في حيرة، منذ وهبت نفسها لخدمتها وهي لا تفهم النبوءات، لم تكن ماكرة مثل المرأة الحداة ولا خبيثة مثل الحرباء! تابعت "حرير" بالنبرة نفسها وقد بدت عيناها جاحظة في الظلام، عيناها تحولت إلى عين حرباء فبدت مثل كتلة بيضاوية سوداء مرعبة، كانت ترى ما تراه جاسوستها الآن وتحتل شفتها ابتسامة قائمة قاسية.

وعلى بعد مسافات حرباء متلونة ساكنة، تندمج بالجدار، بالزرع بالفراش وتراقب من بعيد كل شيء... حتى يحين الوقت.

تراقب الجميلة يودوس.

وثورة "غاند".

"بداية" التي تبعت المشعوذ كي تقرأ له الرقوق.

بالشر يحيا الخير وبالخير يستمر الشر!

جذور الحكايات مسخ ضخم مخيف لا يستطيع الجميع تحمل النباش عنه.

وسط الأغصان اليابسة في أرض الصقيع التي تشبه كل ما هو عكس الحياة كانت خطواتها تتحرك بعزيمة صامتة، كل شيء حولها يبدو متيبساً.. الحجر، الشجر، حدود التقاء



السماء مع الأرض مع أطراف الغابة المحرمة. ها هي في أرض المشعوذ، في أرض المنشود الذي ستقرأ الرقوق له. جلست مرتكزة على ركبتيها ثم غرزت سبابتها في الثلج المتجمد الذي بدا مثل حبات رمل بيضاء قاسية تستطيع إرسال جسد ضعيف بسهولة إلى الموت، صوت "غاند" يشق الصمت من حين إلى آخر، لا تبدو هادئة أبداً وكما فهمت من ملامح المشعوذ هي هكذا منذ أحضرهما معه.

"غاند".. ظل المشعوذ، آكلة لحوم النساء الهالكات بأمر "البارود". وبأنياب ظل المشعوذ. غريب هذا العالم، تتداخل بوتقات الشر والخير فيه بفوضى مرعبة، ها هي على الجانب الآخر من الظلام، عالقة على طرف بحر "غاند" وريشة الحق على ما يبدو، ولكنها ريشة مغموسة في الدماء. دماء رحلت وربما دماء قادمة.

بملاحها الشاحبة الحزينة من تحت القلنسوة فوق رأسها استدارت له وكأنما شعرت به، نطقت حروفها بجمود عازم..

- لنبدأ..

لم ينطق، استدار وقد أشار لها أن تتبعه، يسير ببطء وقوة وسط جموع قناطيره المهلكة لمواجهة، وحوش مثل الجحيم قادرة على خلق معركة طاحنة. تبعته في جوانب القصر الكثير الخبايا، حتى إنها بعد المرور بسرداب تلو آخر وجدت نفسها معزولة معه في غرفة غريبة محاطة



بجدران قائمة ولا يوجد بها سوى طاولة خشبية متوسطة الحجم ومقعدين. وكأنما كان يعرف أن تلك اللحظة قادمة لا محالة. تأملته وهو يجلس بهدوء على أحد المقاعد وقد استرخت ملامحه، بدا منهكًا.. متعبًا جدًّا، نظرتُه صافية تبعث في القلب اطمئنانًا غريبًا وداخله وحش، أم يا ترى داخله خير وشر حقًّا، استقرت في مقعدها أمامه ووضعت الرقوق والريشة وقوارير دماء "سيراب"، ثم تنهدت بصبر وقوة مندجة مع مصيرها وقالت له متسائلة:

- هل تعرف بعضًا من فخواها؟

بدت نظرتُه عالقة بتاريخ مجهول، صمت قليلًا ثم قال بنبرة جشّة:

- لقد كانت "حرير" حريصة على عدم تمرير كل المعرفة لكننا، نعم.. أعرف بعضها واجتهدت للبحث عن بعضها.

ثم بدا وكأن عينيه تنطقان بتاريخ كامل يخصه:

- عرفت الكثير، القليل ربما.. لن أدرك الفارق حتى تقرئي الرقوق يا "بداية".

نظرت إليه بحكمة وهي تشير إلى الرقوق:

- هنا البداية.. التاريخ.. هنا سر آسيوس.

أغمض عينيه واسترخى على مقعده:

- نعم.. بداية ساحرة في أرض آسيوس، بداية رحلة..

رحلة طويلة جدًّا يا عزيزتي ويبدو أن النهاية اقتربت.



كلمات ثقيلة على صدره، نهاية يعرفها، بل سعى لتنفيذها، نهاية لعنته وسطوة أخيه، نهاية الآن لا يتبغى تنفيذها.. بل لن يفعلها. حتى لو اضطر إلى غرس سكين عميق في تلك الرقوق وإفسادها، ولكن عليه أولاً أن يعرف كل ما فيها، يعرف المخبوء عنه.

- ابدئي.

بشكل سحري مهيب فُتِحَتِ الرقوق على أول صفحة.
تأهبت الريشة للكتابة بعد أن غمستها في دماء آكلة العناكب وبدأ صوتها يمرر "بداية" الحكاية.

مملكة آسيوس

حكاية الساحرة والملك

حكاية "حرير".

قالوا إنها جاءت من عاصفة، عاصفة رمادية مخيفة هاج معها البحر وغرقت سبعة قوارب بحاملها ولم يتبق سوى طفلة عمرها عامان، أخذتها ساحرة عجوز كانت تعيش على أطراف آسيوس وأطلقت عليها اسم "حرير". في آسيوس السحر ممنوع، الساحرات منبذات على أطراف المملكة، مملكة آسيوس ضخمة كان يحكمها ملك قوي عنيد له ولدان، وأطرافها محاطة بتمثيل مينوتور حجرية هي من علاماتها المميزة. كانت آسيوس مملكة غنية، لطالما بحث



عنها الطامعون من جهة البر والبحر، ولكن لم يوفقوا أبداً في اقتحامها، إذ جيشها جبار عتيد به أقوى المحاربين. كل عام في يوم محدد يقدم كل سكان آسيوس ولاءهم للملك، لحظات أشبه بكرنفال ضخمة.. يتجمع النبلاء والعامّة لمشاهدة القادمين من أطراف المملكة، الجنيات، القناطير، والساحرات.

نادى المنادي.

دقت الطبول.

كل الأمور بدت عادية حتى ظهرت هي.

جمالها يشبه جمال العروش، فتنها المهلّكة.. هكذا علق الملك الحديث الذي نال تتويجه لتوه، الأخ الأكبر.. كان وسيماً جداً تتمناه كل فتيات آسيوس.. لم يكن قد اختار عروسه بعد، وكان الترتيب لزواجه من ابنة قائد الحرس وشيكاً.

حتى ظهرت هي، قلبت "حرير" موازين آسيوس. بعد سبعة أيام تزوجها بقرار منفرد، ثار ذوو القوة ولكن أحمد أخوه الأصغر ثورتهم وطالبهم بطاعة الملك. نال فتنها في فراشه، امتلكها وامتلكته. سريعاً أصبحت الملكة الأمرة القوية في القصر، عاهدته أن تترك السحر وتفرغت للمملكة، ولكنها كانت أكثر شراسة منه فكانت تدفعه سريعاً لإعدام معارضيه كي لا يتناول أحدٌ عليه. فالناس تهاجم الضعيف وتخاف المتجبر.



وسط حياة بدت كاملة ورحم بدأ ينمو فيه لحم حي تزايد الحقد ضدها، كانت تمارس السحر في السر أحياناً، تسيطر به على الملك، تتلاعب بأصحاب السطوة في آسيوس كالدمى. لم تكن "حرير" ساحرة عادية، كانت لها موهبة سوداء كما نفت سحر مجهول في وجهها يوماً.. قالها أمام الجميع وطرده الملك ولم يرغب في تصديقه. كانت تحتفظ بحجر غريب لا يفهم أحد فائدته اسمه حجر الدم الأزرق! ومع هذا لم تضر أحداً، حتى السحر مارست فقط المتلاعب البسيط منه، ليلة ما جاءها المخاض لم تصرخ ولهذا خافت منها النساء.. توجهت إلى غرفتها بهدوء واستلقت على الفراش وبعدها بساعة خرجت لهم بثوبها الأبيض مدمماً وعلى ذراعيها توأمان جميلان مثل السحر نفسه، أحدهم بشعر ذهبي وعيون زرقاء والآخر عينان داكنتان وشعر أسود حالك. اختارت للأول اسم "البارود" نسبة لآسيوس، أما الآخر فبغموض تام وحدث قلب ساحرة لن يفهمه أحد أسمته المشعوذ.

أقام الملك حفلاً ضخماً احتفالاً بقدوم توأميه، حجم الوليمة كان يفوق طول قاعة الاحتفال بثلاث مرات فامتدت إلى خارجها، وزَّع العملات الذهبية على الشعب كله وابتهجت آسيوس كلها بنسل الملك وحرير، كانت تجلس جواره في أبهى طلة، فوق رأسها تاج من الياقوت الأحمر وخصلاتها تتناثر على مقعدها في فتنة أسطورية. مالت نحو الملك بصراحة صادمة يختبرها معها لأول مرة، ولكنها في



تلك اللحظة رأيت الشر، رأته وعرفته في عيني أخيه.

انتفض الملك رافضاً:

- احذري يا "حرير".

إلا أنها لم تتراجع، قالت بعزم:

- أنا أعرف الشر حين أراه.

تحدثت طيبة قلبه:

- ماذا تقولين! إنه أخي.

- لا تثق به.

- هل تفهمين ما أخبرك به، أخي، أخي إنها رابطة الدم.

ردت بجمود ساحرة ربما عرفت الحب مع رجل مثله،
ولكنها تعرف غدر الحياة وطمع النفوس.

- لا تمنع القتل.. هذا شيء علينا نحن أن ندبره بأنفسنا.

بدت كلماتها غامضة له في حينها، تلك المرأة التي بعدها
بسنوات ألفت بتعويذة كي تمنع ابنها من قتل بعضهما
بعضاً.

- سيدتي يجب أن تهربي حالاً لقد قتلوا الملك.

مرت سبع سنوات، طريقة البعض للانتقام غريبة
مرعبة، وهنا الأخ الأصغر استغرق كثيراً من الوقت كي



ينفذ مكيدته مع قائد الحرس، ثورة بُنيت في صمت على مدار أعوام والذريعة نسل الساحرة الذي يجب ألا يحكم آسيوس. منافذ الريح في القصر صارخة، وفي سرداب ترتدي هي الأسود وتتحرك بشعلة في حين يتبعها ولداها. قُتِلَ الملك غدرًا والقتلة يبحثون عن نسله باسم التطهير، مشهد ذبح التوأمان كاد يحدث.

رغم الرجفة في قلبها تحركت بثبات، غادرت من باب سري خلفي وتخلت عن مشعلها لتتحرك مع ولديها في الظلام نحو الغابة. الحراس يبحثون عنهم، غدر وخيانة وقانون ممالك ظالم. قال لها المشعوذ إن الذئاب حزينة بسبب ما حدث وحين استدارت بغرابة تسأله كيف يعرف قال إنه يسمعها هي والعقبان والوحوش والأفاعي!

ركضت معهما بكل قوتها، خيّل إليها أنهم لن يتوقفوا أبدًا. سحرها عاجز عن الحماية، السحر الذي تعلمته في آسيوس منقوص مقيد، والآن هي عاجزة عن حماية طفلها. صرخت بتعاسة، شعرت ببرودة قائمة تحتل قلبها، صرخت وهي تعانقهم ومائة مقاتل في الخلف يبحثون عنهم، حتى انبثق ضوء من جوف الأرض فجأة، رآه "البارود" وركض خلفه المشعوذ وهو يقول إنه يرى قمرًا!

هناك وجدوها.. وجدوا ما بدّل مصيرهم إلى الأبد.
مملكة جوف الأرض.

شامبالا.



الفصل التاسع عشر

تحت الأرض بدأت أحلام طاغية.. وفوقها تحققت!
أرض اللا شمس.. غابة شامبالا.. الغابة التي لا تشرق
عليها الشمس!

فوق بشرتها تناثرت بقايا عتمة، عتمة إلا من ضوء
متسلل ضعيف لا تعلم إن كان مصدره شمس أم قمر، مياه
البحر بدت مثل زيت رمادي، القارب متهاك كئيب
وجدته على الشاطئ بجذافيه بمجرد أن تخطت المعبر.

من قادهما؟ المشعوذ؟ "البارود"؟

لا تعلم.. ربما كلاهما.

صرخ أحدهما بضوء الشمس والآخر بالقمر.

صرخ أحدهما بالباطل والآخر بالحق!

حفرة.. ضوء بهي، نار شمس تدفئ ولا تحرق، الحريق

يبغاه الثمانية!

كانت عبارة محفورة على حافة الحفرة، حكمة قديمة
حفرها أحدهم بأظافره، أصوات حوافر خيل الفرسان
كانت ما زالت حاضرة.. حتى إن الأخ الخائن جند
القناطير ليعثوا عنهم. مات الملك عاش الملك!

- نقفز أو نتعفن عظامنا تحت حوافر الظلم.

نطقت بها "حرير"، أمسكت معصم "البارود" من ناحية



والمشعوذ من الأخرى، رأت شريط حياتها يمر أمام
عينها، ضحكت.. بكت.. أغلقت صدرها على السر الذي
تحتفظ به منذ سنوات.

قفزت! قفزة واحدة.. حياة واحدة.

وجدت نفسها في غابة قائمة، أشجار ضخمة لها سطوة
كثيرة، غابة بلا حياة بها صرخات ضعيفة تشبه لهاث
الموتى، ركضت في دعر وطفلاها جوارها. ركضت
بعجز، شعرت بأن كل السحر الذي تعرفه هراء، سحر
منقوص مقيد، سلاسله ثقيلة والمفتاح لم تجده بعد! بدت
المسافة لا نهائية، المشعوذ هادئ كعادته أما "البارود"
يصرخ، يبكي، يبحث عن الشمس الخادعة التي رأى
ضوءها ولا يجدها. يقول بجنون غريب:

"أين شمسي!"

بعد مسافة بدت مثل سنوات طوال وجدوا أنفسهم
في هذا البحر الغريب لا يوجد أمامهم سوى هذا القارب
المتهاك لبيدوا رحلة أخرى تحت رحمة قمر معتم!

طوّق المشعوذ يدها النحيله بيده ثم أسند رأسه إلى
كتفها، و"البارود" جلس على مقدمة القارب بعد أن نظر
إلى كليهما بعدم رضا، كانت المجاديف تُحرّك نفسها وكأنها
تعرف الطريق، الطريق نفسه يبدو مثل رحلة على حافة
الموت، انسحاق في المجهول! هاجمهم نسيم الرياح بالنعاس
ولكنها ظلت تقاوم، تقاوم وتقاوم حتى غرقت في النعاس



رغمًا عنها، وحين فتحت عينيها رأتهم.. رأتها...

مكان أشبه بساحة معبد، أعمدة من الذهب الخالص ضخمة جدًا تحتل جوانبه، ونساء ورجال يحيطون بها وبولديها ويرمقونهم بتعجب، لم يكن عددهم كبيرًا، كانت ملابسهم نخمة وكلها بالتصميم نفسه تقريبًا، أثواب تميل إلى اللون الأبيض مع أحزمة ذهبية تحيط بخواصرهم، وجوههم ناعمة وضاءة ولون شعرهم يشبه لون حبات الرمل. حين رفعت "حرير" بصرها لما هو أبعد من ذلك رأتها...

تقف في مقدمة المعبد وخلفها بوابة حديدية ضخمة، خصلاتها تمتد حتى كاحليها ولون عينيها مثل لون الفضة القائمة. كانت طويلة القامة، جميعهم كانوا طوال القامة ولكن هي كانت أطولهم، جسدها منتصب يبدو مثل تمثال رخامي وعظام فكها بارزة بشكل واضح. أما شفتاها فرفيعتان جدًا مطبقتان تتحركان بحساب دقيق حين تتحدث، وصوتها يبدو وكأنه يحضر فجأة من كل الجدران وليس من فيها فقط. ظلت صامتة مدةً، ملاحظها حازمة ونظرتها نتفحص "حرير" والتوأمن بنظرة بدت لهما غامضة غريبة. تقدمت بهدوء حتى واجهت "حرير" وباتت المسافة بينهما لا تتخطى ثلاث صخور متوسطة الحجم.. خرج صوتها يعبر الفراغ بسطوة:

- "نا".



بدا واضحاً أنها تنطق اسمها، تعبر بشكل تعريفي به مودة محسوبة مع حزم واضح. ردت "حرير" وهي تحدد إليها بثبات:

- "حرير".

- كيف وصلتِ إلى هنا يا "حرير"؟

رددتها "ثا" بصوت يشبه الصدى، وكأنما الجميع تحدث معها.. نبرتها كانت قوية جامدة وشفتها تتباعدان ببطء حين تنطق بالأحرف.. صمت "حرير" لم تُجِب، بدا لها أن الاحتفاظ بمعلومة أن "البارود" لمح ضوء شمس والمشعوز ذكر القمر حكمة في هذا الوقت. إلا أنها لم تكذب بالكامل.. قالت الحقيقة الأخرى..

- أنا زوجة ملك آسيوس، لقد اغتصب أخوه العرش وقتله، وهربت أنا بأولادي ومن الغابة وجدت نفسي هنا.

تأملتها "ثا" بصمت ثم التمت عيناها باهتمام قالت:

- حسناً.. يكفي هذا الآن.

ثم صرخت فجأة، أخفضت رأسها وفعل مثلها الجميع وهنا بدأ ضوء شمس يظهر، تسلل من فوق جدران المعبد مثل بريق نحاسي، انفتحت بعده البوابة الحديدية وهنا لمحت "حرير" ما لجمها، كانت البوابة ضخمة جداً وحين انفتحت استطاعت "حرير" أن تلمح السماء، سماء زرقاء صافية تتوسطها شمس حمراء مستديرة لها حضور نحاسي



غامض ومحاطة بوهج أصفر لامع. الوهج نفسه الذي لمح
"البارود" من فتحة الأرض. بنبرة مثل رعشة طلسم
استدارت لها "ثا" فجأة:

- ستمكثون بيننا وتطيعون قوانيننا.

استوقفتها "حرير" بتشبث وتوجس في الوقت نفسه:

- لماذا قبلتم بنا؟

تفحصت "ثا" ملامحها بهدوء وثبات ثم نظرت نحو
التوأمن وتابعت:

- أنتِ لا تقولين كل الحقيقة يا "حرير".

وتخطتها آمرة لها أن تتبعها، نحو عالم جديد، شمس
جديدة، أرض جديدة، وقصة جديدة.

بسخرية مظلمة ابتسمت "حرير" ثم تشبثت بيدي ولديها:

- وأنتِ لا تقولين كل الحقيقة يا "ثا"!

بدافع الحب أحياناً يحترق العالم! وهي امرأة تحب
أولادها جداً.. جداً جداً.. هكذا قالت لها "ثا" مرة.

في شامبالا انزوت بهم في غرفة، كانت تراقبهما طوال
الوقت، حتى في لحظات اللعب تراقبهما من خلف
الأشجار، نتلو التعاويذ البسيطة لحمايتهم، تزجر إذا ما اقترب
منهما حيوان غريب، وتضرب الأفاعي بحجر على رأسها



كي تضمن عدم اعتراضها طريقهما. تعانقهما في الليل بعد العشاء وتقبل رؤوسهما ثم قدميهما وتلعن نفسها وتبكي لأنها كادت تفقدهم، لأن سحرها المنقوص لم يستطع حمايتهما.

في البداية تجاهلتها "ثا". أوكلت لها وظيفة جمع بعض النباتات الخاصة من أرض الغابة المحرمة، الغابة الموازية أسفل الغابة الأخرى في الأرض. نباتات تعرفها الساحرات جيداً، تُستخدم في العلاج والتعاويد وخلافه. أمرتها أن تأخذ معها المشعوذ فقط وتترك "البارود"، رفضت في البداية ولكن "ثا" أخبرتها بحزم خبيث أن الغابة تريد واحداً فقط، ومجدداً كررتها:

" أنتِ لا تقولين كل شيء يا "حرير".

تركت "البارود" على عيناها، كانت تُقبّل جبهته كل صباح، تعتذر، تعانقه حتى تكاد تفتت عظامه. في البداية كان يبكي، لم يكن يكتم شعوره مثل أخيه، هيتهم مختلفة.. "البارود" أشقر بزرقه عينين مميزة وخصلات قصيرة قليلاً، فوضوي صارخ يعبر دوماً عن رغباته، والمشعوذ داكن الشعر بخصلات مستطيلة وظلام رائع في عينيه. كان هذا وصف "ثا" له.. "ظلام رائع". يقدر الصمت.. يندمج به، كلاهما يناسب بعضهما بعضاً.

مضت الأعوام ورحلة الذهاب والإياب للغابة مستمرة، نما جسد الصغيرين وبدأ درب الرجولة يعرف طريقه



نحوهما. كانت تعلم أن "ثا" تراقب كليهما من بعيد، تبحث
عن شيء بعينه.. شيء بدأ قبل ولادتهما بعام واحد، وربما
كل ما هي فيه الآن المصير!

- أعطيهما هذا!

تراجعت، شعرت بغضب وضعف وانقباضة.

الليل يسدل ستائره بثقل، و"ثا" تقف أمام غرفتها، وهما
غارقان في نوم مسالم عميق. ثلاثة عشر عاماً عمر كليهما
الآن.. ثلاثة عشر عاماً منهم خمسة في غموض مملكة ما
تحت الأرض. المشعوذ مستسلم للحياة، لا يتحدث عن
الماضي أبداً.. يندمج بالغابة، يغوص في دواخلها بفطرة لا
تخاف. يفهم لغة الأفاعي حتى إنه منع عنها أفعى بالأمس
كادت تهاجمها، الأمر واضح لا يحتاج إلى جدال.. واللمسة
الحارقة التي ما زال أثرها على ذراعها زرعت مصير
كليهما!

صرخت رافضة:

- لا!

قالت "ثا" بحزم حاد:

- أستفصحين الآن يا "حرير"؟

ارتعش جسدها والماضي يعود، كان قبل عام من
ولادتها وأشهر من حملها.. قابلته.. يتجول في حديقة القصر



بحرية ويرتدي عباءة سوداء بقلنسوة مزركشة بخيوط فضية على شكل ثعبان ضخمة!

صوته بدا مثل صوت جثة حيّة، عيناه كلها سواد.. تجويف مظلم بالكامل. كادت تصرخ ولكن شهقتها احتبست، تراجعت فلهجت الحرس خاصتها بمجدين مثل تماثيل بشرية. اقترب منها، همس قرب أذنيها بهسيس مخيف:

- ستضاجعين الملك بعد سبعة أيام من الآن، ولمدة سبعة أيام متواصلة وبعدها سيأتي!

نبضها جاهد ليخرج صوتها، هي ساحرة كانت تظن نفسها عظيمة حتى رآته:

- من أنت؟

التمت عيناه مثل حيوان ليبي ثم قال بصوت الجثث نفسه:

- حافظي على الحجر يا "حرير".

أيقنت أنه يقصد حجر الدم، الحجر الذي وجدته منذ سنوات في الغابة، احتفظت به وقد قادها حدسها إلى قوته وإن كانت دوماً ما تشعر أن تلك القوة منقوصة، قوة لا تعرف كمالها بعد. تابع وقد بدت نبرته هنا وكأنها ستخترق أحشاءها:

- واحد من اثنين، خادم يودوس، الرحلة طويلة يا



"حرير" وستتم رغماً عنك! واحد من اثنين أحدهما سيجلب الموت والحراب، والآخر القوة والحياة. أحدهما الشر والآخر الخير.. الشر والخير إخوة يا "حرير" من رحم واحدة!

قطبت جبهتها، تسارعت دقات قلبها، عادت إلى الخلف خطوة، همست بعنف رافض:

- ابتعد.

مثل كاهن سطوته جبارة تعاضم جسده، اقترب منها.. فرد ذراعيه فأحاطت عباءته كليهما واحتجزها في ظلامه.. خرجت حروفه حارقة عاتية.. وشعرت بوخز حارق يحتلها حين قبض فوق إحدى ذراعيها والهمس بدا مثل تعويذة، دخان قائم أحاط بها وابتلعته رغماً عنها.

- وريث آسيوس، خادم القمر!

صرخت وهو يتراجع، تاهت ورفض عقلها التصديق، همست بعجز وهي تسقط أرضاً:

- من أنت؟

ابتسم بقتامة وهو يبتعد، يختفي وسط الضباب مثل شبح أتم مهمته.

- المشعوذ!

- ولهذا اخترت لأحدهما اسمه؟



قالتها "ثا" بحكمة غامضة، أما "حرير" فقد عادت ذاكرتها إلى بضعة تفاصيل، نفذت ما طلب الغريب رغماً عنها، وكأنها مُسيّرة بقوة تفوقها. جاء نسل الملك توأمين، وبسهولة وجدت نفسها تقرر اسم "البارود" نسبة لآسيوس، والآخر حين نظرت إليه نطقها رغماً عنها.. "المشعوذ".

خافت، ادعت الثقة وداخلها تيه مثل الجحيم.. مرت الأعوام ولا شيء يحدث، أحضرت عرافة فلم تفدها بشيء.. بحثت في كل المخطوطات التي طالتها لا شيء.. سألت العجوز التي ربّتها عن أصلها فجوابتها بالجواب نفسه الذي كررته على مدار أعوام وكان يُعجبها.

"وجدناك في قارب".

نظرت نحو "ثا" تطلب باقي الحقيقة بحزم بارق، نصيبتها من الحكاية، هل ما حدث كله مرتب؟ مصير كما ردد!

عبرت "ثا" الحاضر نحو ماضٍ بعيد، وتلونت رمادية عينيها بشعاع باهت. نبرتها خرجت مرتعشة مثل حكايات الأشباح وظلام أحاط بالغرفة مع أصل الحكاية..

كان يا مكان.. سقط فوق الأرض ثلاثة أقمار، حطام عظيم نجا منه قمر واحد. الحطام خلق أرضاً جديدة، عالماً كاملاً في باطن الأرض سكانه من الأقمار التي سقطت. أما القمر الرابع فظل يدور حول الأرض بعيداً عن إخوته وقد اختار البشر ليهديهم ضياءه.

سقط ثلاثة ونجا واحد.



"يودوس"

كان يودوس قرأً جميلاً مكتمل الطلة، شعاعه وضاء، ولكن الارتطام مرر له ثغرة ضعف، رعشة لها بريق مخيف تصيبه حد العتمة من آن إلى آخر، ولكنه كان يعود بعدها. أجماره التي تساقطت منه تناثرت على أرض شامبالا في بقعة بعدها جعلوها مقدسة، لم يكن من المسموح لأحد الاقتراب من الأجمار، ولم يكن أحد يستطيع أن يلمسها. فكل من يحاول لمسها يموت.

سوى رجل واحد.. أطلقوا عليه بعدها المشعوذ.

"خادم القمر".

مضت الأيام على حالها، والمشعوذ موكل بحماية القمر وأجماره. التف الجميع حوله، عالج الأمراض.. كتب التعاويذ.. فعل المستحيل.. زادت قوته كلما لامس حجراً وكانت شظايا الأجمار كافية لتخلق سحراً لا يوجد له مثيل. كان يأخذ تلك الشظايا إلى الغابة، يضعها في تربة الأشجار.. يدفنها في الأعماق ويراقب النتيجة. يأخذ أوراق النباتات التي تنبت بمفعولها السحري الغامض ويضع وصفاتها في كتاب تعاويذه. منحه القمر قوة غير مسبوقة، ولكنها تمكنت منه.. تملكته وشوّهته.. شعرت "ثا" بالخطر ولكن بعد فوات الأوان. كان قد اختفى وغادر شامبالا ومعه بعض من أجمار القمر!

- أجمار القمر؟



نطقها "حرير" باستفهام، وقد أيقظت الحكاية رقاد
النبات في صدرها وتمكن منها الفضول، وها هي تعانق
المصير الذي كانت ترفضه. انبثقت الكلمات من أعماق
"ثا" وهي تتابع:

- أخذ أجار يودوس ومن وقتها القمر مُعتم.. حدث
البريق المخيف وبعدها أظلم تماماً. من وقتها يفقد القمر قوته
ويتجبر خادمو الشمس!

يوازي الحياة الألم، يوازي الخير الخديعة، دائرة أبدية
تكرر، صوت النور موجود داخل النفوس وكذلك صوت
الظلمة.. فقد المشعوذ نفسه.. أهدته أجار القمر القوة
ولكنها ابتلعت روحه.. بات مسخاً يتجول.. يبحث في
جعبة أسحاره عن طريق عودة.. فالعودة ليست سهلة كما
الذهاب. يوماً ما سيعود إلى القمر ضوءه ولكن ليس
من خلاله. هو علم هذا ومرر قوته إلى رحم "حرير"، قوته
لأحد الاثنيين.. نفس نقية لم تلوث.. نفس سيقبلها
يودوس!

يعود الحجر بالميلاد والدماء!

نطقت "ثا" بكلماتها وتوجهت إلى التوأمين، وسط تجدد
"حرير" أخذت المشروب ومررت بعضه على شفثيهما.
صرخت "حرير" بعنف:

- لن تؤذي أولادي.



أغلقت "ثا" جفنيها بحكمة غريبة:

- فقط لا تؤذيها أنت!

مر صمت ثقيل بعدها، ظل "البارود" على نومه، ولكن أمسك المشعوذ بمعدته وقد شعر بتمزق في أحشائه أيقظه على الفور، صرخ.. أفرغ ما في جوفه.. أسندته "ثا" ثم ملّست فوق جبهته فبدا عرقه مثل الماس، فلامسته بأناملها ثم اشمته. التمت عيناها بيقين وازى اليقين الذي كان لدى "حرير" من البداية.

هو.. هو..

خادم القمر.. وريث آسيوس.. من استحق اسم المشعوذ ومن سيصلح الخطأ ويعيد إلى القمر ضوءه.

- امسك الحجر.

أرض يودوس.. ممنوعة على الجميع.

حتى "ثا" من وقت رحيل المشعوذ الأول لم تستطع أن تقربها، في منتصف سمائها القمر المعتم، القمر الحزين المغدور به. أحجاره موت لكل من يلمسها ولم يكن المنشود. نظر نحو أعماق عينيها ومال نحو الحجر.. يقترب.. "حرير" تراقب من بعيد في جزع، و"ثا" تتوهج بثقة.. رفع المشعوذ الحجر بسلاسة، وحينها ارتج القمر!

فورة شعور غريبة تمكنت منه، رأى أشياء لا يفهمها..



رأى امرأة غريبة لا يعرفها.. رأى أفعى.. رأى بومة..
ثقلت اللحظة بالكثير مما يفوق استيعابه ولا يفهمه.. اقتربت
منه "ثا" وقد تقبلت الأرض قدومها الآن هي وكل من
يأذن هو له.

- هذا سرنا الصغير.. لا تخبر أحداً.

ثم استدارت لـ "حرير" بنظرة محذرة:

- أخبرني أحداً وسيموت! الغل يقتل.. الشر يقتل.. الغيرة
تقتل.

تراجعت "حرير".. باقي ما في جعبتها لم تصارح به "ثا"،
وكانت "ثا" تعلم جيداً أنها لم تصرّح بكل شيء.. باقي ما في
جعبتها وصية المشعوذ الأول.

"ابحني عن الكارسو"، "اتركي الآخر للشمس"، "سيخبرك
الكارسو ما عليك فعله"، "الشر والخير توازن يجب حدوثه".

حلبة الاحتمالات مفتوحة، والخير والشر صراع بين
إخوة. بات المشعوذ ابن "ثا" الروحي.. تأخذه كل يوم إلى
أرض يودوس.. تعلمه اللغة الخاصة بهم.. تسقيه القوة..
وتنتظر المصير. قترميم الخطأ لا يتم بين يوم وليلة، وعودة
القمر لن تكون سوى بالميلاد.. والدماء!

فقدنا البوصلة التي نعرفها، هذا العالم له بوصلته

ضوء ضعيف، وضوء كثيف. هذه الشمس مصيره،



تبهره وتقتله. تقول له أمه دوماً راقب الشمس.. الشمس
ستدنا على الطريق! كان يقف في مواجهتها، لديه رغبة
عارمة في الانتماء إليها، تندمج عيناه الزرقاوان مع لهيها
الهادئ ويراقب الصيادين وهم يجلسون في انتظارها عند
النهر كي يشوون أسماكهم على حرارتها!

ها قد جاءت اللحظة.. ظهرت شمسه فجأة وكأنما مرّت
من حلقة! هلل الصيادون، لم يكونوا طوال القامة كقوم
"ثا"، بل أقرب شبهاً إلى البشر، ركض مثل مراهق مبتهج
وجلس جوارهم، شوى سمكته وطعمها وقهقهه صياد
بسعادة لأنه بات منهم، رفع طرف قيصه ثم أشار إلى
ذراعه التي بات التصلب واضحاً عليها..

- ها.. لقد أصبحت رجلاً.

اليوم أتم هو وأخوه خمسة عشر عاماً. سبع سنوات في
أرض شامبالا، هو عاشق الشمس هكذا تسميه "ثا" بعدم
رضا، يحبها وينتظر أن تجبه. لحم الأسماك حلو يذوب
في الفم من أول قضمة، ولكنه يشعر أن قدره مذاق
آخر. الشمس تظهر نصف اليوم، عادة ما تنتظرها الحشود
الشبيهة بالبشر، يجلونها، خيّل إليه أنهم يعبدونها أحياناً..
قوم "ثا" لا يهتمون بالشمس كثيراً، يقولون إنها مغرورة،
لا تلتزم بقوانين الشروق والغروب بل تظهر وقتما تشاء..
يعيشون قرب أرض يودوس غير المسموح له قربها.. فقط
أخوه، ولقد اكتشفت "ثا" هذا منذ عامين فقط، ومن
وقتها تغير كل شيء.. حتى أمه تغيرت!



- أسنلعب اليوم؟

قاطعت "كاريس" أفكاره، كانت فتاة صغيرة سمراء جميلة من قوم شبيهي البشر، تصادقا منذ ثلاثة أعوام، هي من علمته لغة أهل شامبالا، طرقها، بعض أسرارها، ما يؤمنون به وما يرفضونه، بات يعلم أن الأرض محرمة عليهم، بل إن طريق الخروج من شامبالا مستحيل والمعبر لا يستطيع المرور منه سوى "ثا". وضعت كاريس أحجارها وبدأت اللعب كي ينضم، كان هو شاردًا في الشمس.. متلهفًا لمعرفة أكثر، يسأل كاريس فجأة وهو يراقب شمسه يامعان:

- أين الثمانية؟

قالت بلا اكتراث:

- مات أحدهم اليوم، ولهذا هم في حداد.

ضيق عينيه في اهتمام:

- إذن سيصيرون سبعة!

- لا أعلم.. لا أهتم يقول أبي إنهم مجانيين.

الثمانية، خادمو الشمس.. هكذا عرف عنهم من وقت ما جاء.. كانوا حليقي الرؤوس يتركونها مكشوفة تحت أشعة الشمس إيمانًا منهم أنها ستجعل عظام جمجمتهم



أقوى، رغم هيئتهم الهادئة من بعيد، فإن نظرتهم كانت بها شراسة. كانت لهم قوانينهم الجائرة ويستمع لهم شبیهو البشر لأنهم يؤمنون أنهم يستمدون قوتهم من الشمس.. لا يضاجعون إلا العذراوات، يسعون إلى تطبيق قانون يمنع القراءة، ولا يقربون السمك الذي أحرقته الشمس. سكان شامبالا يتحاشونهم، يخافونهم، يقولون إنهم أسوأ من الشر، فهم الباحثون عنه، يستمدون من الشمس قوتهم بفضل تعويذة مسروقة من الكارسو، ويستطيعون إحراق من يتردد عليهم بلمسة يد. حددت "ثا" إقامتهم قرب حلقة الشمس، وينتظرون هم منشوداً يمكنهم من الكارسو حتى ينالوا القوة الكاملة.

مثلها راقبهم راقبه.. مثلها أرادهم أرادوه.. ف"ثا" منعت بكل سطوتها الآخر عنهم.

منشود منقوص، منشود مخدوع، سارق ربما.. خادم الشمس الثامن بعدما قتلوا أصغرهم ليحصلوا عليه!

راقب شبیهو البشر ما حدث بحزن وراقبته "ثا" بهدوء يكتفم الكثير من الأسرار.. في كوخ محترق حلق رأسه، ارتدى الجلباب الرمادي وواجه الشمس بمجمة عارية.

خادم الشمس الثامن

"البارود"



وعليه أن يقدم لهم الكارسو كي ينال تعويذة الحريق.
وبعدها يمتلكون هم شامبالا.. يمتلكون قوة المشعوذ
الذي رحل وتنتصر الشمس على القمر وتنسفه تماماً.
ويمتلك هو آسيوس من جديد.. بل يمتلك كل شيء،
الشر قدر والخير قدر. وهو الشر قدره الذي ناسبه.

مقر الثمانية

خادمو الشمس.

إغواء العتمة خطير وإغواء الضوء قاتل.

زخرفة الجدران النارية أحاطت بالسبعة، مقاعد من
الجمر الحار لا تؤثر فيهم بفضل تعويذة، ما استطاعوا سرقة
من الكارسو قبل أن يختفي المشعوذ به من أرض شامبالا
ويلعن الغابة فيحرمها عليهم. غيظ نبرة مرّ من ثالثهم يسأل
زعيمه في حنقٍ:

- ماذا لو قرأت البشرية الكارسو؟

قال الزعيم بهدوء وضوء الشمس يحتل عينيه:

- لا تستطيع، قوتها منقوصة لن تنال منه سوى ما

يناسبها.

- وماذا عن الفتى؟

التمت عيننا الزعيم بقسوة:



- الفتى خطير، قد يصبح أكثر خطورة من المشعوذ السابق إذا ما نال كل قوته، ولكن "ثا" ستحرص على عكس ذلك.

ثم تناثرت ضحكته بهسيس قائم:

- هي لن تكرر الخطأ نفسه، وعلينا أن نستغل هذا.

- كيف؟

سأله السابع، كان أضعفهم بنية، اقترب من حافة القتل حين قرروا أن يتخلصوا من ثامنهم ونجا بلعبة حجر. قال الزعيم موضحاً وقد بدا صوته قائماً مثل صدى قبيح:

- الكارسو يعطيك ما تريده، ما تحتاج إليه، ما تبحث عنه، كل ما عليك فعله أن تصمت تماماً وتستدعي ما تريده بقلبك. الفتى لا يبحث عن السطوة، هذا ما زرعته "ثا" في قلبه.. كي لا يتوحش مثل الآخر.

- وهل تعلم البشرية هذا؟

رمى الزعيم السائل الخامس بصمت قبل أن يجيب ببطء هادئ:

- معرفتها منقوصة، ربما علمت أكثر مما يجب في وقت مكوئها هنا، ولكنها أبداً لن تمتلك كل قوة الكارسو.. ستحاول ولكنها لن تنجح.

تابع الخامس وعيناه تلمع بتساؤله الأخير:



- لم لم تتخلص منها ثا؟

اضطجع الزعيم ساخرًا على مقعده وضوء الشمس يتسلل من الفتحات المذهبة خلفه فيشكل علامة مميزة تمثل ثماني نقاط مضيئة حوله:

- وهل استطاع أحدنا يومًا تفسير "ثا"، هي والمشعوذ الأول لديهما الكثير من الحبايا.

تسربت حروف الثالث من جديد بَحْنَقٍ وقد ضرب بقبضته على الطاولة:

- كيف سنحصل على الكارسو إذن؟

ابتسامة مثل قعر الجحيم نفسه ارتسمت فوق شفتي الأول، الزعيم، منشئ الثمانية، الخادم الذي اختار شمسه ونبذ القمر. قمر يودوس سيظل في العتمة هذا هو قدره، وترف الضوء ملك الشمس وحدها وخادميها. الكارسو لهم في النهاية والمشعوذ أرسل الخير والشر والبقاء للأقوى. هسيسه مر على سمع الجميع، وعقولهم وقلوبهم:

- خادم الشمس الثامن، هذه هي مهمته التي اخترناه من أجلها وعاجلاً أم آجلاً سينفذها.

"البارود"

خادم الشمس



في معبد الثمانية تعلم الدوران حول فكرة واحدة؛ امتلاك الكارسو، كان الزعيم مثله الأعلى، تمنى في أحلامه أن يصبح مثله.. كان تائهاً، لم يعلمه أبوه الخير ولم يلقنه عمه الشر، وحده الزعيم ومعه وجد نفسه. علمه القتال.. فوق جسر حجري صغير يطل ضوء الشمس على تفاصيله ناوله السيف، علمه الحركة بخفة.. الضربة السريعة القاصمة، قتال بطريقة الثمانية. صوب الزعيم حد السيف إلى عين "البارود":

- لا تردد أبداً في ضربة.

واجهه "البارود" بنظرة قوية، نظرة لم تنكسر حتى مع قرب النصل منها:

- حتى لو أنت!

ابتسم الزعيم بمكر ونظرة المراهق أمامه تتحفز أكثر.. طامع في الشر بفطرته، عنيد.. عصبي.. مغرور! حرك "البارود" سيفه فلامس صدر الزعيم بتحدٍ:

- هل أستطيع قتلك؟

بنبرة مخيفة أرجفت تهور الفتى الصغير ردّ الزعيم وحريق الشمس يلتمع بعينه:

- ما زال أمامك الكثير لتعلمه.

يوماً تلو آخر.. تدريب تلو آخر.. قوة خادم الشمس تُبنى على مهل.. مهارات قتالية خاصة، اجعل نصلك موازياً



لعقلك، ولو احتاج فليسبقه، اقل دون تردد.. النصل
السريع فوز ونجاة. اقل الجميع لا تبالي.. المهم أن تنتصر.
آخر تدريب واجه امرأة، واجه أمه.. "حرير".. مقيدة..
تائهة.. عاجزة.. وأمر السيف نافذ.

اقتلها أو تموت!

قتلها!

- رائع.. نجحت في الاختبار! وربما تلك نجاتك.. أو
لعنتك.

عيناه تشتعل.. أعصابه تشتعل.. فتاة عذراء تسقط
ودماؤها جوارها، لم تكن أمه.. بل خديعة حقيقية جداً.
أ بسبب هذا شببي البشر يفقدون صوابهم طلباً لرضا
الزعيم. الوهم الذي يبيعه أحياناً، أم لأنه يستطيع إحراقهم
بلمسة. تلك مجرد تعويذة واحدة فماذا عن الباقي؟! الكارسو
محدود القدرات مع البشر، تريد "ثا" إحراقه ويريد الزعيم
امتلاكه، فقد ترك لهم المشعوذ الأول نفاً.

- من المشعوذ الأول؟

حين سأل لم ينل الجواب، انتصب المكر فوق ملامح
الزعيم وقال له بنبرة خشنة:

- اسأل أمك!

وحين سأل "حرير" لطمته، وأمرته أن يترك الثمانية..



وتأخرت "حرير"، هو الثامن وسبقني خادم الشمس مهما
فعلت سبقني خادم الشمس.

المشعوذ

- اصغى..

تهمس "ثا".. تتخلل أعماقه بنظرة، تأمره أن يمسك بالحجر
ويفعل، يمسكه بسلاسة، يقلبه بين راحتيه بقوة موروثه
من لمسة سحر.. تناوله قارورة صغيرة، يفتت الحجر ثم يضع
شظاياها بها ويناولها القارورة. تلتمع عيناها ببريق مأسور،
مسحور بقوة القمر.. تأخذ القارورة وتتلو عليها تعويذة ثم
تسكب بعضها في قارورة أخرى. ثقت القارورة الصغيرة
الأخرى من الجانبين ثم ثبتتها في قلادة ووضعتها حول
عنقه، أخفتها جيداً تحت قميصه ثم همست بتحذير قائم:

- لا تخبر عنها أحداً أبداً.

- لا أفهم.

- ستفهم حين تأتي اللحظة المناسبة.. ستعرفها، فقط افتح
القارورة ونادني وسأجيب!

ثم تابعت بنبرة قائمة غامضة مفترسة لبراءته:

- سيحدث المفترض حدوثه وسيكون خطأك، ستتعذب
بسببه وعليك أن تكفر عنه!



هاجم قلبه الحزن، قال في حيرة:

- ماذا أفعل؟

- لا شيء، فقط اترك نفسك لمصيرك.

حروفها تبعثر بقسوة، تخطو وهو خلفها.. يراقب القمر المعتم في حيرة وسنوات عمره الخمسة عشر لم تصل إلى الحكمة بعد.. ينظر إلى القمر الذي هو خادمه ولا يفهم كيف، الأجار في يده والضوء لا يعود، يطحنها.. يمررها لـ "ثا" كي تمارس سحرها الغامض.. والضوء لا يعود.

تبتخر نبرة "ثا"، تحاوطه بمزاجية قائمة وتحفر الكلمات في عقله:

- الضوء سيعود بالدماء.. وسيكون خطأك.

انتفض.. ناولته السيف، قتاله سيحفر في ذهنه بقانون قوم "ثا".

يستيقظ مبكراً، في أرض القمر المعتم هو و"ثا" وحجر وسيف.. قتال له ثقله.. همس "ثا" يوازي تلقينها له حركة السيف.

- عليك أن تعتاد رائحة الدماء.

- لا أريد.

- هذا مصيرك.

حافة السيف المدببة ييتها الجسد، ييتها القلب، ييتها اللحم،



يوم تلو آخر.. محاولة تلو أخرى. القتال مصيره ونصيبه..
القتل نجاته ولعنته، لا يصدق.. يقاتل "حرير"؟ أمه!
- تقتلها أو تموت.

صوت "ثا" كئيب ظالم وهو لم يفكر مرتين!
- أموت.

اختفت "حرير"، تبخرت مثل وهم مخيف مثل صوت "ثا"
تماماً.

- رائع.. رسبت في الاختبار، وربما تلك نجاتك أو
لعنتك!

تصلب قلبه، سقط سيفه.. آله فُتات الحجر في صدره..
همس "ثا" يحيط به كالشرنقة:

- سيكون خطأك، ستتعذب بسببه عليك أن تكفر عنه!

"حرير"

مزروع في رحمها لعنة.. مزروع في رحمها مصير.. مزروع
في رحمها منشود. واحد من اثنين موت وخراب أو حياة
وقوة. وآسيوس تستحق الأول!

عيناها تلتمع بنشوة قائمة والحجر يفتت، يضعه لها المشعوذ
في القارورة.. هي من دفعته، ألحَّت. مارست سحر الأمومة
وإغواء الكارسو يحتل عقلها. همسها يحتل رأسه بنعومة،



نبرتها تتوغل إلى قلبه وضعفه:

- علينا أن نرحل، أن ننقذ أخاك.

يرتج قلبه، يشعر بالشفقة على أخيه، مشهد رأسه الحليق
وانضمامه إلى الثمانية يؤلمه:

- لنفعل إذن!

التمتعت عينا "حرير" بعزيمة تحوي الكثير:

- "ثا" لن تتركك، علينا أن نجد الكارسو أولاً.

تمسك معصمه.. رحلة يومية إلى الغابة المحرمة، ذهاب
وإياب.. تلاحقهما مرة صاعقة.. مرة أفعى.. ومرة صخرة
تركض كي تهرس جسديهما. الغابة تمنعهما.. ربما هو
سحر قديم من المشعوذ، وربما تلاعبها "ثا". تمسك معصمه،
فوق ملامحهما الجمود والبرد.. أربع سنوات مرت، يكبر
هو في كنف "ثا" التي تعلم أنه رضح لحرير وأعطاهما بعضاً
من الأحجار، تعلم أن رحلة الذهاب والإياب غرضها
الكارسو.. وتنتظر.. الانتظار قدر والمعرفة لعنة تتم على
مهل. شامبالا أرض النقاء والخير نعم، ولكنها لا تخلو
من الخبث. وينتظر الزعيم على الجانب الآخر، و"البارود"
يكبر في كنفه، يصبح من المقربين له، يتعلم منه الشر الذي
يبقى، نشوة الضوء الحارق.

تمسك معصمه.. كهف تلو كهف.. شجرة تلو شجرة.

- عن ماذا نبحث؟



- كتاب.

- كيف تعرفين أنه كتاب.

- فقط أعلم، شامبالا مثل عالمنا، حاول وستعثر بالثرثرة.

ابحثي عن الكارسو

هزت رأسها مراراً تعيد العبارة التي زرعها المشعوذ الأول في رأسها، تتحد بها.. خمس سنوات في أرض شامبالا بين بحث وتلصص واندماج وجمع نباتات الغابة حتى فهمت ما هو الكارسو. لم يكن أكثر من مجرد كتاب، كتاب تعاويد محظورة مندمج بحجر مكانه مجهول في أرض الغابة الواسعة، الكارسو كتاب يعطيك ما تبحث عنه.. يهديك التعويذة التي ستنفذ المستحيل الذي تريده. الكارسو سطوة.. قوة قاهرة.. لم تقبل "حرير" أن يكون دورها مجرد رحم لخادم القمر. هي من وجدت حجر الدم في البداية، الحجر التي تعاضمت قوته يوماً بعد آخر حين دخلت شامبالا. شعرت بتلك القوة، كانت أحياناً توقظها من النوم في هلع، تمتلكها.. تعلمت كيف ترتشف دماءه وهنا شعرت بالقوة تتخلل أوردتها، تتعاضم داخلها.. تحولها إلى مسخ غريب جميل مثير للانتباه. أمرها المشعوذ الأول أن تدفع "البارود" نحو الشمس وفعلت هي ذلك بحماس، فالثمانية في النهاية هم من نبهوها أكثر لأهمية الكارسو. لم يكن مسموحاً للثمانية بدخول الغابة، فالشمس لا تذهب إلى الغابة وتمنع تابعيها عنها.. حتى "البارود" صار ممنوعاً عن



هذا الظلام، إذا ما خطا سيموت قبل أن ينهي الطريق.
أربعة أعوام قضتها في البحث، المشعوذ يرافقها.. تخدعه
بأنها تبحث عن النجاة.. سلام له ولأخيه الذي فرقتهما
شامبالا. أحدهما مأخوذ بالشمس والآخر نصيبه القمر.
ضحكتها كل يوم تختلف.. كلما اقتربت من الكارسو تصبح
أكثر قسوة.

وفي يوم سادس السكون، وسماء كادت رماديتها تطبق
على أنفاسهما، وجدا بوابة كهف محروس بأفعى، أفعى
تراجعت إلى الخلف بمجرد أن رأت المشعوذ وقد تناثرت
حولها مائة جمجمة لسابقين حاولوا أن يتخطوها. صراع
عنيف لا يفهمه وُلِدَ بداخله.. يخطو أم لا.. يُكَلِّمُ أم
يبتعد.

صوت "ثا" يمر بعقله.

استسلم لمصيرك، كلما حاربته هزمتَ
عليك أن تخطئَ وعليك أن تدفع الثمن

خطوة تلو أخرى.. "حرير" تتبعه في نهم، تلتمع عيناها
بنشوة وتصارحه كي تضمن طاعته.

- السيف معي.

- أي سيف!

- سيف أيبك.

قصت له حكاية سريعة عن رجل يرتدي السواد..



لم تخبره بكل التفاصيل، فقط ما انتوت تمريره في تلك اللحظة.. رجل يرتدي السواد في وسط عتمة الهروب ظهر، ناولها السيف واختفى في ظلام الغابة من جديد.

الآن هي تقترب من الكارسو، تدرك أن السيف له أهمية.. له دور.. زينت وجهها بابتسامة باردة والحجر يظهر أمامها والكتاب يستقر في منتصفه، محفوراً مندجاً به. سبحت في قوة أفكارها التي أهداها إياها حجر الدم ثم سحبت السيف من مخبأه في ملابسها وضربت به الصخرة فتناثر شعاع فضي قوي منها، اهتز الكهف كله وفتح الكتاب على أول صفحة دون أن يفلته الحجر. اقتربت بعينين ملتفعتين ممتلئتين بنشوة طامعة ثم طلب عقلها تعويذة.. مستحيل تبغني تنفيذه.

التعويذة الأولى

الخلود

تم!

نص الكتاب ما تريده، اللغة والرموز والطريقة.. كلُّ يُحفر في ذهنها بسحر غامض.

تعويذة أخرى أكثر شراً.. أكثر قسوة.

حياة التمثال.

تم!

ثالثة..



لن يقتل أبناؤها بعضهما بعضاً.

تم.

رابعة وخامسة وسادسة وسابعة.. طلبت "حرير" سبع
تعاويذ.

تم، تم، تم.

"حرير" تنال سطوتها.

وحتى إن كانت قوة الكارسو لها منقوصة فما زالت للبشر
قوة قاصمة. لعنة آسيوس التي ستهبط فوق رؤوسهم. عيناها
تبرقان بنهم، جسدها يرتعش.. نتوحش وتطلب أكثر،
اصطكت أسنانها بعنف فبدا صوتها مثل صوت تحطم
الصخور، البشر لا يحتملون الكارسو.. حاول المشعوذ
ملامستها وقد لاحظ أنها أصبحت غير قادرة على السيطرة
على ارتجاف جسدها، سقط قلبه في قدميه.. دون تفكير
أزاحها وواجه هو الكارسو.

وهنا.. بدا المشهد مثل هلاك في كهف.

زلزال شيطاني أحاط بهما، بدأت الصخور تخرج من
الأرض وكأنها أشجار جحيم وتحركت صفحات الكتاب
بشكل هادر سريع وقد بدا صوتها مثل طقطقة أحجار
مرعبة.. لم يعرف المشعوذ ماذا يفعل.. شعر بنفسه ضعيفاً،
مقيداً في ظلام أكبر منه والسلاسل تدفعه دفعا نحو سطوة
لا مثيل لها.. سطوة مغرية لا يريد لها. أغمض عينيه..



بحث بحث.. بحث عن تعاليم "ثا" .. عن إنسانيته.. ماضيه..
مستقبله.. عن وجه فتاة قابلته في خياله! وجه ملامحه غير
واضحة، ولكنه بشكل ما يشعره بالسلام. دق قلبه بعنف
حارق، ورغماً عنه كان هذا السبيل الوحيد.

طلب التعويذة

تعويذة عودة ضوء القمر.. عودة يودوس

تم!

حُفِرَ المصير في صدره وارتفع الكتاب فجأة بسرعة شهاب
مبتعداً عن الحجر حتى وصل إلى قمة الكهف وبعدها
احترق! تناثر واختفى وسط صدمة "حرير" الملجومة وعبارة
ظهرت من العدم ونُقِشت فوق الصخر.

"سيجد السيف الكارسو حين تعود الظلال!".

صرخة مستعرة وسط حجر.. صرخة نهم.. طمع.. لهاث
وكنز الكارسو يتبخر. ظلت "حرير" منهارة على ركبتيها وقد
تناثرت خصلاتها السوداء فوق وجهها، لهاثها حار مثل
الحريق ولعابها يتساقط.

- ماذا فعلت؟! ماذا طلبت.

طمع البشر لا ينتهي والكارسو يعلم، المشعوذ الأول يعلم،
"ثا" تعلم.



طردهما الكهف، كادت الصخور تسقط فوقهما، سحب المشعوذ أمه التي خارت قواها في البداية فلم تستطع أن ترفع قدميها، حملها فوق كتفه وعادا إلى القارب، رحلة العودة بدت طويلة لا يعلم كيف، اكتسب الزمن ثلاثة أضعافه، ولكن كانت "حرير" قد استعادت ثباتها، سيطرت على حرقها وعانقت مشعوذها ومنشودها ثم قالت بهمسٍ مراوغ:

- يوماً ما ستخبرني ماذا طلبت؟

اتزن القارب فوق مياه النهر الرمادية.. فوق ملامحها سحر شيطاني لاحظته حارس، وحين حاول اعتراض طريقها وضعت في سبات عميق بتعويدة، خطواتها حاسمة والمشعوذ خلفها تائه، ضائع، قلبه مهتز فارغ والقادم وهم أسود ثقيل. يبحث عن "ثا" بعينه ولا يجدها، يضع يده فوق صدره ويلامس القارورة ولا يعرف إن كان الوقت قد حان أم ليس بعد.

تدفعه "حرير" دفعاً.. "لنحضر أخاك". تغلغت نبرتها في قلبه، كان "البارود" يقف في منتصف الغرفة وكأنه ينتظرهما، ينظر نحوها والجحيم مرسم في عينيه، حريق الشمس في قاع أزرق.

- هل وجدتِ الكارسو؟

لم تعطه "حرير" فرصة ليُكلم، كان غارقاً في سحر زعيمه مثلها امتلكت "ثا" المشعوذ. لن تسمح لهم باستغلال



ولديها.. سيقتلونهم إذا ما حصلوا على الكارسو لا جدال.
سحر المشعوذ الأول مرّ لرحمها هي وليس سواها، بتعويدة
سريعة من كلمة واحدة وإشارة سبابة سيطرت عليه، فقد
وعيه وقد أحاطت به هالة غريبة مثل ضوء شمس ضعيف
حملته. همست للمشعوذ بحزم:

- هذه ستحميه من الغابة.. هو ممنوع عنها.. ملعون لأنه
من الثمانية.

القارب ينتظر، مجدافاه متأهبان، "ثا" اختفت. كيف
رحلت؟ هل سمحت بهذا؟ هل هذا هو الخطأ التي تحدثت
عنه؟ تاه المشعوذ أكثر.. القمر المعتم يرتج! قوم "ثا" يحتلهم
صراخ وركض وحرير تدفعه نحو القارب، يتحرك بهما بقوة
مضاعفة وكأنما يدفعه النهر، و"ثا" تظهر.. تبتم بغموض
وتودعه بنظرة قائمة. عبارتها تتكرر في عقله وتلك مجرد
البداية:

عليك أن تخطئ وعليك أن تدفع الثمن.

آسيوس

قوة حجر القمر تفتح المعبر وتعيد من يستطيع من شامبالا!
أحد عشر عاماً مروا، نسيهم الملك المغتصب لعرش أخيه
ونسيتهم الغابة، غابة أصبحت باردة شبه مهجورة.. يعيش
بها فقراء البشر والقناطير. صرخ "البارود" غضباً



حين وجد نفسه في الأرض، ثم صرخ ألماً وأحشاؤه
تمزق.. حتى تلك الغابة لا تقبله، "حرير" تلهث في كهف
مهجور وجوارها سيف، نباتات مختارة من الغابة الأخرى
ومسحوق شظايا حجر القمر. تتم بتعويدتها وصوتها يرتج
بشكل مرعب.. يتعد المشعوذ في هلع لا يفهم، وجسد
أخيه ينتفض وهي تقترب منه بسيف آسيوس.. السيف
الذي نثرت فوقه مسحوق الشظايا ومهروس النباتات
وكلمات سحر أسود.

تعويدة ممنوعة، وسحر الكارسو الأسود. أول سحر طلبته..
"سحر الخلود"، وقبل أن يدرك المشعوذ غرضها كانت قد
غرست السيف في جسد أخيه واستخرجت قلبه!

وقبل أن يدرك المشعوذ ما ستفعله لاحقاً كانت قد
استدارت له بسطوة شر كاملة، شر أم واجب لحماية
ولديها.. حب خطير.. حب مريض.. حب مغلف بلعنة
كارسو! نثرت في وجهه تعويذة وفقد وعيه وجاء دور
السيف معه.. ولكن لم يحدث ما توقعته.. لم تستطع انتزاع
قلبه مثل أخيه، فبمجرد أن اخترقه السيف تحول القلب
إلى حجر.. حجر معتم مثل حجر قريودوس تماماً.

- كيف تشعر؟

شعور رائع عظيم!

حنان أم.. خيمة ولحم قلب مشوي وخبز!



مرت خمسة أشهر.. حافظت على سرية وجودهم في الغابة، نفذت تعليمات الكارسو بحذافيرها كما حفظت وإن اختلف تأثير السحر على كليهما، اندمجت تعويذة الخلود بالبارود، ناسبه مذاق القلوب، باتت صحته أفضل ونال البريق من عينيه والنشوة القاسية من ملامحه. كانت قوته تتعاضم حتى إنه منذ أيام دقّ عنق قنطور بقبضته فقط للتسلية. حذرته "حرير":

- لا.. لا نريد لفت الانتباه لنا الآن.

أما المشعوذ فصمت.. صمت غريب احتله، عتمة القمر سيطرت عليه، أراد العودة إلى شامبالا، بحث مراراً عن المعبر ولم يجده.. رفض تناول قلوب البشر.. حتى حين كانت "حرير" تحاول خديعته وتمريرها وسط الطعام العادي كان يزهد الطعام كله ويتناول أوراق الشجر.

كره قوته.. كره مصيره.. كره نفسه وعاقبها مع كل ضحية يقتات عليها أخوه كي يقوى أكثر. أما "حرير" فقد حاولت تطبيق التعويذة على نفسها ولم تستطع، أصابت القلب ندبة وانتشى "البارود".. إذ خطط بينه وبين نفسه في الوقت المناسب لقتلها.. البحث عن الكارسو ونيل قوة زعيم الثمانية.

...

في الغابة، حدّق "البارود" إلى وجه أخيه باستمتاع متسلّ، وشهيقه يأخذ كل الهواء الذي يستطيع امتلاكه. كانت



الشجرة العملاقة تطل على لعبتهما الصغيرة، استطالت
خصلات "البارود" الآن، ودَّع رأسه الحليق كما ودَّع
شامبالا. سأله المشعوذ بهدوء ثابت وإن اهتزت عضلة
جانبيه في وجهه:

- ألا تفكر في العودة إلى هناك؟

ضاقت عينا "البارود" بنخبث:

- أعلم أنك تريد العودة.. تبحث كل يوم عن المعبر ولا
تجده.

ثم تابع وهو يتبختر ببرودة طاووسية:

- لا نتعب حالك لن تجده، ربما لعنته "حرير" بتعويدة
كي تمنع مرور "ثا".

انتفض "البارود" بعدها برشاقة ممسكاً بسيفه متأهباً
للقتال، غمز للمشعوذ بعينه:

- هيا لنلعب.

بجمود رفض المشعوذ عرضه وعيناه مع الأفق، المسار
نحو البحر.. كثيراً ما يذهب هناك وحده، يراقب من
حافة عالية قوارب الصيادين الذين يسكنون أطراف الغابة
بعائلاتهم. لم يعرفوهم حتى حين رأوا "حرير" لم يعرفوها..
ولكنهم تحاشوا المكوث جوارهم حين اختفى منهم خمسة
دون أثر!

لوى "البارود" شفثيه بتمليل:



- ما بك؟ في النهاية نحن لا نستطيع قتل بعضنا بعضاً.

وتابع بحسرة:

- يا للأسف، حرصت أمك على ذلك، كانت اللعبة لتكون أكثر متعة.

قالها وعيناه تلتمعان مثل ذهب مشع، دارت حدقاته سريعاً فلهج أرنباً يركض وهنا حدسه جوار حدس أخيه اشتركا في اللحظة، ركضا في سرعة واحدة وإن تفوق المشعوذ، فمنع "البارود" من اصطياد الحيوان المسكين لوجبة العشاء.

تدمر "البارود" ساخرًا:

- هل سنأكل جميعنا أوراق الشجر اليوم.

قال المشعوذ بحزم ساخر خشن:

- جرب!

كان "البارود" نهماً، باحثاً عن القلوب طوال الوقت، حتى إنه تسبب في قتل خمسة من عائلات الصيادين الأبرياء، اصطادهم كحيوان ليلي. "حرير" تدعّمه وتحوله إلى مسخ، والمشعوذ يرفض، لم تقرب القلوب جوفه ومع هذا قوته حاضرة. وهذا ما أكد لـ "حرير" أن تأثير التعويذة فيه مختلف. قوته حاضرة ولكن لا يريدّها، زاهد.. باحث عن "ثا" من جديد. منع الأرنب عن "البارود" اليوم، وأعدته "حرير" في اليوم التالي مع قلب فتاة شابة من عائلات



الصيادين ناله "البارود" بعد أن أغواها. قال بنشوة متوحشة
على المائدة بعد أن هرس القلب بين أسنانه:

- مذاق قلوب العذراوات أفضل.

في الغابة ملك سعيد.. في الغابة ملك تعيس.. في الغابة
ورث الموت.. في الغابة وريث آسيوس.. في الغابة ملك
سيعود ليأخذ بثأره. وقررت "حرير" أنه لن يكون المشعوذ،
التعيس الباحث عن الحق.. الشارد الذي أضاع قوة
الكارسو. بل "البارود" صاحب خبث الثمانية.. صاحب
نشوة القتل التي تحتاج إليها.

وصلت خيوط الشمس العادية إلى عينيه وقاربت أحجار
القمر التي كانت تطحنها وتضعها في طعامه على النفاذ.
كانت تلك هي الحيلة التي اهتدت إليها حين رفضته الغابة،
حجر الدم بعد اندماجه بشامبالا يعطيها حنكة سحر لا بأس
بها. صممت لوهلة ثم صارحته.. هو من اختارته، كان هو
في تلك اللحظات الشر الذي تحتاج إليه.. نبرة مثل الأفاعي
السوداء كانت وقود حروفها، ورغبة انتقام لم تهدأ، على
مدار أحد عشر عاماً لم تهدأ.

- حان الوقت.. على آسيوس أن تدفع الثمن.

مال رأسه الذي يفهم مقصدها جيداً، ثم نظر نحو أخيه
الذي ما زال تائهاً بين الخير والشر يبحث عن المعبر.. يبحث
عن "ثا".

تابعت بقتامة تفهم مقصده:



- لن يفهم.. سنفعلها من غيره.

حزمة وميض قاسية تسربت من نظرته، حزمة غضب
وحقد:

- لقد اختارته "ثا".. واخترتِه معها، تُراه ينفعلك الآن؟

ملّست "حرير" فوق وجنته بابتسامة كالسم وقد تمكنت
منها نشوة أحجار القمر.. هوس الكارسو، وهياج السطوة
على الأرض وباطنها إن استطاعت:

- الآن دور سطوتك.. لتنفذ، اصمت وراقب ابني
الحبيب.. لقد حان وقت تعويذة المينوتور.

صدى النشوة دماء والقتل قانون مستحق

تعويذة حان وقتها

لملت "حرير" شرها، ورافقت طاغيتها الجميل.. سر
الشمس واجب ونوم الظلام واجب.. قبة فوق جبهة
المشعوذ بعد تعويذة تنويمه.

- لن تفهم يا حبيبي.

كان نصيبه الخير وهي تحتاج إلى الشر.

اليوم "نهاية" آسيوس، اليوم نخب المينوتور.. في قلب
آسيوس حين تركتها عشرة تماثيل. والآن تعاظم غرور
الملك وبات المئات منهم. الإنسان عبد غروره، يرفعه



ويدفنه.

- تياما تياما.

تعويذة أولى.. مدخل.. نام المشعوذ في خيمته بفضل
سحر نثرته في وجهه، نام مع صراعه، وحوش غريبة تنبت
داخله، تحاول السيطرة عليه ويسعى جاهداً كي يهزمها. لم
تكن تعلم "حرير" بشأن تلك الوحوش، لو علمت لانتظرتهم
حتى تسيطر عليهم.

- تياما تياما.

صوتها هسيس سمي، سحرها قاتم، ضربت الأرض
بقبضتها وباقي تعويذتها يتناثر في جنون والتماثيل تتحرك..
تدب فيها الحياة وقوة القتل الحاسمة ويسلمون طاعتهم
للهموت والخراب، للبارود الذي تستحقه آسيوس. بارود
طاووسي.

عرشه حملته أربعة تماثيل.. هو طاغية يحب الظهور.
مشهد غريب استيقظت عليه آسيوس، خرج السحر من
وكر مظلم، وحن موعده الهلاك بتوقيت "البارود". على
مرأى عين تماثيل، جثث تتساقط.. قلوب تُنزع، ومسوخ لا
يشبع. ركض الجميع.. عذاب مهول، اختبأت القناطير في
الغابة متبرئة من ولاءها للملك وقادهم حدسهم إلى نائم في
خيمة أحاطوا به. أما البشر فنالوا العقاب جميعاً بلا هوادة،
خيرهم وشرهم، كبيرهم وصغيرهم، حرس.. رجال..
نساء.. أطفال. أقدام المينوتور تهرس الأجساد،



سيوفهم تبت الأعتاق، عشرات منهم كانوا موكلين لانتزاع القلوب. لعنة وسقطت فوق آسيوس.. رجل يبكي عجزاً ينتف لحيته، وامرأة تختبئ بوليدها من طوفان القتل فيأخذ حياتهما مينوتور بضربة سيف واحدة.. طلاس الموت اكتملت بفضل ساحرة عادت بكل قوتها، وجدوة آسيوس ستنطفئ بكل من دعموها. لم يزح الملك فقط عن عرشه، بل أكل "البارود" قلبه، وقلب زوجته، وقلب الابنة بعدما عاشها عنوة أمام أبيها.

ثار أسود، وظلم يستحقه ظالم، شر يستحقه شر.. والخير هُرس في الزحام. بقوة الخلود، وسحر المينوتور وشر الثمانية وطمع خادم الشمس. توحش "البارود" والساحرة وانطلقت قوتها المهلكة للجميع بلا استثناء. لم ينبجُ أحد.. ثلاثة أيام من القتل!

دمرت بحافل المينوتور وانتقام "حرير" ودموية "البارود" آسيوس حتى آخرها. باتت مدينة الموت والحراب. وبات هو الملك الذي قتل شعبه.

حين استيقظ المشعوذ من غفوته وأدرك ما حدث صرخ بكل قوة امتلكها، صرخ بغضب.. بعجز.. بلحظة قهر قاصمة وقد أحاطت به كل القناطير بحدس الحيوان الفطري. حدس أخبرهم أنه حمايتهم الوحيدة من طوفان الدماء الذي سقط فوق آسيوس، نظر حوله وقد ارتسم القمر المعتم في عينيه.. اقترب من البحر، صرخته لحظة ندم، لحظة مثل حد سيوف عدة مع كل روح بريئة



هلكت بسببه وكل روح ستهلك.. صرخته لحظة تيه
وصورة "ثا" وهي تخبره بمصيره تعود إلى عقله. هذا
ما فعله.. هذا ما جنته يداه. انطلقت منه زجرة مخيفة
وانتفض جسده بعنف على الحافة المرتفعة، وأمواج البحر
تضارب الصخر تحته. ثقل يتدلى في عنقه.. يتحرك.. يرتج!
حانت اللحظة.. يفهم الآن.. يدرك.. يعود ضوء القمر
بالميلاد والدماء!

صورة "ثا" ترسم أمام عينيه، مزيج القارورة يتطاير مع
حروفه، ينادي "ثا" بالتعويذة التي نالها من الكارسو..
التعويذة التي هي بداية إصلاح هذا كله. وعلى بعد
مسافات خارج حدود منطق البشر تستقبله "ثا"، تلتمع
عينها بريق القمر الراحل، وتدرك السبيل نحو النهاية..
نحو ضوء القمر.

قال تعويذته وسقط.. سقط في الماء وقد ظن أن هذا
قدره، نهايته المحتومة.. سقط بإنهاك أكبر منه.. سقط
مهزوماً.. يائساً.. رافضاً.. سقط واهتز البحر وخرج منه
عقاب ووحش ومستدئب وأفعى وخلفهم هو.

انفصل المشعوذ عن ظلاله.. وكال التعويذة التي نطق بها
عودتهم حين يحين الوقت.

حين تعود الظلال يجد السيف الكارسو.



الفصل العشرون

رحل الشجعان، والجناء.. الضعفاء، الأقوياء، الحرس
والفلاحون، العامة، والحاشية.

رحل الجميع.

حاكم قتل شعبه.. ويبحث عن شعب جديد!

ما المعضلة؟

مثل مزارع بدّل المرج.

لا داعي للبناء فوق شوائب. محو بالكامل واكتب
عهدك.

- لنبدأ من جديد.

قالها بنبرة طاغية ساخر، عيناه مثل فجوة مظلمة من
تخمة القلوب.. تماثيله خلفه بوجوه صارمة.. جنود العهد
الجديد.

عهد "البارود".

الأرض في اضطراب، والساحرة تبحث عن مجد، رائحة
الجثث دامت ثلاثة أيام حتى بعد أن دفنتهم تماثيل
المينوتور، مملكة أشباح صامته. غادرت المخلوقات السحرية
جميعها كل مساحة قريبة من "البارود"، توجهوا إلى
الجانب الآخر.. هناك تكاثرت الأقاويل عن آخر يقطن
قصرًا ضخماً شيدته القناطير. كان ثلاث قمم ضخمة



متجاورة وأساس من أحجار حديدية مرعبة المنظر. ورغم
هذا توالى الجنيات والقناطير وقوم الممالك السحرية
جميعها لطلب الحماية هناك.. إذ إن التماثيل لا تستطيع
الدخول إلى الغابة، المسوخ تتبع قائدها.

طقس شمس جميل.. في ظل مينوتور، الآن يفتح
جفنيه على عالم ملكه. هو الملك، وإن كان على مملكة
مهجورة! نظر إلى الفراغ حوله في سأم، غضبت أذناه من
الصمت القاتل. الشيء الوحيد الذي يسلي صمته هو صراخ
عذراوات جورا.

يا للوحدة القبيحة.

ليته ترك لمزاجيته امرأة أو سبعة.. رفيقته الوحيدة
"حرير"، بل غريمته، فهي بعدما أعطته السلطة تطمع الآن
فيها. كانت "حرير" أحياناً تبدو قوية مخيفة، ساحرة صقلها
الوجع والدماء. تعيش دور الملكة بشموخ مع أنها دون
حاشية، تتجول بجبروت وتشرب من حجر الدماء فوق
كرسي العرش ثم تضحك بهيستيريا وتسأله عن الظلال.
وأحياناً تفقد عقلها، تحطم المرايا وتقول إنها ترى فيها
"ثا".. تأكل بنهم، تنهي مخزون العدس والفواكه واللحم
المقدد ولا تفكر في القلوب خاصته. يا لها من أم عاقبة.

ألقي عليها التحية ساخراً وارثشف كأس نبيذ، عيناه مع
الأفق ويفكر في مذاق قلب عذراء ينعش روحه. مط



شفتيه بقسوة:

- افتقدته.. تبحثين عنه؟

ابتسامة مشوهة ارتسمت فوق شفتيها، لا تعلم ما حدث.. كل شيء حدث فجأة، ظلال ظهرت من العدم وهو اختفى في قصره. سراب الأفعى قاتم مخيف وقلبها يرتجف على الدوام دون سبب. همس "البارود" بسخرية قائمة:

- ماذا يا أمي؟ ندمتِ على خيارِك؟

صوت "حرير" الثقيل تسرب بحكمة سوداء:

- لم يكن ليفعلها، المينوتور قدرك أنت.

التمعت عيناه رغم هذا بغضب:

- ولكنكِ نادمة.

عضت فوق شفتيها باعتراف مظلم:

- لم أكن أعلم بشأن الظلال.

ساحرة منقوصة القوة رغم كل شيء، ساحرة داخل قفص والمفتاح مع "ثا". ساحرة طامعة اختارت قوة واكتشفت أن هناك أفضل.. ساحرة فقدت نصفها الخبير الذي كان ليصبح أعظم شرا!

سخرية "البارود" بدت مثل انفعال رجل بثقب في قلبه:

- تحيينه أكثر!



نظرت إليه بشفقة، اقتربت منه.. ملّست على وجنته.. ثم
قالت بصدق تام:

- أنت لا تعلم ما فعلته من أجلك.. كان من الممكن أن
اختره وحده وكما سننجو.

انتفضت كل ملامحه بعنف، هرس معصمها بقبضته،
من قعر روحه تسربت حروفه بسواد:

- تحيينه أكثر.

يبرق.. يلهث.. يعشق.. يكره.. يصل.. يتوه.

- أنا الملك.. خادم الشمس الثامن.. لا يوجد لك فضل
عليّ هل تفهمين.. أنتِ احتجتِ إليّ.

ابتسمت بمرارة وعيناها تنزلق فوق ملامحه:

- أخذت قسوة عمك.

أما هو فالتمت عيناه بنشوة طاغية، هو رجل حقق
مصيره.. اختار مصيره.. مصيره الحكم والنصر والسطوة.

- جيد.. فطية قلب أبي قتلته.

ناطحته، صورة "ثا" تهتز في المرآة خلفه.. هي ساحرة
مفقودة، ساحرة السبع تعاويد، خدش حجر قمر قلبها فباتت
مسحاً منقوصاً. هي نصف خير ونصف شر ومنها الخير
ومنها الشر. قالت محذرة بحكمة رغم كل شيء تبغي
حمايته:



- مات عمك أبشع ميتة.

تراقصت في عينيه نظرة قاسية.. أقسى نظرة على وجه الأرض:

- ولهذا لن أكرر خطأه، سأحرص على الخلاص من أقرب أعدائي.. كل أعدائي.

غريبة لعنة التعاويذ، قائمة وسريعة.. تعويذة لك وتعويذة عليك، وهبته الخلود ويهبها الموت. خانت ابناً ويغدر بها الآخر.. ساعده يهرس عنقها، قوته قاسية وهي من وهبتها إياه.. تلت الترنيمة أمام التماثيل ووضعهم تحت إمرته.

كم هي بارعة في الأخطاء، وها هو ولدها أعظم خطيئة.

شهقة!

أستموت؟ لا يعلم. هي لا تعلم، عليه أن يحاول. هو وحيد في مملكة، يسحبها خلفه.. علامة أظفارها على الرمال.. حولهم خواء قاتل، صمت كثيب وهو رجل يفضل الضجيج. أمر العذراوات أن يتابعن الصراخ، معزوفة موت الجورا.

في مرمى نظره بئر، وجواره عنقها يرتجف.. قلبها يموت.. تترقق في إحدى عينيها دمعة.. تتجمد.. وتتحول إلى لون أزرق يحتل البؤبؤ بلا رحيل. كانت نتلوى، وقدماه هو على الأرض بثبات، روحها لا تخرج.. بل تموت داخلها! وروحه هي من قتلها. بعد صراع كثيب، ووجع انسكب



فوق قلبها دون هوادة.. تركها، دفعها في عنف.. همس
بظلمة وحروفه كالقيء عليها:

- كم تعويذة منحها لك الكارسويا "حرير"؟

بصوت مثل تعريجة عذاب ردت وأظفارها المسحولة
تقطر دمًا:

- لن تعلم أبدًا، ستقضي عمرك هكذا، تلهث وتبحث ولن
تنال ما تبحث عنه.

صرخ، طعنها بسكينه الحادة.. تجبر قبحه في وجهها:

- أنت من دفعتني إلى هذا.. ولاؤك ليس لي.

تشبثت به ونبرتها لهاث يأس وغضب وحسرة، مشهد
نهاية ثقيل لم تعمل حسابه، أسوء مشهد في التاريخ، ابن
يقتل أمه!

- لن تستطيع أن تقتله، تعاويد الكارسو لا تُمحي.

ولهاثة هو لهاث الشيطان نفسه:

- سأجد طريقة.

أطبق جفنيه بعنف، كتفها بذراع واحدة، أشاح بوجهه
عنها ثم رفعها إلى حافة البئر ودفعها.

هوت.

هوت إلى القاع، إلى قعر الإنسانية التي قتلها فيه.



يجب ألا تنشغل بأخطائك السابقة.. ارتكب أخطاءً
جديدة!

الحياة دون شعب مملّة، أمه عظام متآكلة في بئر، وأخوه
محتجز في قصر كئيب مستحوذ على النصف البارد من
الأرض. وهو النصف المشمس.. البهجة الحارقة! خادم
القمر في الغاب وهو أنشأ لنفسه حضارة.. مارس هوايته
في الحكم، قسّم مملكته، رسم الخرائط بنفسه، سخر المينوتور
لينوا لهم قصرًا نفخًا على حدود المملكة وأسماها أرض
العرش.. بدّل اسم آسيوس ليودوس. نعم يودوس.. هذا
الذي مُنِعَ عنه.. سيمتلكه يومًا.. وينسفه بالشمس. في
أغوار روحه هو طاغية.. هو داهية.. هو شرير بالخيار
والفطرة.. هو ملك الرذيلة لأن العفة يهزمها السيف. نال
مملكته.. كان قد استوعب تفاصيل تعويذة الخلود التي
منحتها "حرير" له، كانت رائعة خبيثة مثل الكارسو تمامًا،
يمر عليه العمر فتضج ملامحه ولكن لا يشيب، توقفت
ملامحه على أعتاب الثلاثين، ذروة الشباب والحكمة في
الحين ذاته، يليق به الآن البحث عن شعب. ووجد
صراخ العذراوات صيدًا، كانوا ثلاثة، استقبلهم بسطوة
أرعبتهم.. سيطرة المينوتورز نسفت كل فكرة هروب فلم
يجدوا سبيلًا سوى الاستقرار بقومهم. ثلاثة آلاف على متن
قوارب عدّة يجثون عن أرض جديدة بعد هجر



أخرى. قائد، وعالم، تاجر.. كل له عشيرته. احتاج إلى جميعهم، ورغم بأس القائد وتمرده المتقطع كان العالم من يزعجه أكثر. تقبل قوانينه على مضض، حاول التلاعب أكثر من مرة فكانت قوة السيف هي القاصمة. أيًا كان.. شعب جديد، وقوانين أصلها شر الثمانية. قوانين نفذت إلى أعماقه. حان وقت عهد "البارود".. مجد "البارود".. سطوة "البارود".. في هذا العالم البأس.. ينتصر الوغد. ها هو قد نال شعبه وسيروضه على مهل. مثل براعم فوق موقد يضعهم مرة في وسط الأرض ومرة على المائدة.

في عهد "البارود" يموت الشعب ويحيا الحاكم.

لا تعطِ شعبك فرصة الوصول إلى النضج.. التهمة وهو جنين لم يخرج من رحم المعرفة بعد!

- هل تشعر بالندم أبدًا؟

فوق بئر ثرثرة.. وحكاية.. "حرير" ملفوف في قماط! وقف فاردًا قامته وعيناه تلتمع ساخرة تراقب ظلام السماء، نظرتة تميل إلى القاع بشراسة والصوت صدى قبر.. أمه الميتة الحية.

قال ببأس وهو يلقي نظرة خاطفة إلى القاع الذي ألقاها

به:

- هل تشعرين بالندم أبدًا؟! أنا أشبهك من عدة نواج يا



أمي.

لث بعدها ضاحكًا بنبرة قوية:

- أنتِ لا تشعرين بالندم يا "حرير" .. هذا الوجد الذي يطل من حروفك ليس من أجل آسيوس ولا حتى أخي .. بل لأنك فقدتِ السلطة. تعرفين؟ السلطة إغراء في منتهى الخطورة .. هازم للإنسانية.

انتفضت بغضب مكتوم:

- أنت فقدتها يوم انضممت إلى الثمانية.

جلس القرفصاء واقرب من البئر بحميمية، بل إنه ملس فوق حافته بهدوء وكأنما يملس فوق رأسها:

- أنتِ علمتِ هذا وناسبك .. تعرفين يا أمي نحن نختار الشر الذي يناسبنا وحين ننهي نظن أننا يمكننا التخلص منه بسهولة .. لن يتم الخلاص مني بسهولة يا "حرير".

والتمت عيناه بشراسة جوار باقي همسه:

- سوف أعود إليك مجددًا .. حين أصبح أكثر براعة .. لا تنسي .. أنا تلميذ نجيب.

سخرت بوجع ونبرتها مثل جثة تجاهد لتبقى دون فناء:

- تصقل قوتك بالكثير من القلوب.

وقدت عيناه حكمة .. قانون بارودي قائم:

- لا تلومي المسخ على غريزة أنتِ من وهبتها إياه.



واستقام.. انحني.. حياها بكياسة ملك.. الظلمة في
الأعماق تزيد وهي تستحقها، والقمة شمس تحرق وأيضاً
تستحقها.

- وداعاً يا أمي.. هل تعلمين؟ سأفتقدك!

خلفك ظلام.. أمامك ظلام.. أما أنت فسراب فاسد..
وجهك للبحر.. ظهرك للغابة، روحك للشر رغماً عنك،
كي ينجو الخير فيك

ظل يحميك.. ظل ينهشك.. ظل يُكِمِّلك.. وظل يبحث
عنك!

أنت مشعوذ بالقوة.. بالمصير.. بقانون كُتاب لم تقرأه..
أنت المنشود الذي تاه وكُتِبَ عليه الصمت حتى حين.

غادرته المرايا، لم يعد يتعرَّف وجهه.. بات مثل شبح
تائه وظلاله تنتصر عليه. عبرت أرضه القناطير وبحث
مخلوقات السحر عن سطوته.. تعويذة مرت بينه وبين
"ثا" أفهمته المصير القادم، وإن كان الآن في ذروة ضعفه
وعليه أن ينزوي، يتحرك بين الممالك كشبح حتى تظهر
هي. مع ميلادها تبدأ قوته في العودة ومع امتلاكها
تكتمل. قلب من حجر، نبض توقف مع تعويذة وسيعود
بأخرى نصها هو على حافة بحر.

"ثا" "ثا".. سر في قارورة.



انطق بالتعويدة في الوقت المناسب.. نصفها الآن ونصفها
بعد زمن طويل، ستنام وتصحو.. تضعف وتقوى.. وتعود
بقوة لا يوجد لها مثل على وجه الأرض.. أنت الخير
وأنت الشر.. أنت المنبوذ وأنت المنشود.. أنت خادم القمر
وحارس الضوء!

على الجدار أثنه "ثا" مثل سراب، بل أشبه بسحر..
خيال.. هنا سينشئ متاهة! وهماً يبيعه للمسح. عيناها
الفضية تنتفض وكلما سحر خافت:

- أنت تعلم ما عليك فعله.

بملاح تمكن منها الظلام، ملاح تجرت وغاب وجهه في
دخان أسود طلت خشونة صوته:

- أخبرتني سيكون خطئي.

- وعليك أن تكفر عنه.

رغمًا عنه تائه، حادث الكهف يهلك مخيلته:

- هل حقًا أنا من طلبت التعويدة من الكارسو أم هو
من أعطاني إياها؟

مال رأسها ومدت سبابتها نحو ملامحه المشتتة في حنان:

- الكارسو كتاب خبيث يعطيك ما تريد ويعطيك ما

يريد.

انتفض.. صوته لهاث متعب.. رافض.. ثائر:



- أنا أرفض الشر.

صوتها عزيمة مستبدة:

- لا سبيل للخير سوى من خلاله.

صوته حياة.. موت.. ثلج.. عتمة قمر.. يأس والمجد

للكارسو:

- أنا أرفض الظلام.

صوتها مصير.. نشيد عتمة قمر:

- لا سبيل للضوء سوى من خلاله.

قالوا إن نجمة شهدت على الواقعة.

وقالوا إنها واقعة شريفة، "البارود" نفسه لم يعرف بها في حينها، رحم بدا سيفي بالعرض، عجوز من العدم بوجه ساحرة ظهرت في أرض يودوس. شعر ذهبي طويل يصل إلى كاحليها وعظام فك منحوتة بشكل لا يشبه البشر. اختارت امرأة من عائلة العالم.. في رحمها دسّت السحر تحت رعاية أطماع البشر، السحر المحرّم كما أطلقوا عليه والذي جلب الفتنة واللعنة. أحجار القمر وورود غابة وتعويذة بدأها مشعوذ على حافة بحر! هناك ومن هذا الرحم كانت بداية عودة الضوء. وُلدت "ضوء القمر" ومن رحمها نمت التعويذة، رابعة من ثلاث هي من ينتظرها، والثلاث كلُّ لها دورها في الحكاية.. المعرفة مع "البداية"، والسيف مع "النهاية"، أما "القلب" فلقلب.



قالوا نجمة شهدت على الواقعة

وكان الطاغية منشغلاً بملذاته، وقت اللذة فرض نفسه،
وانشغل الحاكم بشعبه الجديد. نصّ "البارود" قوانين حكمه
على التوايت، اتباع أقوى الرجال لحراسته، مرة بسطوة
المينوتور ومرة بإغواء النساء والذهب. زرع القسوة وزرع
الفساد. ترك "حرير" منبوذة في البئر ساكنة كمنسوخ ميت.
أطلق شائعة أن البئر مسكونة بشبح ساحرة موت ونشر
سطوته بالرعب وبتاريخه المزيف بين النفوس. راقب
القصر من بعيد وراقب الغابة ونشر تماثيله على حدود
يودوس من الشمال والعدراوات من الغرب، وأرض
الموت التي ابتدع وجودها من الشرق، فحاصر شعبه بالوهم
والظلام وترك الجنوب لـ "غاند" وأخيه حتى يجد لهزيمتهم
سبيلاً.

قالوا نجمة شهدت على الواقعة

في منتصف البئر مسخ.. ساحرة مغروسة بغدر من
صلبها، تتأخر عليها الشمس ورغم كل شي يأتي القمر!

لا تعول على صلة الدم.. فهي لا تمنع الغدرا!

بقدره بعوضة، وعينان هما الباقيتان من جسد فني، لمحت
"حرير" ظل رأس يندمج مع شعاع الضوء الطفيف من
الحلقة. هكذا تراه، قمة البئر لها ليست أكثر من مجرد حلقة
مستديرة شبيهة بالثقب، تخبرها كل ليلة كم هي فاسدة
عاجزة. حلقة الوجع والحقد والسُّم.



- "حرير" ملفوف في قماط!

نبرة الحكي تتلوى على شفتي "ثا"، حان الوقت أم حان
الثأر.. هربت بشرية أغواها الكارسو ونصرها الكارسو
وهزمها الكارسو.

- التابع صار متبوعاً وهزمك يا "حرير".

بصوت بدا قادماً من فراغ كئيب وكأنما جثة تحاول
الاستيقاظ من الرقود قالت "حرير":

- ولدي.. كيف هو؟

سخرت "ثا":

- الآن تطرقين باب السؤال عنه!

صرخت "حرير"، من جسد متيبس جاهدت نبرة:

- أريده يا "ثا".. أريد عودته.

- لم يعد لك.. العودة واجبة رغماً عنك وعنه.. إلى
يودوس.

وتابعت "ثا" وعيناها تضمها هرساً لا حياً:

- قادتك خطواتك إلى هنا فتحملني النتيجة.

نفس بأس تسرب من بقايا الساحرة، أوجاعها ترقص
داخلها، تشعل الحزن والغضب والفوضى. هي في عهد
الكسيح.. مرّ عهد الطمع والسطوة وبدأ عهد المسخ.



هل أشرقت الشمس اليوم؟

لا تعلم.. الحياة في البئر أشبه بعزلة بحيم. رق أسود مكتوب عليه بالأسود.. مرحى.. "البارود" منع الكتابة! منع المعرفة كلها وخلق جهلاً يسيطر به على العقول. جسدها اليباس يلتقط الأخبار من هنا وهناك، تصارع نفسها وغضبها وعجزها كل ليلة وتفكر في الآخر.. صوت ضفدع تسرب منها.. ضفدع خبيث ماكر في لحظة ما قبل الغدر اتخذ قراره، البيض إذا ما وُضِعَ في سلة واحدة سيخلق الفوضى فوق رؤوسنا.

- لقد دفنتُ السيف في الغابة المحرمة، "البارود" لا يستطيع الذهاب إلى هناك. تعويذتي الرابعة.. قوة السيف مدموجة بأججار القمر، هو منها وهي منه.

نظرت "ثا" نحو هزيمتها بتجبر:

- لا يكفي.. ستكفرين عن ذنبك يا "حرير".

ورفعت "ثا" كلتا يديها فخلقت ما يشبه نصف قوس من ضياء فضي مرعب، ريح صارمة مخيفة تندفق منه تلفُّ بقايا جسد "حرير".. وجنتاها تحولتا إلى لون داكن مخيف وصدح صوت البوم حول البئر، في حين بدأت أجنحتهم تتحرك بعنف. "ثا" تنص سحرها.. تمحو وتبدأ.. تمنح وتعاقب.

"حرير" ملفوف في قماط.. يسقط حين يموت النغل.



اللهب الفضي سيعطي الحياة وينتظر الموت.

مكتوب عليك ألم اللهب يا "حرير" في قلبك.

حتى يعود ضوء يودوس.

حتى يعود ما سُرقَ..

حتى ينتهي شر الثمانية الذي منحته الخلود.

أحجار البئر اصطفت من جديد، تحركت الأشجار بسرعة وأحاطت به، وكر يشبه ضمة الموت، مغروس في الأرض بالسحر.. بزعانف الشر.. بكلمة غدر وغضب، صوت ضحكات وعويل وأجنحة بوم، قدرة سحر أسود مقيد بألم حارق هو عذاب لا نهائي حتى يعود الضوء. لحظة انعتاق بالماضي، والمستقبل.

في وسط البئر مسخ، ساحرة نالت الخلود المشوه، عارية لن تنال سترها سوى بالنبوءات. ولن تنال ملامحها سوى بنبوءات أربع وُضِعَتْ بذرتهم في فراغ رحم. من خبايا الكارسو جاءت تعويذة لم تكن لتناسب سوى المنشود، تعويذة عودة ضوء يودوس.. ومن هنا يبدأ التنفيذ.

قالوا نجمة شهدت على الواقعة

احذر "بارود" معرفته منقوصة، مسح دماء القلوب بشرشف باهظ وقرر أن يتناولها ناضجة، رسم سطوته بالظلم والجبروت وبدأ السحر الأسود في التسلسل من بئر ليرسم الحكاية فوق أرض آسيوس المقتولة بحبر جديد.



أنا "حميد"

ساحرة الوجع

صاحبة السبع تعاويد

سحرت تلك الرقوق كي لا يجدها غيرك

من نسل العالم وتعويدة كارسو جاءت "ضوء القمر"
ومنها أربع فتيات. كلُّ لها دورها في الحكاية وكلُّ لها
من سحر الحجر نصيب، سيختار الأب أسماء ثلاثة زرعها
في عقله، والرابعة هي لك.. ستعرفها حين تأتي. هي
يودوس.. هي روح الحجر.. هي الميلاد والدماء.. هي لك..
قدرك.. هي منك وأنت منها. قدرك أن تبحث عنها!

قدرك الصمت حتى تجتمع الظلال، صمكت الأصل
وضجيج أخيك له زوال، اقبل قدرك يا حبيبي، اقبل
سطوتك.. جبروتك. في رأس "غاند" ستجد الكارسو،
وبسيف الأرقب تشقها من الخلف وتنال ذلك الأخير
ويأتيك الكتاب طواعية. وبعدها وقت اكتمال التعويدة.

تعاويد الكارسو واجبة النفاذ، لا تُمحي.. لا تُعكس.
فقط تُهزم بتعويدة جديدة.

ابدأ عهدك، واقتنص قوتك، ولدي.. حبيبي.. خادم
القمر ومالك السيف.. وريث آسيوس.

صوت "بداية" يختم الرقوق، وملامحه حجر مثل قلبه. تاريخ



عاد.. سقط بثقله فوق روحه كجبل، تاريخ تمّ فوق الجثث.
وفي ظل مسخ نمت ظلال وله ستعود، وله الكارسو
سيعود. اندج بعينه بأس.. شراسة.. مصير. قوة بأس
وشر حين الحاجة، وقوة خير حين الحاجة.

"بداية" تنتفض.. تبعد وجسده يرتج.. يتلوى بين ثلاثة
مسوخ ولكن هنا.. هو من يسيطر على ظلامه. هو الخير
وقت الحاجة وهو الظلام.

حان وقت الكارسو.. ورغماً عن الجميع.. ستفتح ثغرة

ججيم!



الفصل الحادي والعشرون

لفظت كلمات.. تاريخ.. بداية ثم ركض نحو نهاية.
نظرت نحو أعماق عينيه فرأت بطلاً، ومسحاً، وعقاباً،
ومستدثباً، ووحشاً، وتبقى الأفعى. شعرت وكأنما الجدران
حولها ترتج. عيناه تتوهج بنيران سوداء هي الخير والشر
سواء، بحر النجاة والظلام الدامس، الترياق والأفعى. هو
رجل قادر على منح النساء نظرة مذيبة ومسح قادر على
النظرة القاتلة. قفزت متراجعة وقد لاحظت أن نظراته
تدفقت حاملة الجبروت والثأر، وهم الكارسو أم حقيقة
لعنته؟ لا تعلم.

أجفانه باتت حمراء مثل جحيم وصوته مشدود النبوة ثقيل
بقسوة ووجع.

- خائفة؟

لاحظت أن كلا جناحي العقاب، ولكن بلون أسود
قاتم، قد انبثقا من تحت جلده فتعاظما بقسوة أوجعته
محتلين جوانب الغرفة. ذراعاها أمامهما متهدلتان جواره
يأس وأنفاسه بطيئة متعبة. بات واضحاً الأمر لها الآن..
هو يصارع وحوشه. الغريب أنها لم تخفه، بل تقدمت
نحوه.. روحها بدت كاشفة رغم كل شيء للخير داخله،
هي رأت هذا الرجل من خلال الرقوق كما لم يعرفه سكان
يودوس، رأت ملامحه حين كانت تقرأها له.. رأت الشر
نعم، ولكنها أيضاً رأت الخير وتاريخه.



نفضت غمامة مخاوفها وتقدمت نحوه أكثر وهي تدرك
وثيق وتأخذ جانب "شاهق" و"جبار" بلا تردد.. المشعوذ
هو نجاة يودوس، هذا الشر أو هذا الخير أو هذا المسخ أياً
كان الاسم هو سبيل نجاتهم الوحيد. قالت بهمس هادئ
ولكنه مرتجف رغماً عنها من الرهبة:

- هل تستطيع السيطرة عليهم؟

كانت تقصد الظلال داخله، تنهد وقد جاهدت نبرته كي
تخرج من الظلام المتصارع في صدره:

- الكارسو هو بداية تلك السيطرة.

ثم التوت شفتاه بقسوة ساخرة وهو يشير نحو صدره:

- ولهذا هنا الآن معركة.

خيَّلُ إليها أنها سمعت صرخة الوحش داخله، تراجعت
رغماً عنها وملامحه أمامها تختلف.. تتحول .. تنقلص قبل
أن يرتج صدره بأنفاس متتابعة ثقيلة وبعدها هوى بقبضتيه
بعنف شديد على الأرض تحته فتصدعت في لحظات.
هدأت بعدها الأمور بشكل مؤقت.. تراجع الجناحان
وعادا إلى الاختفاء داخل جسده، عادت عيناه إلى لونهما
الطبيعي وانتصرت بشريته في معركة صعبة قصيرة.

واقرب وقت المعركة الأطول.

معركة "غاند"



مشهد مثير للريبة، غريب بقدر كابوسي. شيخ يزحف على صدره وقد اختلطت الرمال والأجار المدببة الصغيرة بشيب رأسه، ظل يزحف مجاهدًا حتى وصل إلى حافة البحر متلاطم الأمواج، وعيناه تلهث باحثة عن الأفعى. يناديها.. يرتجف ويرتج من السعادة.. يتوسل إليها بكل هياج وتعاسة أن تقتل ظالمه. نظرت نحوه "نهاية" التي كانت واقفة على الطرف الآخر أمام القصر بتعجب وصدرها يعلو ويهبط، تنتفض بدورها من فرط القلق والوحشة، خاصة أن "بداية" اختفت منذ ساعات ويودوس نائمة بعمق غريب وكأنما جسدها يستشفي بطريقته الخاصة. الشيخ يلهث في هيستيريا، يمسك ببقايا لحم قنطور، يفرك قدميه الحافيتين ببعضهما بعضًا في عنف ويصرخ بعلو صوته:

- ها.. هيا "غاند" هيا.

فجأة وبشكل مباغت مرعب انطلق صوت فحيح مخيف وظهر جسد الأفعى الضخم بشكل مباشر من تحت سطح الماء. كانت في غاية الضخامة أكبر مما سمعت يومًا، مرعبة.. مفرعة.. تشبه الموت نفسه. بدت مثل وحش هزيمته مستحيلة. حين شق جسدها المياه تعالت صيحات الشيخ ومرر عدة ضحكات هيستيرية وتحول لون عينيه إلى لون أحمر دموي من فرط التعب والحماس. ارتج صوته وهو يتوسل إليها بعد أن دفع لها ببقايا القنطور فابتلعتة في قضة شرسة واحدة.



- اقتليه "غاند" .. اقتليه.

ثم صاح بعلو صوته وعضلات جسده كلها تنقلص،
قلبه تلوى ويتلوى بعذاب لا ينقطع والمسوخ أمامه سبيله
الوحيد كي يهدأ ثأره حتى لو في النهاية التهمته هو..

- أنا لكِ .. جسدي الهرم لكِ ولكن اقتليه.

مالت الأفعى نحوه وبدا في عينيها المخيفتين بريق ساحر
غريب. لم تفكر من قبل في أكله أبداً، كان دميتها..
حارس الأفعى كما يحلو له تصديق نفسه.. أمامها يفقد
نفسه، إنسانيته يوماً تلو آخر وهو يلقي لها ببقايا اللحم أو
يشاهدها وهي تقضم أجساد النساء التعيسات. فجأة ودون
مقدمات امتد لسانها الهائل الحجم نحوه فحركته أمامه بتجبر
هازيئ ثم انطلق فحيح قائم مهيب بدا وكأنه رجز الأرض
من تحته..

- أريدنَّ جميعاً لي.. بنات "ضوء القمر".

"ظل متكلم.. أقوى الظلال. ظل يطمع في اقتناص دور
البطولة وعرش القوة".

ففيحها مثل النيران ورأسها يستدير بنحو مباغت نحو
الصغيرة التي تقف على حافة البحر من الجهة الأخرى.
"نهاية الأرقب" التي أحضرت السيف المسحور القادر
على قتلها. تجمدت عينا الأفعى في قسوة قائمة وهنا انتهت
حواس "فيصل"، ارتجَّ قلبه.. انتشر صقيع قائم مؤلم في



أطرافه. استقام وعبثية مصاحبة الأفعى تصل لذروتها..
يضحي بيناته كي ينتقم!

عفوياً تراجعت قدما "نهاية" في خوف عن الحافة،
وإن كان ممنوعاً على "غاند" اقتناص الأجساد الحية من
أرض الثلج إلا اذا سمح المشعوذ لها. وهو الآن أقوى مما
سبق.. نال ثلاثة من ظلاله وبقاى الرابع وبعدها الاكتمال
كما هياه الكارسو. ولكن هذا لم يمنع الظل الطامع من
المحاولة، الانتصاب أكثر وأكثر ثم صرخة مثل هلاك تام
في وجه "نهاية" المسكينة، و"فيصل" يستقيم ويركض يائساً
بقلب يتمزق قهراً. قلبه هنا كان دليله، قلبه عرفها حين
رآها على الفور. ركضت "نهاية" في هلع ولسان "غاند"
العنيد يحاول الإمساك بها وجسدها يرتد بحاجز سحري لا
مرئي بينها وبين أرض القصر. هنا فجأة ومن العدم وثب
المشعوذ ليقف حائلاً بين "نهاية" والأفعى ويسحب سيفه
موجهاً نحو عيني ظله. كزَّ على أسنانه بزجرة وقد بدت
عيناه قائمة مخيفة احتلها سواد الثلاثة ظلال.

- يبدو أنك متعجلة للمعركة يا "غاند".

فحيحها بدا مثل جحيم أسود..

- أنت لا تستحق كل تلك القوة.. إنها لي.

صرخة مثل جحيم مهلك احتلت الفراغ بين السماء
والأرض، وأنياب تبتغي جسده كانت ردة فعلها الأولى.
تحرك بمهارة على الفور، في حين أشار لـ"بداية" لسحب



"نهاية" نحو علية القصر في غرفة يودوس بعيداً عن المعركة. بدأت "غاند" الثائرة تتلوى في البحر بعنف، تبتعد بجث عن الحافة كي تقوده نحو منطقة قوتها كي تقاتله بضراوة كما يستحق. فحيحها بألس يريج الأرض:

- أنا ظلك.. أنا هازمك.

هنا انبثق من جسده جناحي العقاب بشكل سريع مباغت، كانا أقوى وأكثر ضخامة عن ذي قبل، وأكثر إيلاماً. صراع ظلاله في ذروته. استدعى كل قوة يمتلكها للسيطرة عليهم، صلابة فكيه وازت صرخة قائمة وهو يطير، وقد ظهرت مخالب المستدثب من أطرافه، في حين انبثقت أنياب الوحش معلنة عن نفسها. حاول الانقضاض بسيفه على الأفعى، وهي تناور وتمد لسانها بضراوة كي تمنعه من غرس السيف المسحور في لحمها. استطاع أن ينفذ لها بصعوبة، ولكن في جانب جسدها وطبعاً لم تمت على الفور.. لن يكون الأمر بتلك السهولة مع "غاند". ثارت وهو يبتعد ويطير عالياً ويعود بالقوة القاصمة نفسها كي يغرسه مجدداً، تلك المرة انتفضت بقوة أشرس وخرج أكثر من نصف جسدها من المياه فبدت ضخامتها خرافية، جرعة سم قاتلة من أنيابها لو طالته.. لو فعلتها لمرة واحدة ربما لن تقتله ولكنها حتماً ستنال تدريجياً ظلاله ويعود هو ضعيفاً منبوذاً مثل وهم. المعركة بدت أمام عيني "نهاية" و"بداية" مثل لوحة أسطورية مُرَجِّفة، "غاند" تناور مجدداً.. تغوص في أعماق البحر ثم تعود لتتطلق



فجأة، حينها طار هو عالياً بسرعة تفوق هجومها ثم عاد وقد سيطرت مخالبه على السيف بقدر الالتحام وغرسه تلك المرة في جسدها بشكل أقوى. كل هذا ويودوس مستغرقة في نوم عميق، بعيدة في عالم آخر تحدثها في الأحلام حرباء وبومة! بدا القتال مستمراً دون انقطاع، قوة الظلال داخله بدت غير عاتية في مواجهة الظل الأقوى، يحتاج الأمر إلى اكتمال من نوع خبيث.. يحتاج إلى عقل بشري.

بجسارة مع التماع عينيه بظلمة خاصة، وبينما كانت "غاند" ترهقه.. تناور من جديد وتتلوى بعنف ثم تغوص في عمق البحر وتعود لتطل فجأة بشكل مباغت كي تلاحقه. بجسارة طار هو إلى عنان السماء بأقصى سرعة ممكنة ثم فجأة اختفى الجناحان وسقط. سقط بشكل سريع صادم للجميع واخترق جسده الماء ثم غاص فيه واختفى. تجمدت الأفعى في غيظ وغضب، بدأت تغوص ثائرة بحثاً عنه..

اختفى! لا يوجد له أثر.. لا على اليابسة ولا تحت الماء، فات الظل أمر هام. هو ربما لا يمتلك قوتها بعد، ولكنها هي من أتت منه، هو يجيد التنفس تحت الماء.

بشكل مفاجئ سريع وبعد أن كان قد توارى داخل أحد الكهوف الصغيرة الممتلئة بالأعشاب البحرية وثب فجأة فظهر لها من العدم، أصبح خلف رأسها تماماً وتحت المياه حيث ظنت أن هذا موطن قوتها وحدها. وقبل أن تستطيع قذفه كان قد غرس السيف في رأسها من الخلف



بكل قوة يمتلكها. صرخت الأفعى في شراسة مرعبة..
تلوّت بعنف واندفع جسدها من تحت الماء بقوة، في حين
قُدِفَ جسده بعيداً وإن انبثق جناحاه مجدداً على الفور
فارتفع عالياً يراقب انهيارها المهيّب. البحر حولهما تحول
إلى بقعة ضخمة من الدماء السوداء.. بحر "غاند" تشبّع
بدمها، وجسدها يغوص ويختفي، وقبل التواري بشكل
كامل وثب هو للشق في رأسها مقتنصاً ما هو له

"الكارسو"

سيجد السيف الكارسو.. حين تعود الظلال!

قوة "غاند" داخله الآن.. عادت ظلاله إليه.. ظلال لا
تهدأ، تفتعل الحرب داخله بضراوة كي تحرر من جديد.
والكارسو أمامه، كل ما احتاج إليه شق سيف كي تُفتح
لعنات تعاويذه.

تنتصر لهفة.. شهقة سحرا!

استقامت فجأة وكأنما وازت صرختها الضعيفة صرخة
رحيل "غاند"، عيناها ترتعش وصدرها تتسارع أنفاسه،
ووجهها ممتقع خائف:

- أين هو؟

ركضت "نهاية" نحوها على الفور تهدئها، وبسحر خاص
نما داخل رحم تُشفيها، كان قرب "نهاية" تحديداً لها



خاص جدًا، وكأنما هناك قوة خفية تمررها إليها..

- هو بخير يا يودوس لا تخافي.

- أريد أن أراه.

قالتها بحزم ولهفة، حتى إنها حين تحركت ناهضة من الفراش وقعت. أسندتها "نهاية" على الفور ومعها "بداية"، وضعتا فوق ثوبها الخفيف دثاراً ثقيلاً وتحركتا معها على الدرج حتى خرجت راكضة نحو مواجهة البحر تركض وتعثر وتقع باحثة عنه. حينها تجمدت كل قلوب العالم. رأته..

يزحف وقد كان آخر ظلاله ما زال متعلقاً به فكانت قدماه تحمل مخالب المستدئب، خصلاته ساقطة مبللة فوق وجهه وأنفاسه تتابع بإنهاك. حين سقط فوق ركبته وقد بدا أن تلك المعركة أنهكته رغم فوزه. ركضت هي بكل قوتها حتى سقطت بين ذراعيه، عانقته بكل لهفة تمتلكها، كل عشقها وسلامها، كل سحر الغابة!

ابتسم بيقين وقوته رغمًا عنه تعود له ثم قال بخشونة لاهثة:

- غريب.. وكأنما كان عليك أن تفوتي تلك المعركة ويجب أن تأتي.

ثم تأوّه فجأة وأمسك بجرح عميق في جانب بطنه فانتفضت بهلع، إلا أنه ربّت قلبها مطمئناً ثم أخرج من



طيات ملابسه ككأبأ غريبأ. حين رأته شعرت وكأنمأ قلبهآ
يرتج، أعضآؤهآ الداخليه تترعش. مثل طفلة وفي حيرة
صآدقة تآمة سألته:

- مآ هذآ؟

شجبت ملامحه فبذآ مثل وحش حزين، بل قبيح، صرع
ظلاله في ذروته فتطل من ملامحه الأفى والعقآب
والوحش والمستذب، جذبها نحوه بشرآسة حتى إن
"نهآيه" انتفضت كي تقدم نحوهم ظنآ منها أنه سيؤذيها إلآ
أن "بديآيه" أوقفتهآ بحكمة بآت تدرك الكثير بعد قراءة
الرقوق. سكنت يودوس بين شرآسة ذرآعيه وبعدهآ سكن
هو، آآبع بصوت مبوح خدشته العتمة:

- ككآب.. به النجآة والهلآك، كلاهما ملتصق ببعضهمآ
بعضآ لآ فكآك أبدأ.

رفرت أهديبها في براءة:

- ككآب سيئ، لتخلص منه إذن.

آبتسم يآئسآ ومآجت عيناه بالكثير ولكن كآن لهآ هي
دور البطولة:

- مآ زآلت لديّ معركة طويلة معه.

- لآ! تحتآج إلی الرآحة.

قآلتها بعزم وطفآة غريبة وكأنمآ جآئتها من العدم، أمآ هو
فأدرك.. الكآرسو يمرر لهآ قوة بدوره ولكن لآ يفهمهآ.



عاد وخبأ الكتاب بين طيات ملابسه وقد غامت ملامحه
ولاحظت ذلك "بداية". انتفضت يودوس تنادي كي تأمر
قنطوراً بالصيد، تطلب من الخاديات تحضير الطعام وتشع
عينها بالبهجة وهي تسحب مصدر قوتها الآخر "نهاية"
وتقول بحماس:

- لتناول العشاء جميعاً معاً الليلة.

وبعداً فجأة نظرت خلفها، استدارت إلى الآخر الشيخ
الزاحف في صمت وكآبة، شاهد المعركة ببصر متجمد
وشاهد بناته وهنَّ يدعمن الرجل الذي دمر حياتهم.
الرجل الذي تحالف مع أقوى ظلاله كي يقتله واتخذ
القرار المعاكس فجأة. اتخذ القرار المفترض حدوثه كما
أخبرته دوماً "ضوء القمر".

مشهد مزدحم بالكثير، "بداية" تنظر بقلب ينتفض
يتوقع يأمل يرفض و"نهاية" حائرة ويودوس كعادتها تمنح
السلام..

- وأنت أيضاً تناول العشاء معنا.

وكانت التتمة من المشعوذ قاصمة، سطر أخير في حكاية
حزينة:

- تناول العشاء معنا يا "فيصل".

كانت "بداية" مشوشة الفكر، متخمة بالكثير حد التيه



وكأنما خاضت لتوها حواراً ثقيلاً مع الشمس ومع القمر.
كانت لا تستدعي المواجهة ولا السؤال حتى "فيصل" نفسه
رضخ بصمت كئيب متعب وسار خلف الجنية جمر كي
يزيل عن جسده تعب السنوات بأخذ حمام دافئ وارتداء
ملابس لطيفة لتناول العشاء مع بناته.

حين قالها المشعوز تجمد الجميع، ترققت عينا "نهاية"
بالدموع وتصلبت حدقتها هي مسلطة عليه، أما يودوس
فتجمدت بتعبير غريب ووقفت خلف المشعوز وكأنما
انتماؤها الأساسي إليه هو. بعدها كان مشهد مائدة عشاء
لم تتصور حتى في أغرب أحلامها حدوثه، المشعوز على
رأس المائدة وجواره يودوس. "نهاية" جوار أبيها تستند
إليه، تمسك يده.. تثبث به بعفويتها البسيطة، وهنا
أيقنت "بداية" أن أختها لم تصبر للعشاء وذهبت إلى غرفته
كي تنال عناقاً تأخر أعوام عمرها كله. اختلجت ملامح
"فيصل" بشعور شتى كله تقول إنه تائه.. متعب.. نظرة
عينيه مزيج من الراحة والبؤس مستسلم لدرجة أنه حتى
لا يكثر بما سيحدث لاحقاً. المائدة بدت عامرة، لحم
شهي وخبز وخوخ طازج وتين مجفف، لم يأكل أي منهم
بشبهة سوى يودوس. نظر نحوها المشعوز بتوجس ثم ابتسم
مرتباً رأسها وقطع لها اللحم بنفسه، وهي تقول بنجل وهي
تمضغ طعامها:

- لا أعلم أنا حقاً جائعة.

كانت الغيوم باهتة، والليل ينبيء بسقوط متواصل للأمطار



علّ الشمس تظهر بعدها. ساد الصمت على المائدة لم يبدُ أن هناك شيئاً من الممكن أن يُقال، شعرت "بداية" بنفسها جافة باهتة مثل الغيم تماماً، لم تستطع أن تعانق أباه، أن تتشبث برجل غاص في الجنون حد الاندماج بأفعى واستفاق في النهاية لا تعلم لم؟ هل انتصرت لحظة خوفه عليهن أم استسلم لمصيره تماماً مثل ضوء القمر. في تلك اللحظة شعرت وكأنما تحتاج إلى "بارق"، تحتاج إليه بكل طريقة ممكنة، تحتاج إلى أن تستشعر أنفاسه وتدفن رأسها في صدره ثم تنام في أمان كامل، هو الوحيد الذي يعطيها إياه فقط. قست ملامحها وشعرت أنما تلك الرقوق أثرت فيها بشكل ما.. كما منحها الحقيقة منحها الحكمة.. منحها القسوة!

في ظلام الليل وبرودته نام "فيصل" بعمق غريب لأول مرة في حياته، قبل رأس يودوس التي عانقته ببراءة جميلة وقبل رأس "بداية" التي ظلت متجمدة على حالها ثم الصغيرة "نهاية" التي باتت زوجة ابن أخيه، قصّت الكثير عليه مع أنه استمع بنصف تركيز ثم غطّ في نوم عميق فعادت "نهاية" إلى غرفتها ولكنها لم تجد "بداية" في فراشها. تنهدت يائسة ونظرت إلى مساحة الثلج الشاسعة من النافذة فرأت أختها تتجول وحيدة في الصقيع بعد توقف المطر، تنهدت "نهاية" بينها وبين نفسها يائسة:

- أرجو ألا تتجمدين من البرد يا "بداية".

في تلك الأثناء كان جسد "بداية" ينكمش هرباً من



الصقيع القارس، وعقلها يجاهد.. يصارع العتمة. تمتاز به الحقائق من جديد، تفكر ببأس في القادم وترتب بإنهاك كل ما قرأته.. كل ما علمته.. بعد رحلة الصمت الطويلة تلك لا سبيل للخروج من قيد المسخ سوى بمنح السطوة الكاملة لمسخ آخر!

سطوة أهم طريق نحوها هو الكارسو. هذا هو أعظم أسرار الرقوق، هذا ما كان "البارود" يبحث عنه بلهفة. "سيخبرك الكارسو ما عليك فعله"، رنت عبارة الرقوق في عقلها، الكارسو ليس مجرد نص تعاويد في ثوب بيت شعر.. بل تعاويذه أشبه بالحكايات التي تنص قوانينها داخل العقل وكلُّ عليه أن ينفذ دوره. "البارود" يعلم جيداً أنه لا يمتلك قدرة إيجاد الكارسو بنفسه، ولكن غروره قرر أن يستولي على الرقوق ويحاول.. يفهم الحقائق الغائبة عنه ويمنع عن أخيه السطوة الكاملة وحينها يستمر طغيانه الحالي في سلام. حينها لن تصيبه هزيمة أبداً ومن يعلم إذا ما نال الكارسو سينال قوة تمكنه من يودوس وشامبالا معها.

- لا!

شبهت بها بمثابة.

اتخذت الطريق وكفى.. مصيرها.. مصير عائلتها.. مصير المشعوذ نفسه. لا فارق.. الكارسو له ومعه ولن يستحق القوة من هو غيره. يودوس ستتخلص من "البارود"،



وسيعود ضوء القمر المعتم وحينها تنتهي الحكاية. ستحرق
الرقوق وتمنع تلك المعرفة اللعينة. ابتسمت ساخرة لا
تصدق.. هي صاحبة المعرفة تريد إحراقها.

ارفع صهيل حصان.. انتبه الجميع.. إنها "قلب النبال"

حين تنطلق متناغمة مع حصانها مثل كيان واحد تدور
الرؤوس نحوها في انبهار، قوسها منتصب وسهمها صارم
وتصويبها لا يخطئ الهدف أيًا كان. هي تلميذة الجبار
بنفسه.

نصف ابتسامة ماكرة تسربت من بين شفثيها بعدما
قفزت من فوق الحصان برشاقة ولطخت لا مبالية حذاءها
بالوحد:

- لا يعجبك الأمر؟

عقد "جبار" حاجبيه بادعاء التعجب فتابعت بغیظ:

- أصبحت رائعة.. باهرة.. لا يوجد مثلي.

مط شفثيه ببرود:

- ما هذا الغرور يا زوجتي!

- أول مرة تناديني بهذا اللقب.

تخطاها وقد بدت نظرتة غريبة غامضة ثم تابع وهو يملس
بهدهوء فوق لجام الحصان:



- ألسِتِ زوجتي...

ثم صمت فجأة، وابتسم ابتسامة خاصة وكأنه يدرك.. يستعيد تاريخها معه منذ لحظة اختطافها فوق حصانه حتى الآن.. حتى تلك اللحظة وهي تقف جواره ليس تكلميدة أو صاحبة نبوءة في خطة عليهم جميعاً تنفيذها، بل جزء منه.. جزء خاص جداً منه. أما هي فتأملته وبينها وبين نفسها سخرت.. لطالما اعتبرت نفسها امرأة حرة، خارج حدود الخضوع لأي رجل بل لأي شخص. حدثت إليه بشموخ يليق بها وبه وتابعت:

- لا أتصور انتمائي إلى رجل سواك.

وبخفة ورشاقة عادت لتخطيه مرة أخرى عائدة إلى الفرس، امتطته في ثوان معدودة وسحبت سهمها فجأة دون مقدمات ووجهته عالياً، لا لشيء.. فقط عالياً إلى السماء. تلك المرة لم تستخدم قوسها العادي. بل هذا الخاص جداً الذي سهر الحداد عشر ليالٍ على صنعه، سهامه أكبر نوعاً ما مصقولة بمهارة وقد اندمج فيها الفولاذ والفضة ولمسة من حجر. حجر منذ أعوام بعيدة أعطاه إياه الرجل الذي دربه على القتال، كي يستخدمه حين يأتي الوقت. أعطاه له خادم القمر.. المشعوذ.

أما "قلب" فكانت عيناها متعلقة بسهمها بحماس، تنتظر اللحظة التي ستقتنص فيها قلب المسخ، تلك النبال تمنحها القوة، تمنحها ما تحتاج إليه نفسها.. تعطي حواسها الحرية.



هي حرة.. حرة مثل هذا السهم الذي أطلقته لتوها دون وجهة. عادت أفكارها فجأة إلى نبوءة "حرير". ستغادرين يودوس. نبوءات "حرير" خبيثة معتقة بالمكر، كيف ستغادر يودوس. هل يغادر أحدٌ يودوس أبداً! أستتحرر من قيد "البارود" بحق أم ستغادرها كي تقتله؟ هل القلب خارج يودوس؟

كانت عاصفة أفكارها في أوجها، مثقلة بمهمتها التي لا تعرف تفاصيلها بعد.. مثقلة باشتياقها إلى أخواتها، مثقلة برغبتها في الثأر لـ"ضوء القمر". هذا "البارود".. تحتاج إلى أن تقتله مائة مرة. تأملت المساحة حولها بفخر، معسكر "جبار" بكامل قوته على استعداد للرحيل والتوجه إلى حدود الإقليم، كل منته متحمس حتى السيوف والأقواس والرماح. كل شيء حولها يشير إلى أن وقت الرحيل اقترب. نظرت نحو "جبار" محاولة أن تسبر أغواره:

- ماذا تنتظر.. أصبحت جاهزة وأنت تعلم!

- ليس بعد.

هدرت بحماس:

- سأنال قلب "البارود"، حتى لو أخفاه في مؤخرة

مينوتور.

تجاهل سخريتها في حين تأملت هي السهم الضخم الذي صنَعَ خصوصاً لها، لقد تدربت كثيراً عليه، حتى إنها أصبحت ماهرة في إصابة أي هدف مهما كانت سرعته.



قال بيأس أسد حكيم:

- أنتظر إشارة المشعوذ.. من المفترض أن نتحرك معاً.

كلما ذكره، هالة من الظلام والبرودة تحيط بها.. المشعوذ بالنسبة إليها اختطاف أمها، جنون أبيها، شقيقتها المحتجزة. عدة أفكار سوداء تصارعت في صدرها ومبدأ الشر بالشر والمسخ بالمسخ الذي ينتهجه "شاهق" لا يناسبها. استكمل "جبَّار" بنبرة ثقيلة فهمت ما يدور في خلدتها:

- الحياة يا "قلب" ليست فرض هيمنة الخير وكفى، حتى نفوسنا تحتاج إلى كليهما خير وشر كي نستمر.

سخرت بمرارة:

- شر عظيم لهزيمة شر عظيم.

قال بحكمة محارب:

- لا تنسي أن "البارود" لديه فيلق كامل لا نعرفه بعد، وصدقيني يا حبيبي لن يكونوا بشرًا.. نحن في انتظار شيء خبيث مثل وحشية المينوتور.

تملكتها رغماً عنها رعشة قائمة، اتخذت الجانب الآخر مثل ما قال الآن ورغماً عنها:

- وماذا عن جيش المشعوذ؟

صمت لوهلة ثم قال ونظرته تراقب الشمس التي قاربت على الغروب، يوم مر ويوم سيأتي ومن المفترض أن



هزيمته لـ"غاند" باتت وشيكة أو هزمها فعلاً. وحينها يحين دور "قلب" النبال. الحجر الأخير كي تكتمل قوة المشعوذ كما أخبرتهم الساحرة. زحف البأس نحو ملامحه وقال بنبرة امتزج فيها الظلام بالأمل:

- جيش المشعوذ لن يكون كما رأينا يوماً، صدقيني يا "قلب" أنا رأيت هذا رجل بـ عشر قوته ورأيت ما فعله بها.. فما بالك بقوته كاملة.

- تبدو معجباً به.

- هو من علمني القتال.

نخره حين قالها أربكها، ترديده للكلمات عبث بقناعة كونتها فقطاعته بتعجل:

- ولكنك قلت إنك تحبه وتكرهه.

مط "جبار" شفّيته بحكمة تخصه:

- نعم.. وهذا لم يتغير، أحياناً توازي الكراهية التقدير.

- كيف!؟

- ما زلت في البداية، لم تختبري تناقضات الحياة بعد.

تدمرت بغضب وهي تدفع حصانها بقدميها:

- لا أحبك وأنت حكيم، أفضل المحارب.

وغمزت له مناوشة ثم انطلقت تعدو بحصانها بين الجموع. كل هدف متحرك لها طريدة محتملة. كل ضربة يجب أن



تكون في مقتل.. الحرب سياسة بالتأكيد، تفسير وتحليل
وخطة إيقاع بمسوخ. ولكنها امرأة القوس.. هي تفضل
سلاح الرماة.

أرض "البارود"

حدق إلى الهاوية.. وافهمها حتى يندمج كلاكما ببعضكما
بعضاً

قالت "حرير".. لم تقل.. قلب مطهو جيداً، ومعرفة نيئة لم
ينلها! البشر أوغاد بالفطرة، هو وغد.. أمه وغدة.. وأخوه
وغد لو وجد فرصة. لو لم يكن منع الكتب لألف كتاباً
وأسماء حكم بارودية!

هو رجل بقلب فني، هذا لأنه غير موجود من الأساس،
قلب غير مستخدم، أما العقل فقد هرم.. نال من التجارب
بعمر يودوس! يودوس.. الاسم الذي اختار أن يناله
رغمًا عن أنف "ثا"، رغمًا عن "حرير".. أمه العاقة التي
مارست ألاعيبها في البئر. قاده الانتباه في البداية نحو "ضوء
القمر". لم يكن يعرف أو يفهم حقًا أهميتها، ولكنه كما
العادة بحث خلف نبوءات أمه. نبوءات "حرير" خبيثة
منذ خرجت من البئر، نصفها واضح ونصفها خادع. قانون
الحرب الباردة بينها وبينه.. بين أخيه وبينه. حرب عمرها
أكثر من مائة عام، حقًا إنهم عائلة سامة!

في الحرب عليك أن تستنزف عدوك، ترهقه مرة بفكرة



صادقة ومرة بفكرة كاذبة

فعلتها "حرير" بالنبوءات، فعلها المشعوذ بخديعة النخل
وثلج، وفعلها هو بتاريخه.. حين مرّر الزيف والصواب!
حين أدرك أهمية "ضوء القمر" كان أخوه قد سبقه
واختطفها، وبعد ذلك فهم أن سر النبوءات في النسل.
الفتاة التي ينتظرها أخوه ولا يعرف لم؟ مثل قناص في
غابة قرر أن يلتقط الوسطى. "قلب النبال".. تلك المرة أخذ
الخطوة الأولى وكانت نيته الاحتفاظ بها في قصره حتى
يفهم سر نبالها ومجدداً هزمته العاقبة. امرأة خبيثة وحشية
عبث بعقلها ظلام البئر فتحالفت مع عدوه الماكر..
"جبار".

- انظروا.

قالها بصوت جهوري "ثائر".. نصف شعبه أمامه،
النصف الذي أعلن ولاءه له واختار الشمس، والنصف
الآخر اختار الظلام.

يا لها من قسمة عادلة تقليدية مملة!

- انظروا.

كررها بقسوة شرسة، الهمس لا يجوز في حضرة تماثيل
موت. شعبه محاصر بجبروته.. بجيوشه كلها، جيش
العدراوات ظهر والنظرة منهم تحجر قاتل. شعبه الذي
اختاره محاصر بالخوف والهلع، فحتى هؤلاء الذين اختاروك



يجب أن تسيطر عليهم بالجزع.

- انظروا.

تكراره الثالث كان حزمه مرعباً، سبابته ارتفعت وأشار إلى يساره أما عيناه فالتمتت بوحشية مسخ. للخيانة ثمن.. وللطاعة ثمن.

ارتجفت القلوب من هول المشهد، تجددت العقول وقد انهار المنطق! أما الأحشاء فتمزقت من الرعب. مائة وخمسون جثة معلقة في مشانق.. لم يكونوا من الهاربين، ولا الخونة، ولا من اختاروا "شاهق" و"الراعي". بل مائة وخمسون منهم هم.. أهل مملكة العرش. من اختاروه! مائة وخمسون من الرجال والنساء والأطفال!

ارتسمت فوق شفتيه ابتسامة فتاكة، وأحاط به فيلقه الذهبي في حين طوّق المينوتور الشعب الخاسر الحزين.

اختاروه ولم يختَرهم، هو حاكم لا يحتاج إلى شعب.. يستطيع دوماً شراء واحد جديد. أما هؤلاء فليسوا له أكثر من مجرد رهائن.

عند بزوغ فجر اليوم الثالث وصل الخبر إلى معسكر الإقليم في اللحظة نفسها التي وصل فيها إلى مقر "جبار" في أرض الموت.

سيقتل "البارود" كل يوم مائة وخمسين من شعب يودوس، لم يفرق بين محارب وامرأة وعجوز وطفل.



احذر "بارود" شهيته مفتوحة، وستبقى مفتوحة حتى
يسلوه عروسه الهاربة من قبل.. "قلب النبال".

معسكر الإقليم

حوافر خيل نتكاثر، تأتي من كل اتجاه. المعركة اقتربت
والقتال على وشك البدء رغماً عن أنف الجميع. كانت
كثائب "الأرقب" قد حاوطت الإقليم من كل اتجاه. التزم
الناس بيوتهم في وحدة ووحشة هي الأمان الوحيد، حزم
"الأرقب" كان واضحاً قاسياً ففي الحرب لا تُترك الأمور
لهياج العواطف.

"التزم مسكنك أو ارحل إلى جانب المسخ"

سر "البارود" بات معروفاً للجميع الآن، ولكن أي مسخ
عليهم أن يختاروا، فالشعب محاصر بين وحشين وبات أمر
الخير والشر لهم مشوشاً. وجاوب "شاهق" بنفسه وكانت
تلك هي المرة الوحيدة التي أجاب فيها شاعر يتبجح
بالفلسفة:

"اختر الوحش الذي يناسبك"

وبعدها مُنِعَ السؤال ومن يعترض يُقَطَعُ عنقه. لحظة
فارقة. قد يعرف الناس أين الصواب ولكنهم حتماً لا
يعرفون أين النجاة. قابل الشعراء الحرب باستخفاف،
صمت بعضهم في مكر انتظاراً للفائز وانتفض بعضهم سارداً



العبارات الحماسية للجنود. انبهرت الفتيات بمخشونة رجال الخندق وتمسكت أحلامهن بالتخلص من قوانين "البارود" القاهرة فيصبح للأُنثى منهن حرية اختيار الرجل الذي تريد أو حتى التطوع في الجيش والحرب مثلها مثلهم. التقط "بارق" ما يحدث في غضب، لم يكن مقتنعاً بمشاركة النساء في القتال. المرأة في نظره كائن يشبه اليمامة فكيف تقاتل اليمامة الثور! إلا أن ظهور ذوي الرؤوس الضخمة بدلّ الفكرة. هؤلاء كانوا يقاتلون جميعاً بضراوة مثيرة للإعجاب. رجال ونساء وأطفال! يومها وقفت فتاة بحماس على المنصة.. كانت تبدو لناظرها ضعيفة؛ لحم قليل وقامة قصيرة وشعر مجعد. وقفت وخاطبت الجموع وقد اتخذت قرارها دون تراجع وتمردت على أبيها وزوجته اللذين غادرا نحو أمان "البارود".

"أريد الموت لا أبالي.. ولكنه سيكون بشرف".

بعدها بأيام قليلة نما إلى علم الجميع ما حدث في أرض العرش. صرخ شاعر بوجع وسط الجموع..

- هل نجا الأطفال!؟

- هل نجت النساء؟

- حاربوا أيها الجبناء!

بعدها شيء ما تغير، وكأن الظلم يبدل البشر بطريقة ما.. يعطيهم لكمة إفاقة. كثر المتطوعون حتى المتكاسلين من قبل و"الراعي" نفسه تبدل موقفه تماماً.. فتح باب التطوع



في جيشه للفتيات وقرر تدريبهنّ بنفسه. حناجر الصائحين أنتجت ضجيج الحماس، أوتاد الخيمات اهتزت، والسيوف أعلنت فتكها القريب براقب العدو. القمر ساطع على المعسكر، وهي مجرد أيام انتظار لوصول الدعم من جيش "جبار" والجيش الآخر المنتظر. جيش المشعوذ.

قال "بارق" وعينه تتأملان سكون "شاهق" الذي بدا له أنه ينطوي على الكثير:

- ماذا سنفعل؟

كان "بارق" محتدًا رغمًا عنه، زوجته ما زالت محتجزة تحت سطوة مسخ آخر ما زال لا يثق به تمام الثقة. المسخ الذي تسبب في موت أمه! غامت عينا "شاهق" وقد بدأت أصابعه تضغط على الطاولة أمامه بغضب:

- نحن لا نواجه هنا مسخًا مغرورًا مختلًا فقط.. بل مسخ جاحد لئيم.

أغلق "بارق" عيناه وزمجر بحدة:

- أسترك هؤلاء المساكين للموت.

أفلت "شاهق" كلماته بصرامة سريعة:

- كل حرب ولها ضحايا!

- ماذا تقول؟

تخطى "شاهق" "بارق" الثائر ثم راقب بحكمة صامته من



النافذة المفتوحة بخيمته المحارين المتابعين من كل فج.
حتى إن أهل السرداب بعثوا بكتيبة ضخمة بالأمس وتركوا
الباقى لحماية حدود الغابة حتى يصل المشعوذ. قال "شاهق"
بنبرة عميقة الأثر وعيناه تجول على محاربيه والظلام
حولهم.

- الأحمق فقط من يجرح نفسه بنصل سيفه.. هذا فخ يا
"بارق" المسخ يلاعب إنسانيتنا.. نقطة ضعفنا.

ضباب نظرة جاور نبرة "بارق" الراضة:

- أي انتصار هذا الذي سناله فوق أجساد الأطفال
والعجائز!

- وأي انتصار نتظره إذا ما سلمنا له "قلب"!

حدة "شاهق" هنا طغت فوق غضب الراعي. عيناه
حدجته بشراسة إلى قلب الظلام ثم تابع:

- الجميع في تلك الحرب خاسر بشكل ما.. مع "البارود"
عليك أن تخسر كي تنتصر!

خرجت الكلمة من أعماق "الأرقب".. من أعماق أعماقه..
خرج من الخيمة.. سحب سيفه ونزل على صخرة التدريب
بأشد ضرباته فانطلق الشرار باهراً للجميع. حينها كان ظلام
السماء قد تزايد وبدأ المطر يهطل بشكل متوسط، وطير
قوي يخرج من العش في استعداد تام لحمل الرسالة الأهم
لقائد جيش أرض الموت. لم يعد هناك داعٍ لإخفاء



الرسائل المكتوبة الآن، أشياء كثيرة قريباً ستغدو واضحة،
فتلك المعركة بدأ التخطيط لها منذ زمن وحن وقت
الخسارة كي يأتي النصر!

من الأرقب إلى "جبار" .. نحن في انتظارك.

- من أنتِ وماذا تفعلين في عربتي؟!!

بملايح طفلة تحاول تقليد خشونة صوته قالتها وهي تبسم
ابتسامة واسعة تحت عينين مغرورقتين بالدموع. أنفاسها
مسموعة في حين نتابع وهي تلمس بحنان فوق خصلات
شعر رأسه المرتاح فوق ساقها:

- لا أنفك أفكر في تلك اللحظة.

قال بنبرة مرتعشة وعيناه ترتفع نحوها:

- البدايات.

مالت شفتها بتعبير راضٍ، وعيناها تندمج به .. تتشبث ..
تحيا وتنهار.

- تبدو رائعة جداً مع شكل النهاية الآن.

وبلطافة العالم كله تقول بصدق:

- أنا سعيدة لأنك لست "غضب".

ضحك رغماً عنه وقد غرق معها في سلام خاص .. سلام
لا يبتغي سواه، هل يستطيع أن يحو "حرير" .. "ثا" ..



الكارسو.. يحو كل شيء وينفرد بها في حكاية أخرى.
تهدت بتعب وهي تنظر حولها، كانت الغرفة مظلمة سوى
من ضوء قمر ضعيف يتسرب من النافذة، لم تكن هي
جالسة على الفراش بل فوق الأرضية الصلبة مسندة ظهرها
إلى الجدار ويمد هو جسده بشكل أفقي ورأسه مرتاح
فوق ساقها. كان يبدو منهكاً، رغباً عنه تطل الوحشة
من عينيه.. في أعماق نفسه تختبئ أسرار دفينة مخيفة
تُثقل كاهله وأربعة ظلال.. أربعة ظلال توجت الأفعى
اكتماهم فبات صراعهم داخله شرساً مرهقاً. ملّست
فوق وجنته بحنان فانتفض، أراد أن يستقيم مبتعداً عنها
خوفاً عليها ولكنها أعادته بحزم رقيق.. قالت وهي تسبل
أهدابها وتأمله:

- لقد كنت خائفة جداً من مواجهتك للأفعى.. كان
يجب أن أكون هناك جوارك.

مد سبابته فوضعها فوق شفيتها ثم قال بهمس متعب:

- لا.. الأفعى ظل خبيث لا أعلم ما كان من الممكن
أن يحدث في وجودك.

ثم همس لنفسه ساخراً:

- تترتب الأمور بشكل مصيري خطير.

تسربت منه صرخة ألم، بدا وكأنه ينازع شر "غاند"
داخله. وضعت كفها الصغيرة فوق رأسه في عفوية ثم
بدأت تلمس على موضع قلبه بكفها الآخر وحينها هدأ..



كانت كما العادة شفاءه واكتماله. إلا أنها رغماً عنها تضعف، وجود "نهاية" يدفعها إلى التماسك سويقات قليلة ثم تعود إلى الذبول من جديد. أنفاسها تخرج بصعوبة ولون شفيتها يميل إلى البهوت. هذا الحصار ما زال يهدد بقتلها. تمكن الظلام من عينيه ثم قال وهو يرفع يده مملساً فوق وجنتها:

- صبراً قليلاً يا حبيبي وسأعيدك إلى الغابة.

- لم أنا متعبة هكذا تلك المرة؟

- ألا تتذكرين.. إنها الغابة اندمجت بك واندمجت بها..
روحك لا تناسب الاحتجاز.

ثم استكمل مفسراً وملاحظاً تستوطنه:

- في البداية أدت تعويذة القبح مهمة حمايتك.. لم أكن أعلم بوجودها.. وكانت زيارة "ضوء القمر" تمنحك القوة الكافية للصمود ولكن "نهاية"...

صمت وركز على أسنانه بغضب ثم تابع:

- كان من المفترض أن تمنحك "نهاية" هذا الصمود ولكنها تعطيك شيئاً مختلفاً، خبث "حرير" لا يتوقف.

لهث وهو يبحث على الحديث:

- أخبريني؟ هل تشعرين باختلاف أيّ اختلاف.

شعرت وكأنما ملامحه المنحوتة تنتفض.. يشد قبضته



فوق يدها الضعيفة ورغماً عنه تجرحها مخالب المستدئب.
ارتعشت نبرتها وهي تتابع بتحمل:

- ربما.. لا أعلم.. هناك أصوات في رأسي.

- لا تستمعي إليها.

قالها بحزم صارم في حين التمعت دكنة عينيه بعدها تنهد،
ثم قال بصوت خافت مرهق:

- لا تستمعي يا حبيبتى.

قالت فجأة وهي تعتدل في جلستها فأجبرته على الاستقامة
ليتبدل الوضع ويسند هو ظهره إلى الجدار في حين جلست
هي بين ذراعيه:

- اترك لها العنان.

- ماذا؟

- الظلال اترك لها الحرية.

عقد حاجبيه بتوجس:

- هل أخبرتِكِ الأصوات هذا؟

قالت ضاحكة بعقل مشبع بالحكمة:

- أحياناً تقول أموراً جيدة.

تنهد مستسلهاً.. كان يحتاج إلى هذا.. انبثق جناحاه
فأحاطا بها من كل اتجاه وظهرت أنيابه في حين كانت



عيناه عين أفعى سامة تلمح كل شيء في الظلام. قال
بصوت بأس متحرج:

- ليتني أستطيع إرسال "نهاية" إلى الإقليم، ولكن ابتعادها
عنيك ذبول كامل. اللعنة هي مثل مطرقة وسندان.

ثم بعدها أطلّ الدفء من عينيه..

- عديني ألا تتركي القصر أبداً مهما حدث.

نظرت نحوه بعدم فهم:

- كيف سأتركه.. كيف سأتركك؟

- عديني يا يودوس.

دفنت نفسها في صدره، اندمجت به أكثر وأكثر.. كل
ما تمنى دوام تلك اللحظة إلى الأبد رغم الذبول الذي
يرهقها.. كآبة الجدران التي تتمكن منها يوماً تلو آخر، هي
تقاوم رغبة غريبة مريعة قاضمة للروح تدفعها إلى القفز من
النافذة!

دفنت نفسها مجدداً في صدره في حين انطوى جناحاه
عليها.. ليتها تبقى معه إلى الأبد.. مع كل وحوشه لا تبالي.

شقيقان.. أحدهما مأخوذ بالشمس والآخر نصيبه القمر.

"كلما اقتربت من الكارسو ستصبح أكثر قسوة".

حديث "ثا" يطفو.. يطعن عقله



" استسلم لمصيرك.. كلما حاربتَه هُزِمْتَ. عليك أن تخطئ
وعليك أن تدفع الثمن"

كانت خطيئته الأولى يوم أن أطاع "حرير"، يوم أن
انتصر الخير في قلبه ظناً منه أنه ينقذها هي وأخاه. وبدأ
العذاب حين واجه الكارسو، فتك الكارسو به.. طلب
تعويضته اللعينة ومن وقتها الكارسو تجمد. كُتاب بلا جدوى.
كُتاب خبيث عقد سحر تعاويذه، لن يمر سحراً جديداً حتى
يكتمل الأول.. حتى ينفذ ما جاء في التعويذة.

- لا!

صرخ بشكل هادر.. ألقى بالكُتاب فارتطم بعنف في
الجدار. صوت "ثا" يعود قائماً من جديد:

"تعاويد الكارسو لا تُمحي.. عليك هزيمتها بتعاويد
جديدة. الكارسو كُتاب خبيث.. يعطيك ما تريد ويأخذ
ما يريد".

هدر صوته من جديد، صرخ.. تصدع الجدار بالشقوق
حين ضربه في غيظ. روحه المنهكة جائعة للسلام ولا
سبيل له سوى بالحرب. روحه المنهكة جائعة ليودوس! هو
خامس ظلاله، أتعسهم، مكوم في زاوية.. يبحث عن قوة
كي يخذع مصيره. مدَّ يده.. صرخ في سراب "ثا".. هدد
وتوعد ورفض.. ولم يرضخ. لن يرضخ للكارسو تلك المرة. لن
يستجيب للكابوس وليحترق الأخضر قبل اليابس لا يبالي!



يودوس

"بجر" تغني.. صباح مشع غريب. قالت لها إن المشعوذ
منهك.. يتعارك في العلية مع ككاب! كانت الحرباء تتمم..
تضحك لها الآن وجهاً لوجه ليس في أحلامها مع البومة.

- حان الوقت يا يودوس.

قالت بإدراك ضعيف:

- عليّ أن أخبره أولاً.

قهقهت الحرباء:

- إنها مجرد محاولة.. أخبريه بعدها.

تمتت بإنهاك:

- أنا متعبة.. تلك الرغبة تقضم روحي.

- لأنك تقاومينها هي مصيرك.

- هو أخبرني ألا أفعل.

- هو بدوره تعيس لأنه يقاوم مصيره.

الحرباء محقة.. هو تعيس جداً جداً.. اللعنة، هو يذبل
بدوره، لا تحمل رؤيته في تلك الصورة. جسده القوي
ستأكله الظلال.. الظلال الكئيبة تتغذى عليه من
الداخل.



نظرت إلى الحرباء في عجز:

- ماذا أفعل؟

ابتسمت الحرباء بمكر:

- ساعديه.. ألا تحبينه؟

- بلى.. أحبه جدًا جدًا.

- إذن ساعديه.

- كيف؟

- فقط توجهي إلى النافذة تلك أول خطوة.

فكرة مثل لطفة سواد، وهي يأسة وللغرابة مدفوعة وكأنما لا تسيطر على نفسها حقًا في تلك اللحظة.. "حرير" تراها من عين الحرباء وتبتسم.

تقول الآن نبوءتها وتكتمل ملاحظتها تمام الكمال.

"حرري الطائر الأزرق".

وهنا.. ومن حافة نافذة.. وبينما "نهاية" واقفة جوار "بداية" شهقت في فزع وهي ترى جسد يودوس منتصباً من علو قاتل.

أما هو فقد كان قد دخل غرفتها لتوه.. في لحظة حاسمة، متأخرة بفارق ثانية واحدة.

نظرته انهيار كامل، رعب عملاق.. وجسدها يسقط..



يسقط ليرتفع من جديد في تحول هو منذ كانت في رحم
"ضوء القمر" مدموج بها وحن وقته.

باتت طائراً سحرياً رائعاً بلون أزرق زاهٍ

"قلب النبال"

"قلب النبال" وصلت إلى ذروة اللا صبر. بارود كما
العادة.. طاووسي مختل يجيد الوقوف على الجثث. مائة
ونخسون قتيلاً في اليوم. المهمات انتشرت، العيون
مسلطة عليها.. بعضهم يتهمها بالأنانية وآخرون يرمقونها
بشفقة. ها هي من كانت عروسه، صاحبة النبوءة الغامضة
عن نبال تبحث عن "قلب". لن تنتظر هي راحلة.. حان
وقت قلب "البارود".

هدر "جبار":

- ماذا تفعلين؟

- ألامس حلبي أو كابوسي لا فارق.

دفعته بعنف، نباها خلفها وباقٍ خطوات قليلة عليها
تنفيذها.

شقت بحجة صوتها السكون:

- لماذا تمنعني.. الناس تموت؟

- متعجلة يا ابنة "الأرقب". ليس قلب "البارود"



مصيرك.. ولا مصير سهمك المصقول بحجر القمر.

- ماذا تقول؟ من تقصد.. أي قلب يخص نبوءتي؟

قلت "حرير".. قالت "نا".. قال الكارسو.. قال المصير.

"قلب النبال".. ونبوءة حان وقتها. كمال التعويذة التي
نصها منذ سنوات الكارسو.

"القلب سيحقق النبوءة...".

وصوت "جبار" التتمة الصارمة.. بوق الحرب الأخير:

- قلب الطائر الأزرق



الفصل الثاني والعشرون

المشعوذ

نظرته مثل برد قارس.. قاسٍ وحزين، يغرق.. بل غرق منذ أعوام طويلة أمام تعويذة هو من طلبها. تعويذة أرادت الحياة وكان قدرها وقدره المرور بالموت.. ويغرق الآن.. يغرق وهو يلح براءته الوحيدة تنطلق مبتعدة عنه.. تَحيا.. وتموت!

تعدو نحو نهاية التعويذة!

"بداية"

هبة باردة اجتاحتها مع أن مشهد الطائر الجميل وهو يحلق يبعث جمالاً لا نظير له في القلب. يغرد فيمنح قسوة أرض الثلج الدفء، يمنح الحرية.. يودوس تقتلها الجدران وتمنحها الحرية الحياة وحينها تمنحها هي بشكل ما للجميع. لم تستطع أن تثبت بجمال اللحظة، تمكنت من جسدها قشعريرة ظلام.. لم الآن؟ لم بتلك الطريقة؟! لم يبدُ المشعوذ مثل غريق غاضب في صمت عينيه السَّبج!
لم منحها تلك الرقوق المعرفة.. والشك!

"نهاية"

حياة وسط العتمة الباردة. كل شيء هنا غريب جداً..



الكآبة والسعادة في مساحة واحدة. تعشق هي قصص الغرام، يدق قلبها بعنف حين تلمح نظرة المشعوذ نحو يودوس. ينظر إليها وكأنها كل شيء في عالمه.. نتذكر حينها "شاهق".. تشتاق إليه.. نتقلص عضلات قلبها مع إدراك اقتراب الحرب، الحرب تعني فقدان.. الموت والدماء والصراخ والدمار. ترهف السمع لتغريد الطائر وترهف القلب لصليل السيوف القادم. هل تمنح الحرب كل شيء؟! لا تعلم.. ولكن ها هي يودوس أمامها تتحرر.. تُشفى.. تُشفى بعد قرار موت!

يودوس

غاب الجسد.. عاد الجسد.. لا تعلم كيف. حين حلقت، اجتازت أرض الثلج بسرعة خيالية، رأيت عشرات القناطير يرفعون رؤوسهم نحوها في صدمة وحماس. يركضون خلف جناحها ويصيحون بإعجاب.. الغابة تظهر.. تقترب منها.. ترممها.. تندمج بها.. الغابة لها ومنها وهي لها ومنها. أرض تشعر وكأنما حياتها الكاملة في عُقمها! التمت عيناها بصورته، لون عينيه.. ملامحه.. ابتسامته.. امتلأ قلبها بعشقه أكثر وأكثر.. رفرت جناحها بقوة.. ضحكت.. بكت.. لم تتمنى سوى الحياة معه في تلك الغابة. لم تتمنى سوى لحظة دائمة من لحظتهما السابقة هنا معاً.

قلبا دقاته تتقافز، جناحاها يضربان الرياح، أوراق



الأشجار تشعر بها.. النهر.. الصخر.. الأدغال من أجلها
جنة، أيتها الغابة.. لا أريد سوى هذا من كل قلبي.. أن
أبقى هنا معه إلى الأبد.

لم يبدُ عليها أنها مدهوشة، وكأنما هذا الاندماج هو جزء
منها، ليس سحراً.. بل شيء كانت تمتلكه من الأساس
ولم تعلم بوجوده. سحر فقدته وعاد. في عقله تأرجح اليقين،
النبوءة التي يهرب منها.. نص الكارسو..

"تقتنص "قلب النبال" قلب الفتاة.. قلب الطائر
الأزرق".

"يعود ضوء يودوس وتنال القوة التي تستحقها..
مصيرك".

الكارسو اللعين، يفتالك بالنجاة والشر.. حتى تتحقق
فضائل الأمنيات عليك أن تمر بالردائل.

"كان لشامبالا قرء.. سُرِقَ حجره، وحضرت عتمته".

"أحضر العتمة مشعوذ ويمحوها آخر".

"يعود ضوء القمر بالميلاد والدماء!".

ركضت نحوه.. عانقته على الفور حين حطت بجناحها
وعادت إلى هيئتها البشرية بشكل فوري. إلا أنها
اختلفت.. زُرقة الطائر الزاهية الآن تحتل لون عينيها ويمتد
اللون من نقوش رائعة على شكل ريش منحني أعلى



صدغيها ومروراً بجوانب وجهها كله. باتت فاتنة بشكل ساحر، باتت يودوس بحق. حين أدجت نفسها به في عناق قوي أمسك هو بمؤخرة عنقها واقتنص شفيتها بلا مقدمات. مرر الوجد والغضب.. القسوة واللهفة.. غاب بينهما غير راغب في العودة.. عودة أي شيء حتى حجر القمر نفسه.

حدقت إليه في تشبث:

- هل تتذكر الغابة؟

غامت عيناه وقد ارتج صدره بها ولها..

- بالتأكيد.

- ما بك؟

تأملت عيناه النقوش الزرقاء المندمجة بها ثم تخطى سؤالها بجمود سؤاله هو:

- كيف تشعرين؟

بشهيق وزفير بدا وكأنما يمتلكان الحياة الكاملة لأول مرة أجابت بصدق:

- وكأنما كانت هناك أغلال تحيط بقلبي وتحرر منها.

بدت نظرتة هنا أعنف من غضب ظلاله مجتمعة، أنفاسه ثارت واحتدت دون أن يستطيع السيطرة عليها أكثر من ذلك وغرزت أظافره نعومة ذراعها رغماً عنه.



- أستركيني يا يودوس؟

انتفضت بهلع، ألصقت نفسها به ثم أحاطت جسده
المتصلب بعناق صادق لطيف:

- لا.. لا.. أنا لن أتركك أبدًا.

حشرجة قسوة متشبثة تسرب منه:

- عديني.

- ماذا؟

- عديني ألا تركيني أبدًا.

شهقت وقد تشبثت بعناقه أكثر:

- أبدًا لن أفلها.

ثم مدت يدها نحو وجهه تربت بحنان نحو وجنتيه
المتحفرتين:

- لنعد إلى الغابة معًا. أعدك لك حساء البازلاء والخوخ
ولا نقتل الطيور أبدًا.

لم تنتبه لدمعة قائمة بلون أسود مظلم تجمدت في مقلتيه،
دمعة لو انسابت فأثرها لن يزول.. همسه المبحوح
يتسرب.. يحيط بها.. يحتجزها بذراعيه دون فكاك.

- يودوس.. يودوس.. لقد سكنني عشقك حد لعنات
الكارسو مجتمعة.



- ما بك يا حبيبي؟ أنت حزين.. هل ما حدث أمر سيئ لنا؟

تجمد جفناه فباتا مثل صخر قاتم، ثم تسربت من بين شفثيه نبرة حملت صوت أنفاسه المتعبة:

- يودوس أستغفرين لي؟

اكتست ملامحها الحيرة، لم تبتعد عنه، بل هو من دفعها! قلبه حجر.. ملامحه حجر.. أنفاسه توحش أربع ظلال. حطام نفسه يحرك إشارة يده وقسوة قادمة لا بد منها.

عشرة قناطير أحاطوا بهم من كل جانب في حين قيدها هو بجناحيه في لحظات وطار بها نحو سجنه السابق.. زلزلة بحق تلك المرة.. قبوه العلوي!

- ماذا تفعل؟

صوت "بداية" حزن.. استنكار.. يقين لا بدّ الهروب منه. يودوس محتجزة من جديد، فتاة المشعوذ عادت إلى القبو ولن تغادره.. لحظة كئيبة سخيفة، صارمة حقيقية مجردة من القبلات والعناق. ذهول عينيها لا يلومه ولكنها عطشة إلى التفسير، احتجز "نهاية" مع يودوس في القبو والغرض معروف.. منع الذبول وإن كان وجوداً غير كافٍ لمنح الحياة.

- ماذا تفعل؟



كررتها "بداية" تلك المرة بغضب صارخ.

- أحميها.

قالها بصوت قاتم حزين، احتل العزم قسماته ومر تاريخ الكارسو كله في نبرته.. ردت ببصر زائع رافض:

- تعويذة الكارسو موتها أليس كذلك؟ التعويذة التي طلبتها أمام الكهف.. التعويذة التي لا تُمحي.. لا بدّ من تنفيذها كاملة.

أغمض عينيه بغضب مكتوم وإيماءته هي من مرت..
مرت مثل النهش في روحه.

- هي يودوس.. بل جزء هام منه.. هي الحجر الذي يجب أن يعود كي يعود الضوء.. هي الميلاد والدماء.

تسلل عزم نبرته وهو يكرّز فوق أسنانه في معاندة:

- لن يحدث.

قلب "بداية" الممزق كانت أنفاسه وجعاً، يقين المعرفة سيئ جداً.. لسانها مقيد في حين يتابع هو بهيستيريا:

- سأبقيها هنا ولو رغماً عنها.. سأحميها.

اغرورقت عينا "بداية" بالدموع:

- ستموت.. إذا ما احتجزتها مدة أطول ستموت.. لن

تمنحها "نهاية" النجاة.

قلبا يدرك الحقيقة، قلبها هو من يضرب عقلها الباحث



عن مخرج باللطمة.

"يودوس يجب أن تتحرر".

معسكر الإقليم

نسف "البارود" الحضارة وكم الأفواه بحضارته!

متجمدة الرؤوس ومرفوعة الأعناق نحو الصوت، قائد جيش الأرقب يقف على اليسار، والراعي على اليمين، وبينهما العجوز.. زعيمة شعب المطرقة.. التاريخ الحقيقي. صوتها يصدح في القلوب والعقول، قبل الحرب قد لا تصارح جنوداً بكل الحقائق، ولكن وازع الحماس واجب.

"نسف" "البارود" الحضارة وكم الأفواه بحضارته! احتجزنا في عالم تبع قوانينه وحده.. أحلامه وحده، وبعد وقت سيمل الطاغية ويتخلص منا". "هنيئاً يا شعب يودوس مكتوب لكم الحرية.. هنيئاً بالكرامة، بنسف تجاعيد الخضوع.. يودوس يجب أن تتحرر!".

معسكر "جبار"

- ها

صوت واحد، انتباه، تحية لقائد فيلق الصفوة.

- "جبار".

صيحة أولى.. تقدير.



- "جبار"

صيحة ثانية.. ولاء.

- "جبار"

صيحة ثالثة.. حان وقت نسف العدو.

جيش الصفوة على أتم الاستعداد، قريباً يبدأ الزحف
نحو الإقليم.. سيتمركزون على أطراف الغابة المحرمة في
انتظار المشعوذ وجيشه.

احذر بارود! بل عفواً بارود.. عاد النغول الذين أمرت
بذبحهم.

- "جبار".

الصوت يعلو.. هتاف شكر، هتاف الأبناء لأبيهم.

"جبار" .. أب النغول الروحي.

قريباً سيدأ الزحف، نبوءة "قلب النبال"، وعزيمة "جبار"
صيحة في القلوب.

حان الوقت.

يودوس يجب أن تتحرر.

أرض الثلج

يودوس يجب أن تتحرر

يقينها تعيس حزين، مثل ضربة سيف واجبة. ويقينه



هو ضياع.. هوس.. شر نبيل.. يتخطاها باهتياج، ينطلق
ركضاً نحو فتاته.. يحتل وجنتها بقبضتيه الحجريتين ويتأمل
جسدها الضعيف ومعصمها المحتجزين في قيوده، عيناها
الذابلة تثبت به في حزن وحيرة واستسلام حزين..

نبرته طلت بلهفة:

- تسامحيني؟

أومأت بعجز، عبراتها متجمدة رغماً عنها.. قلبها منكسر..
جناحا الحياة ممنوعين بأمر الجنازير من الطيران. الآن بعد
أن تحررت بحق ألمها مضاعف، صرخ بشراسة وهو يشد
على خصلاتها ويجذبها نحوه في عناق يأس. أظلمت نظرتة
تماماً وهوت الظلال في ظلماته وهوى هو في ظلامها ثم
صرخ بأعلى صوته يستدعي جنية النار.

"جمر"

وسبقت خطواته الثائرة طاعة الجنية لتنفيذ مهمة أوكلاها
لها.

لن ينتصر الكارسو، ولن تتحقق كامل نبوءات "حرير"،
ولا يكثرث باكمال التعويذة وليبقى القمر معتماً لا يبالي.

وجهها ينبض بالحماس، وحيرة كانت موجودة قتلها.
تلك سمة المحارب الجديد، يفهمها القائد ويستغلها..

- حتماً سأفعل.



تسربت اللففة من حروفها، الرغبة في دور على جبهة القتال. إتمام المهمة بنجاح مثل كل جندي ولید. قلب الطائر الأزرق هو هدفها، قلب "البارود" كما تظن. طائر كبير جميل سرعته خيالية، تمويه طاووسي يناسب الطاغية تماماً!

اشتعلت وجنتاها بانتباه:

- ولكن لم لم يحتجزه؟

قال بنخسونة ثابتة وملامحه مثل الحجر مسلطة عليها:

- سيتحرر قريباً.. أو ربما تحرر فعلاً.

هتفت بحماس:

- جيد لتتحرك إذن.

كان قلبها يقرع بعنف في حين يتمُّ هو عبارته بنخفوت صلب:

- هذا الأمر يجب أن يتم في الغابة.

عقدت حاجبها ولهفة سؤاها تسبقها:

- الغابة المحرمة؟ كيف! ألم يكن "غضب الراعي" هو

الوحيد المسموح له بالمرور منها؟!

- المشعوذ من سمح له.. ولا تنسي.. أنا أيضاً تليذه.

هزت كتفها بيأس غاضب:



- أنا لا أفهم أسرار تلك الغابة، هل يسيطر عليها المشعوذ
أم هي من تمنحه القوة؟

قال بحكمة صارمة:

- للغابة عهد.. تسمح لمن يرشحه المشعوذ أو لا تسمح..
تبع رغبتها، تسمح للخير والشر.. الضوء والظلام.. تبع ما
تريد.

- وأنت الخير.

- أو الشر من يعلم!

- لا!

قالتا بأنفاس متسارعة، فاضت ملامحها برفض حماسي.
في حين مرت نبرته هو بحكمة مقاتل:

- نجو بكليهما يا "قلب الجبار"!

دقت عاصفة تمكنت من قلبها حين دمج اسمها باسمه،
كانت ليلة باردة صافية، خلد الجميع للنوم سوى كئائب
الحراسة، وشكلت النجوم في السماء شكل سهم. لا تعلم
هل هو قدر أم هي من فسرت التنظيم تبع حماس قلبها.
كانت النساء قد أعددن للعشاء في تلك الليلة فطائر البازلاء
الساخنة، جذبت إحداها فالتهمتها سريعاً دفعة واحدة
وبعدها أخرى ثم أخرى. ابتسم لها ابتسامة غريبة تشبه
معنى الدلال الخشن:

- أيهما تفضلين.. "قلب النبال" أم "قلب جبار"؟



تجمدت لوهلة ثم أبعدت الطعام عن شفيتها وشرودها
ابتسامة تاريخها الكامل.. قبله ومعه.

هل بدلها؟ قليلاً.. هل عشقته؟ كثيراً.. أكثر مما يحتمل
قلبها.

همست بصدق وهي تتحاشى النظر المباشر نحوه:
- كلاهما.. "قلب النبال"، و"قلب جبار"، الأول أمنيات
العقل، والثاني رجفة القلب.

ابتسامة راضية اقتحمت شفتيه وضمها نحوه، لم يزد..
كان العناق في تلك اللحظة كافياً لكليهما.. انتماء.. هي بكل
يكانها ويكانه تنتمي إليه. همست وهي ترمق الأفق:

- أستسمح لي الغابة بالمرور؟

قال بغموض لم تدركه:

- لا تقلقي.. سترحب!

أغمض عينيه وغاص في مستقبل قادم، لحظة رتبوا جميعاً
لها، وها هي قاربت على الحضور.

فقد حان وقت القلب من أجل "قلب"!

رسالة للجبار

غادرت الكلمات شفتيه بعزم، رسالة شفوية تحملها أقوى



جنيات الجمر. كراديس القسوة قادمة لا محالة وعلى "جبار"
أن يضمن أن تكون كما المتفق.. له لا عليه!

أتمت الجنية تجهيزات الرحيل.. سيرافقها مائة قنطور
من المدربين بعناية، القناطير بشكل عام مقاتلون أحرار
بجسارة، لا يرتدون الخوذات ولا الدروع.. الواحد منهم
قادر على صرع خمسة رجال دفعة واحدة، ولكن هو
يعلم وجمر تعلم وجبار يعلم.. لا يستطيعون وحدهم هزيمة
التمائيل. منحهم بسطوته إذن المرور من الغابة ورحلوا
في مشهد مهيب خلف جمر. كان الليل قد سدل ستائره،
مشهد كئيب قائم وقد زينت القناطير المسحورة المدججة
باللهب حوافه بشكل وحشي، "جبار" يجب أن يخاف..
"جبار" لن يستسلم بتلك السهولة. وهو.. هو قرر معركته..
ليس مع وحش تلك المرة، ولا مستدئب.. ولا عقاب
وأفعى.. مع الكارسو!

اندججت لمحة ساخرة بملامح "ثا" وهي تراقب عتمة
يودوس وتراقبه من مرآة مدموجة بالجدار وهو يواجه
الكتاب اللعين.. تراقب تشنته.. وجعه.. عناده.. الخير
المنتصر دوماً داخله. هو كما توقعت تماماً. يلتقط السيف،
جنونه ثائر.. يحاول طعن الكارسو، عيناه تلمع بيأس
وحد السيف يصل إلى حافة الكتاب ولا يفلح. قوة مهولة
تمنعه، تعيد جسده بعنف إلى الخلف، يصطدم بالجدار،
يصرخ بيأس، يستنفذ قوته مرة ومرة وعشرة ومائة.. ولا
شيء.. السحر ينتصر. صوت "ثا" يأتيه من العدم، بل من



المرأة اللعينة التي تراقبه منها:

- أنت تعلم.. لن يتم الأمر بتلك الطريقة.

لهث ونبغزة في صدره تؤلمه:

- لن أنفذ الأخرى.

- ستفعل.. رغماً عنك ستفعل.

قالتها بهدوء جامد، هي انتظرت كثيراً كي تصل إلى هذا السطر الأخير، أفسد الأمر مشعوذ أول ودوره هو إصلاحه.. لا استكمال الفساد. صوتها يعيد وجعاً بحجم جبل:

"عليك أن تخطئ وعليك أن تدفع الثمن".

والثمن قاسٍ بقوة دك جبل فوق عظامه.. موت حبيته.

- لا

صرخ بكل قوة يمتلكها، رفع السيف وقوته تشق الجدار.. الجدار وحده ولكن الكارسو لا.

- لا.

صرخته طلت بشراسة، منذ أعوام طويلة وقف أمام كتاب.. طلب تعويذة ظن أنها النجاة. هدر رافضاً للنص الكئيب، يعود القمر من رحم بشري يعود بالميلاد وبعدها تكتمل عودته بالدماء! قلبه الحجري مفتت.. أحشاؤه ممزقة.. قوته منقوصة ولا يبالي.. ملعون الكارسو، ملعون



القمر يودوس وضوءه، هو يريدها كما عهدها.. فقط يريدها
الفتاة.

رسالة للجبار

تطلع الجنود نحو جمر بإعجاب ورهبة، جنية النار حضرت
وهي تضع فوق وجهها قناعاً ذهبياً مشتعلاً وحوها مائة
قنطور محترق بالقوة. ولاؤها لمشعوذها دائماً وأبداً. في
الخير والشر.. في الخطأ والصواب. والرسالة شفوية قائمة
تنسف معاهدة سنوات. تنسف المسار الوحيد للقضاء على
"البارود".

"لا تنفذ.. ولو فعلتها لن يحارب، لن يرافقكم جيش
المشعوذ".

تعطيك الحرب فرصة ارتجال.. رغماً عنك!

والقائد المنتصر هو من يجيده، القائد الماهر هو من ينبش
عن النصر من أعماق الهزيمة. جاءت جنية رحلت جنية..
لم يكن حضورها سوى استعراض قوة ورسالة وصلت
بصرامة محترقة. عادت إلى مشعوذها كي تحمي القصر. هي
حرب صامته الآن بينه وبين حليفه، حليفه القوى المسيطر
المظلم الذي رق قلبه!

كاد يهشم خشب الطاولة تحت قبضته في ثورة غضب،



"قلب" ظهرت بنظرة مبهمة لا تدرك حقًا ما يحدث وسط خروج الجميع.. ظلام عينيه بدا مثل بحيرة قار، والخذق في ملامحه توحش.. بات عتمة مجهولة لها تمامًا.

- "جبار".. ماذا يحدث؟

ظل جامدًا على وضعه بملاح متحفزة، وقبضته ما زالت مرتكزة على الخشب المشقوق، في حصن المحارب مائة خطة.. لا يرتبك.. لو فشلت خطة يجد الثانية. في حصن المحارب تكتيك بديل.. حتى ولو اعتمد على ضربة حظ!

نظر نحوها نظرة شبيهة بالأدغال التي دربها بها، ثم ألقى حروفه بصرامة جامدة.. دون تفسير أو تعبير مبشر:

- سنتحرك غدًا نحو الغابة المحرمة.. جهزي "قلب نبالك".

- ماذا؟

- هذا هو اسم السهم الذي صنعناه يا "قلب".. "قلب النبال"، قريباً سيندج بهدفه.

- هل تعلمين؟ آسيوس كانت قاسية وحشية.. كانوا يستحقون الموت.

- آسيوس!؟

- ما هذا! أخبرتك مرارًا أريد فتاة تُنصت فقط.. لا تُثرثر. اقتلوها!



احذر بارود.. الطاغية يأخذ استراحة!

قال منتشياً وهم يضعون أمام طاولته مرتعشة جديدة،
أحضروها خرساء تلك المرة.

- هل تعلمين.. أحب سكان مملكة التاج، كانوا مولعين
بالموسيقى لا البحث عن الكتب المدمرة للصحة.

وهذا هو.. مجرد زعيم يهتم بصحة شعبه!

رفع قدميه بعنجهية على مسند مقعده، لوى شفثيه
بابتسامة بارودية.. أحداث جديدة برفع نشوته.. مذاق
دماء قادم، مذاقه المفضل. لم تظهر "قلب النبال".. رد
فعل غير مبتكر! سيختار "شاهق" و"جبار" التضحية بالبيادق
من أجل حصانهم الراجح. ابتسم بتوحش.. تحرك الظلام
في عروقه.. حرسه ينتفض، الخرساء التهم قلبها نيئاً..
والمينوتور لهم صيحة.

احذر بارود.. احذر ساحرة! احذر بارود.. احذر
"حرير".

عادت الساحرة عودة كاملة، مررت النبوءات الأربع،
رقصت فوق البئر، قطعت من شعرها خصلتين.. أرسلت
واحدة إلى المشعوذ وواحدة للبارود. حب الأم لأبنائها
عادل!

وفوق أديم الأرض خطت حافية، قالوا إنها مشت من
الإقليم إلى أرض العرش دون توقف.. ودون تعب..



تصلب نظرتها كالحجر، وأنفاسها خشخاش يذهب عقل كل
من يعترض طريقها. كان يجلس على مائدته، لتوه جفف
فه من دماء القلب العالقة بشفتيه.. نظفت الخادمت
الغرفة وقدموا له كأس نبيذ. ساعده مرتكران على الطاولة،
وقبضتاه مشتبكان أمام فه وعيناه مسلطة عليها بنظرة
جامدة. ها هي قد عادت بقسمات كاملة.

- مرحباً حبيبي.. افتقدتك!

بين السماء والأرض عالم كامل من العبث.. قست
ابتسامته، فرقع لخادمة كي تُحضر لها النبيذ.. لها سنوات
لم يدخل جوفها الماء. تأوهت مع أول رشفة بنغمة مثل
ترنينة، ابتسمت بخبث يليق بها ويليق به:

- كنت أعلم أنني سأجد عندك النبيذ الجيد.

خرجت نبرته جامدة وعيناه مسلطة عليها في انتباه كامل:

- لا تبدين غاضبة جداً بالنسبة إلى أنني حاولت قتلك
منذ سنوات.

ضحكت بلامبالاة:

- أنت قلتها.. سنوات، الزمن كفيل بمعالجة أمور كلك.

راقب ابتسامتها المسممة وهي ترشف باقي النبيذ، تنهد
براحة وتناوش ثباته بنظرة قائمة من عينيها.

قال بحقد وعيناه تشتعل:



- تراوغين؟

حدقت إليه بصمت دون جواب، كل ما فعلته أن ارتكزت ببصرها عليه واغرورقت عيناها بالدموع!

- لماذا أنتِ هنا؟

- افتقدتك.. كل ما أريده أن أعانقك لمرّة أخيرة.

قهقهه بشراسة.. التمع نصل سيفه فوق أسنانه وهو يوجهه لها دون أن يترك مقعده، يصرخ بحشجة سيقتل بعدها كل شاهد عليها في الغرفة:

- انتهى يا "حرير" لا يناسبنا ذلك الشعور.

علا صدرها وهبط:

- متى غادرنا؟

قال دون أن ترمش عيناه القاسيتان:

- منذ اخترنا الشر أو اختارنا، لا فارق.

وجه نصل سيفه المدب نحو عنقها، مال رأسه يتأملها.. من هو منها بشكل ما، من قتلها دون ندم وعلى استعداد بأن يفعلها مجدداً لو ضمن النتيجة.. شقت حنجرتها نبرة قائمة:

- استسلم!

- ماذا! هل جنتِ؟!!



غمغت بقسوة:

- سيهزمك شر هزيمة، بكل ظلمة في قلبه.

غضب الكواكب احتل ملامحه:

- لا تقلقي.. لدي ظلمتي الخاصة.

ناوش عنقها بالسيف، جرحها جرحاً خفيفاً التأم على الفور، ابتلع ريقه ساخراً:

- يبدو أن تأثير النبوءات معك أكثر من جيد.

استقامت، تخطت الطاولة بثبات مقتربة منه ثم أنزلت نصل سيفه المنتصب بتحفز ليواجه الأرض بشكل عمودي قبل أن تقول بحنو كان محتلاً عينيها:

- سأموت حين ينطلق السهم.

تشنجت ملامحه والتمت عيناه بشراسة:

- أي سهم.. "قلب النبال" صحيح.. عاهرة "جبار" ونبوءتها.

غامت عينها ثم مررت ابتسامة غريبة.. نصفها حزن ونصفها راحة!

- سينتهي كل شيء حين ينطلق السهم.

ثم أراحت كفها على وجنته فرغماً عنه تملكته رجفة لم تعجبه.. رجفة شعور. عاد إلى الخلف وهو يسحق شعوره، وعيناه ترمقانهما في رفض.. تنهدت في راحة حزينة ثم



خرج صوتها مثل حشرة سِعلالة (1) اقتربت من الموت.
- وداعاً يا حبيبي.. سأفتقدك.

وكما ظهرت كما رحلت.. حكاياتها ستظل مكتوبة لأعوام
على الأجار حتى يتوه البشر كعادتهم وينسوا. قالوا إن
رحلتها القادمة ستمها حافية حتى تصل إلى ما يسمى
كهف الضوء.. مدخل شامبالا!

"حرير" ملفوف في قماط يسقط حين ينطلق السهم".

قالوا إن "البارود" ظل جالساً في غرفته سبع ساعات
على طاولته، ثم قام واتهم قلوب كل من في الغرفة حتى
رجال فيلقه. لطح جوانب وجهه بالدماء وزعق بجيشه
استعداداً للحرب الكبرى. ابتسامة متوحشة ارتسمت
فوق شفثيه، وشك بات يقيناً. السهم ليس من أجل قلبه
المدفون في أرض الغابة، وجد طريقه إلى كهف الضوء
حينها كما أخبرته أمه. السهم لقلب الفتاة من أختها. وحينها
سمت أمه.. وينال أخوه قوته الكاسحة.

رجل الزيف.. غضب ملطح بالخديعة.. "غضب
الراعي".

ملاحه هادئة.. مثل موت عقيم، خصلاته تنسدل على
وجهه وظهره مستند إلى جدار مدبب الخواف، أما ساقاه
فقد ثناهما على شكل زاوية، وكلتا يديه مستريحتان على



ركبتيه. رمقت "بداية" عينيه اللتين خاصمهما الضوء فبدا
الظلام مندمجاً بهما، وبهما أيضاً حزن غريب، وغيظ،
وحقد، وتشتت، وقوة لا بأس بها يقيدها جنزير صلب
يحيط بالعنق والقدمين. "غضب الراعي" .. قالوا محصن
بجحيم الشمس، قالوا محصن بفم المجهول نفسه.

- كيف؟

طاف سؤاها في رأسها عدة مرات قبل أن تظهر من
خلفها جمر، تبسم ساخرة وتقول عن قصد بما جذب انتباه
"غضب" الذي بات شبيهاً بمسخ حاقد.

- تتجولين يا زوجة "الراعي".

شهقت "بداية"، وعينا "غضب" تنتفضان وهو ينظر نحوها
وينطق محترقاً:

- رحيق!!

ضحكت جمر ضحكة عالية ثم تابعت ساخرة:

- السجن يغيب العقل .. وخاصة في جحيم كهذا!

رغمًا عنها نظرت نحوه "بداية" في شفقة:

- هل هو بريء أم مذنب؟

- كلاهما.. ولكن لو كان الأمر بيده لاختار الشر.

- ولكنه اختار المشعوز.

- كان يظنه الشر يا عزيزتي!



جلجلت ضحكة "جمر" بعدها، مالت نحو "غضب"، جذبت رأسه المتعب نحو شفيتها ثم قبلت جبهته المتعرقة وتابعت بتجبر:

- إنها الخديعة يا عزيزتي، حبكة شيطانية برعاية الكارسو. حتى أنا لم أدركها منذ البداية.. كنت مثلي مثل هذا، مجرد أداة.

تأوهت بعدها بدلال ثم تحركت متمائلة وكأنها تؤدي رقصة:

- ولكن لا بأس راضية أنا من أجله.

كانت تقصد المشعوذ، ابتسمت وهي تذكره ثم انقلبت ملامحها ساخرة وتابعت:

- هذا النكرة هو زيف منذ البداية.. محصن بحجم الشمس، أكذوبة قالتها قابلةٌ كي تتناقلها النسوة.. كي يظن "البارود" أن القدر يدخره له، محصن بفم المجهول.. تكلمة الأكذوبة، كي تنطوي الخدعة كاملة على خادم الشمس، وهو من يبحث عنه.. يغريه، ويحتجز في وهم انتصاره الزائف بأنه سيسلم الفتاة له. هل تعرفين من هي القابلة التي جذبتة من رحم أمه.. "ثا".

التمعت عينا "بداية" وانطلق لسانها يفسر بسرعة وتركيز:

- إذن هذا سبب ما قصته يودوس، خديعة المتاهة ووجود المشعوذ معها من البداية.



- مجرد وقت احتاج إليه حتى تندمج قوتها بالغابة وينال هو ظلاله.

أتمت "بداية" العبارة ساخرة:

- والبارود مطمئن في انتظار نغل مزيف.

ثم أردفت مستدركة:

- نبوءات "حرير" الآن لها معنى.

سخرت "جمر" وهي تتخطاها وتعود إلى غضب، تحرك رأسها أمام عينيه المتحجرتين:

- ظننتك سَمْتِ المعرفة.

- إنها مغرية.. مثل مخدر قاتل.

لاحت من "بداية" نظرة دامعة إلى البحر، رأت "فيصل" واقفاً جواره.. يفتقد "غاند"! قالت وعيناها متحجرة على مشهد أبيها الحزين:

- يموت النغل حين تجتمع الظلال.. لم؟

- دور الخديعة انتهى ويجب محوها.

نهشت إنسانية "بداية" قلبها:

- ولكن لم؟ هوبات دون قوة.

- نحن لا نترك العوائق يا عزيزتي، ستكبر وتعود وتلتهمنا.

قالتها جمر وابتسمت ابتسامة واثقة شيطانية، مال رأسها



تأمل "غضب" وعيناها تلتمعان، وحينها زجر هو بعنف
ثم بصق في وجهها. تنهدت ببرود وبعدها اشتعلت عيناها
بغضب مستعر وقالت بسخرية شرسة:

- هل نتذكر "ثلج"؟ مرحى.. ستذهب إليها.

انتصب بعدها جسدها فجأة بشكل مرعب، عادت
"بداية" إلى الخلف وهي تراقب في ذهول النيران التي
انطلقت من يديها لتحرق الجنازير المقيدة له وتحرق أطرافه
حتى انتفض في هلع، لاحقه الشرر.. أجبره الجحيم على
الهروب نحو النافذة... ضحك لحظتها بهيستيريا واحتلت
صورة "رحيق" التي سقطت أمام عينيه عقله.

وبعدها..

أجبره جحيم جمر على النهاية نفسها.

يموت النغل حين تجتمع الظلال، مات النغل.. مات
"غضب الراعي".

تهب الرياح، عاصفة عنيفة على الأبواب.. فوق ارتفاع
قصره المهيب وبينما الثلج يجمد أرواح البشر وقف يحدق
إلى فم مجهوله، جمر تتم بما وصلها والقناطير على أهبة
فتك.

- لقد تحرك "جبار" بالأخت الوسطى.. دخل الغابة.

ردّ وعيناها تتأمل ظلام قم التلال البعيدة:



- لن يبدل رأيه بسهولة.

- ستجبره؟

لم يجب في حينها.. مرت نظرة منه مثل الغيم، ثم تابع بصوت رخيم:

- طبعاً سأفعل.

- وإن لم يستجب؟

كانت خبيثة.. تناور بقوة السيف، أسيفلها.. يذيق سيفه دماء من كان له معلماً.. تتوحش الظلال في وجه من كان حليفاً. ثقل جفناه ثم تابعا يهرس حروفه:

- لن نصل إلى هذا الأمر.

وهرست خطواته الأرض متخطيها قبل أن ينبثق جناحاه ليتشكل في صورة العقاب ويطير مبتعداً عن القصر تحت قسوة المطر البارد. لم تصلح المفاوضة مع "جبار" وعليه أن يمنعه بنفسه.

لقد درب تلميذاً عنيداً وهو يعلم هذا جيداً.

وفي الغابة كلما تعمقت فيها "قلب" أكثر شعرت بوحشة، أرادت أن تتراجع.. تصلبت ودفعها هو.. بحماس قائد لمقاتلة صغيرة.

- وقت النبوءة اقرب يا "قلب".

همست بظلمة رغماً عنها:



- إنها ليلة مظلمة.. بلا قمر.

- ستأتي الشمس في الصباح وحينها ستنفذين المهمة.

- كيف تعرف؟

- للمحارب حدس.

تأمل الظلام، ترتيب النجوم وإصغاء خبير لخطر قادم..

تصاعدت أنفاسه بحرص ثم جذبها بهمس صارم:

- علينا أن نتواري للصباح!

بدت عيناه متحفزتين في الظلام، شعرت بالقلق:

- ماذا هناك؟

ابتسم ساخرًا:

- لا شيء.. سيقرب عقاب وذئب لا أنوي مواجهتهما

الآن.

لم تفهم لم ساعدتهما الغابة؟ الآن الغابة ضد مشعوذها!

أواهما كهف غطته بعدها أغصان الأشجار، نامت بين

ذراعيه، طوقت لحيته ثم نظرت نحوه بعمق:

- هل ستواجه المشعوذ.. لا أفهم.

قال بنبرة آمرة صارمة:

- عينك نصب مهمتك يا "قلب" لا تفكري في أمر آخر.

- ولكن...



- ها.. أيتها المحاربة، لا جدال مع القائد.

رفعت رأسها في شموخ وحماس القتال يصل إلى ذروته،
لا تعلم لم يبحث عنهما في الظلام مشعوذ مع قسوة ظلاله،
ولا تفهم لم تركها "جبار" مع شروق الشمس ليواجه
غضب المشعوذ وحده، في حين تنطلق هي منفردة إلى
مهمتها.. باحثة عن الطائر الأزرق.

قصر المشعوذ

ظهرت الشمس.. فتت وحشة الظلام ومن مرآة
مدفونة في جدار مررت امرأة ترنمة نامت على إثرها
جارية النار. لملت "بداية" طرف ثوبها وتحركت حافية
على أطراف أصابع قدميها فوق الدرج بنبض حريص كي
لا يستيقظ القنطور الحارس. كان مصير المشعوذ الكارسو،
والآن مصيرها يسهل السُّبُل. ومن الغرفة المغلقة شهقت
"نهاية" المقيدة بدورها، ونظرت نحوها يودوس بضعف
والذبول يكاد يلتهمها. تصلبت عينا "بداية" بعبرة متحجرة
ثم سحبت المفاتيح تصارع رغبتها في التراجع:

- لا أصدق أنني أفعل ذلك.

همس "نهاية" المبحوح يتسلل في فطرة:

- حرريها يا "بداية".. يودوس تموت، يودوس يقتلها

القيد.



يودوس نتوسل إليها بعينها.. قلبها يئن.. قلبها لم يعد
يحتمل، يودوس يجب أن تتحرر.

وصرخت الجارية جمر بعد فوات الأوان، فقد رفرف
الطائر الأزرق خارج قيد القصر.

(1) السعلاة: الغول



الفصل الثالث والعشرون

مرحباً بالكابوس!

الجحيم الأكثر سواداً على سطح الأرض

فتح الظلام فكيه وانتهى!

خطواته تهرس أرض الغابة بقوة وحش ثائر، بمخالب
مستدئب.. بجناحي عقاب، وقلب على شفير الانهيار. مثل
ظل أسود أحمر العينين هدر حدّ الفتك بمن هو باحث
عنه.. محارب لقنه قسوة القتال بنفسه، لقنه الفكرة حتى
اندجت به والآن عليه أن ينتزعها منه. لون السماء أشبه
برماد ما بعد الحريق. هربت الشمس وتوارى القمر،
شاطرت الحيوانات والطيور الغابة كآبتها وسكن الجميع في
انتظار حدث عظيم.

ها هو "جبار"، يقف في شموخ منتظراً.. بقايا غبار فوق
شفتيه وعزم قسماته لن ينزل عن النهاية المتفق عليها. لا
تراجع.. لا تبديل.. لن يأتي انتصار دون دماء. زجاجة
خافتة تسربت منه، لهب غاضب في عينيه نحو تلميذه الأول
والوحيد:

- الآن تعصي أوامري.

بأس مرسوم فوق ملامحه قال "جبار" بعزم قاسٍ
خافت:

- هذه هي أوامرك!



هل يُعاقب على الفضيلة أم الرذيلة! أم كليهما!! يُعاقب لأنه وجد الكارسو أم لأن الكارسو وجده.. يعاقب على اختياره أم استسلامه للخيار المتفق عليه.. هدر بمجوح، بقسوة نائرة:

- لن يحدث يا "جبار".. عليك أن تتخطاني أولاً.

ردّ "جبار" وقد اندمجت ملامحه بتقدير حزين:

- لا بأس.. لقد تدربت على يد أفضل محارب في الأرض.

تعاضم غضبه، هدر وهو يضرب سيفه قاصداً عنق تلميذه وإن جمده في آخر لحظة.. لهث بشراسة:

- لا تجبرني على قتلك.

دار "جبار" حوله قدر استطاعة مهارة المحارب أمامه ثم قال بيأس هادئ:

- فليحدث.. اقتلني.. جميعنا فداء يودوس، فداء الخلاص من المسخ.

صرخ.. تسربت حروفه بعنف بينما اقتنصت مخالبه "جبار" بلا جهد:

- أنا المسخ.

لهث "جبار" والمخالب تتآمر لنهش روحه، جرحت عنقه فعلاً..



- مسخ أحتاج إليه.. جميعنا نحتاج إليه.

أطلق هديرًا ثائرًا:

- لم عليك أن تجعل الأمر بتلك الصعوبة؟

أغمض "جبار" عينيه في هدوء رغم شراسة المخالب المحاصرة لعنقه ثم فتحهما بحكمة صارمة:

- ليس عليّ أن أقاتل مثل محارب شرس فقط، بل عليّ أن أفكر مثله.. أنت علمتني هذا.

تلميذ ومعلم.. جمعهما الصمت.. ورغبة الخلاص من مسخ مختل. تلميذ ومعلم.. نار وقودها الثأر والخلاص، أشعلها ولا يستطيع الآن أن يخمدها. تلميذ ومعلم ورحلة نحو الكارسو! أطلق صراخًا مستعراً، شق الشجرة خلف "جبار" بسيفه بقوة هائلة لو نالت "جبار" لشقت رأسه..

- ليس علينا أن نصل إلى تلك النهاية.. فقط سلمني "قلب".

كانت أنفاسه تحاصره، ظلاله تندمج به وتخنقه، تأكله بشراسة كما يحتجزها وتمزق أحشاءه. راقب "جبار" عينيه الحمراوين مثل دم قانٍ والصراع المرتسم على ملامحه ثم هرولت حروفه بغضب:

- لن تهزم "البارود" هكذا.. لا تعاند.. سيهلك حينها الجميع.

ارتفع جسده عالياً، أطلق صيحة مرعبة جعلت ظلاله



نتواری داخله.. وتحولت عیناه کلها إلى لون حالک
السواد. ظلالة مثله.. لا یریدون اختراق السهم للقلب. یا
لها من معضلة ساخرة، اتحد الخیر والشر داخله علی هدف
واحد. تمثلت إرادته فی صوت لاهث معاند:

- سأجد حلًا.

تمت "جبار" بهدوء حکیم:

- یا للأسف.. لن تجد.

وسلم المحارب نفسه استعداداً للموت بشرف ید معلمه.
ألقي سلاحه جانباً ثم رفع یده فی استسلام هادئ.. ابتم
له مودعاً ویقینه یرسم ما یرفضه قلبه. دون الکارسو..
سینتصر "البارود"، وحينها للجميع ستكون رحلة الموت
أسوء. یقینه یقولها ببأس محارب.. ستؤدي "قلب" دورها
حتى لو كانت حياته الثمن.

ها هو.. أمام أسوء صراع ممکن، صراع الخیر والشر فی
جسد معلمه، ظل الأفعی الخبیث یرتفع من تحت ملامحه،
الهوة فی أعماقه یقع فیها الوحش ضاحكاً بجنون فی حین
ینتصب المستذئب خلفه حامياً له وفوقه جناحاً عقاب.
صرخ برعونة مقاوماً، اقترب السیف من عنق "جبار" تلك
المرة حد الفتک التام.

- لا تجبرني علی فعلها.

- لا بأس.. الهزيمة لیست بالموت وحده یا معلمي



الجليل.

احتقنت ملامحه كلها، كادت الظلال أن تنتصر.. كاد
الخير أو كاد الشر لا يعلم.. كادوا! لحظة خاطفة سريعة
بترتها رجّة، الغابة كلها ارتجت وطل ضوء سريع غريب
مثل بريق مفاجئ جامع طلت بعده الشمس.

وصرخة.. صرخة مسكينة.. صرخة يعرفها جيداً..
صرخة مرّقت صدره بمائة نصل دفعة واحدة، هشمت
قلبه الحجري وجذبتة نحو هوة سوداء بلا رجعة. زاغت
عيناه، سقط سيفه من يده.. صرخت ظلاله في غضب
وتراجعت.. تمكن الخرس من ارتعاشة فه.. وحاوطت
سلاسل الوجع صدره.

نال السهم القلب

قلب الطائر الأزرق.. قلب يودوس.

اقتنص صيدك.. أو ستصبح أنت الفريسة..

"كان عليّ أن أختار شعباً أكثر خضوعاً".

هو حاكم مضغ طعامه و نصف شعبه، نال وكان مناله
بذخاً.. الحرب لا تجوز معها القوى المحايدة. مع أو ضد..
وهو سيبيد الضد وال "مع".. سيبيد الجميع ويبدأ من جديد
برواق. جاء الباطل.. جاء الحق.. النتيجة واحدة. لا يفهم
لم يُشغل البشر بالهم بهذا الهراء.



ابتسامة قائمة ارتسمت فوق شفثيه، وشعور حارق احتل صدره وهو يقف بعنق مشدود، ويده مرتكزة على مقبض سيفه أمام منحوتات الظلال. لطالما أعجبتة الفكرة.. لطالما تمنى لو جاءت تلك الشياطين منه هو. لون عينيه بات مثل الحديد الصديء مع قدوم جاسوسه بالخبر اليقين. "طائر التاج".

احترق السهم القلب

بصق الطائر حروفه ثم احترق، لا يعرف مللاً أم يأساً.. هو فقط يعرف أنه احترق ولن يعود.. صرخ.. ثم ضحك ضحكة مختلة صاحبة، زحف قائم احتل ملامحه. هو مسخ غاضب.. مسخ مخدوع.. مسخ منقوص! ملعونة أنتِ يا "حرير".. ورائعة أنتِ يا "ثا". لا بديل من أن يُبدي الطاغية إعجابها بالظلام. قنصت الأخت قلب أختها.

هنيئاً لك الكارسو أخي العزيز، حقاً الجبروت لا يكتمل سوى بلطمة قاصمة.

هياج ضخم، انتبهت تماثيل المينوتور بعدها للضجة، هوس الدمار الشامل. المينوتور الأكبر ظهر.. تحرك بعد سنوات نحول. حتى في الحرب الأولى لم يلجأ إليه. المينوتور الأعظم كما يطلقون عليه، تمثال ضخم رآه قائد منذ زمن بعيد من سفينته ولم يتبع حدسه وابتعد. حطم المينوتور العملاق منحوتات الظلال بهياج كهياج قائده، زجر فكاد باقي الشعب القليل يفقد حياته من الرعب وتحولت



منحوتات الأفعى والمستدثب والعقاب والوحش إلى
حطام.

"عفواً أخي.. فأخر ما احتاج إليه تعويذة توقظهم".

رفع يده بإشارة راية القتل لتماثيله، ونحر باقي شعبه إلا
سبعة أطفال.

سبعة فتیان يحملون أغصاناً مقطوعة

رأس السهم مكانه الفريسة

قالها "الجبار".. قالها "الشاهق".. تنفذ هي.. "القلب".

حصانها يركض في غابة كثيفة رمادية، شعرت وكأنما
هرول بها إلى مسافة طويلة، يمتزج الغيم بالسماء في مشهد
غريب وكأنما تأمرا على الشمس أو هي من هربت. سماء
خالية من الطيور بشكل مثير للريبة، جميعها على الأرض
يراقبونها في انتظار اللحظة الحاسمة.

- هذا قدرك يا "قلب".. قدرك.

"صوبي للقتل.. درس "جبار" الأول، والأخير،
والمستمر"

همست لنفسها بحسم، ركضت أكثر مثل محارب متهور
عازم، عيناها تبحث عن الهدف ولا تعرف أين ومتى قد
يظهر ولكن "جبار" أكد أنه سيفعل وحين استفسرت



منه جاوبها بأنه الحدس. هل حدس المحارب قانون واجب النفاذ، أم استنتاج حكيم.. هربت من أفكارها، من حدس يخبرها ألا تفعل! ركضت أكثر بحماس ساكني الجبهات من الجنود الصغار، الحرب ستحدث لا محالة، والمسوخ على استعداد للتوحش، ولن تسمح لقلبه بالانتصار. رفعت عينها نحو مشهد الغابة المهيب ورفضت أذناها هذا السكون الغريب، لحظة مثل كابوس صامت.. وبعدها رجّة!

صوت رفرقة جناح، وطائر ضخم جميل ظهر من العدم بسرعة خيالية، سرعة تتحدى كل تدريب خاضته يوماً. لحظة واحدة.. محاولة واحدة.. سهم واحد.

ومن فوق فرس جاح وجهت قوسها، وعيناها نصب هدفها لا تحيد، انطلق السهم وقد التمع تحت شعاع الشمس التي ظهرت مع انطلاقته، وشهدت على اختراقه المباشر للقلب.

"قلب النبال" .. تمت المهمة بنجاح.

اخترق السهم القلب.. قلب الطائر الأزرق

صرخة.. ركض ملتانع.. اتسعت الظلمة، هوة خانقة فتاكة.. وحينها "غاند" بكت!

لحظة حقيرة بأسة حزينة، الفقرة الأولى من الوجد



والسطر الأول من كتاب العجز. لا سبيل للفرار.. حدثت
المأساة وانتهى. هذا النص لن يردده أحد الشعراء، لن
يقوى التاريخ على سرده.. سينغلق على حاضريه.

- لا!

صرخته شقت سكون أرض الثلج، لحظة قائمة دميمة
خرجت من صندوق لعنات. ستزحف ظلالك معك
بأسة لأنك انتصرت وبأس أنت لأنك انتصرت. مثل
غريق يجدف بكل قوة يمتلكها ركض، بهيئته هو.. لم يقوَ
حينها على ظلاله. عاشق مكسور، ومسوخ نادم، وشهير
محتجز في كهف أمام كتاب انتصر في النهاية عليه. كتم
الصمت الكئيب أفواه الطيور في الغابة، هرست خطواته
الراكضة الأرض تحته وكانت أوراق الشجر التي يلامسها
تتحرق، شق الغضب حنجرته.

- لا... لا!!!!!!

هي أمامه، ممددة في هيئتها البشرية، أسقطها السهم في
لحظة خراب فسقط جسدها عارياً وبقايا الريش الأزرق
المدّم فوقها. تجمدت ملامحه في صدمة... تجبرت عيناه
بلا تصديق.. خرج صوته ضعيفاً عاجزاً تلك المرة.. قلبه
يترنح.. جسده كله يترنح.

- لا.. لا.



تلثاع حنجرته.

- لا.

تهتز الأرض مع هديره..

- لااااا .. يودوس!

ولو ناداها لألف عام لن تجيب.

هي رحلت.. رحلت حتى دون أن يودعها.

تصلبت عيناه واحتلها ظلام قاتم، تحجرت عَبراته..
قسوة نصل حاد مزقت روحه، بل قسوة هذا السهم
الذي اخترق قلبها وقتله هو.. يفتك به الحزن.. ينهي عليه،
شفته تنثنيان في ضعف.. قلبه الحجر يتوجع! أنفاسه المختنقة
تصارع للهرور. صدغاه يرتعشان وجانباً فكيه يرتجان بعد
جمود.

روحه تنسحق.. تنهرس، روحه مطعونة. أما العبرات
فتحجرت والآن تسقط بثقل موجع في صمت رهيب، هو
الآن الظل الخامس.. سكبت له "ثا" الهول في قصعة وها
هو يرتشفه رغماً عنه. الصراخ مكتوم داخله والوجع يلهو
ويطعنه من الداخل بسكين ويمزق أحشاءه.

مشهد تعيس.. وهو البطل!

جثا فوق ركبتيه في انكسار والحزن داخله يفوق عزائم
الجبال. بل هو الجبل الذي دك الحزن عزيمته. أنفاسه
صمت، لا شهييق ولا زفير.. أنفاسه صمت تام. لغته صمت



تام. الآن الحروف غابت، لم ينبس بينت شفة، لا شيء..
مجرد أنفاس من العتمة، غامت عيناه بنظرة مثل الشيب..
نظرة عمرها ألف عام وعام، ثم انتفضت.. انتفضت بلهعة
من السواد الحالك. استقام.. معطف أسود مثل اللحظة
التي يمر بها خلعه عن جسده ودثرها به، بملامحه المتجمدة
حملها.. ضمها لصدره، بللت عبراته وجهها.. لحظة مصير،
لحظة ما سيصير، لحظة زحفت له وتحققت رغماً عنه.
داهمته رغم كل ما اتخذه من حيلة، فتكت به وانتهى..
حان وقت الختام اللئيم.

انشقت الأرض، وظهر بئر.. بئر كهف الضوء!

كهف شامبالا!

زخة سهم! التمع تحت ضوء الشمس ثم نال فريسته
وسقط معها.. معها، رجفة لعينة تتمكن منها.. قلبها وليس
قلبه! قلب فتاة وليس قلب "البارود".

"قلب النبال" غبية، ملعونة، صاحبة آخر مقعد على
الطاولة وهشموه كي يجرحوا به صاحبة المقعد الأول!

على من تُلقى اللوم هنا، على حماسها الأحمق، على رجل
خان عهد الصدق.. على الشمس والقمر والغابة والبارود
الذي على ما يبدو قلبه ليس هنا!

هي.. هي!



اجتمع الصمت باللغة، نال الإدراك وليمة عفنة.. ووصل
الجميع إلى بر الهلاك كي ينجوا! أنفاسها متحجرة، والعبرة
انهزمت إلى الداخل وأغرقت القلب! مرحي "قلب النبال!"
لتوك قتلتي... أختك!

حروف جارحة للنجرة، والتجمد وازى ظهور الجميع،
أي تجمع هذا.. لئيم أم عظيم؟! جبارها! "بداية" على صهوة
قنطور، و"نهاية" مثل شبح حزين خلفها.. جنية نار تُمسك
بكتاب.. وأمام رجل يتسرب السواد منه كالقار على
أرض الغابة انشقت الأرض عن بئر!

صرخة قادمة من بعيد، بل ضحكة! خيال امرأة يقترب،
ظلمها يواجه البئر ويواجه المشعوذ الذي يحمل بين يديه
جثمان الفتاة. يحمله في صمت قاتل وملاح "حرير" تتشكل
أمامه، جسدها يقترب.. خطواتها الحافية تتوجه نحو نهاية
المسار.

"حرير" ملفوف في قماط يسقط حين ينطلق السهم.

"حرير" "حرير"

سيتبدد القيد قريباً.

صرخت "نهاية" بوجع رافض لما يحدث و"بداية"
تجزها، "بداية" التي أدركت كل شيء ومع هذا نفذت،
"بداية" التي لقنتها المعرفة معنى الهاوية وكيف لن يكتمل



الصعود سوى بالسقوط فيها.. يودوس يجب أن تتحرر.

نظرت "قلب" نحو أختها الكبرى بحزن والمعنى واضح،
هي كانت تعلم.. هي شاركت في الإثم! نظرت نحو
جبارها نظرة لن ينساها طيلة عمره، نظرة خذلان، وجع،
كراهية، غضب مكسور جرحها وجرحه.. همست قُرب
أذنه وهي تقترب وهو يقترب:

- أتمنى أن تموت يا "جبار".. أن نتعفن في حفرة.

بملاح أشبه بمعاناة قائمة ردّ بخشونة:

- انتهى دورك يا "قلب".. ارحلي الآن، لا أودُّ أن يعلق
المشهد القادم بذاكرتك.

سخرت بحة باكية:

- حقًا! لقد تعلق بذاكرتي المشهد بجدارة لا تقلق.

كزّ على أسنانه وقال بيأس:

- أكرهك أيضًا.. ارحلي، لا شأن لك بالقادم.

التمعت عيناها بظلمة قاسية:

- لم يعد قرارك.. أنت بالنسبة إليّ ميت.

استدارت، رمقت المشهد المهيب بفراغ، الجثة الممددة
بلا حول ولا قوة والفضل لها.. أختها المقتولة والفضل لها.
هنيئًا لك أيتها "القلب" بالوجع.. بالعيش بسهم في قلبك
طيلة عمرك. فالقائد استغل حماقة المحارب!



امتطت حصانها، دقت نبوءة "حرير" في عمق قلبها والآن

تفهم.

"ستغادرين يودوس".

وها هي تنفي نفسها وسترحل.. ترحل عن يودوس
الأرض.. ويودوس أختها التي لتوها قتلتها.

كومة من الريح الباردة ضربت وجهها، حافر حصانها
هرس الأرض، وقلب أختها الميت حوّل قلبها إلى قلب
مسحوق.

"قلب النبال"

"حرير" "حرير"

صوت مرّ مثل الصدى، هتاف متعدد مزين باليقين.

هي لك.. قدرك.. هي منك وأنت منها. قدرك أن تبحث
عنها.. قدرك الصمت حتى تجتمع الظلال.. صمتك الأصل
وضجيج أخيك له زوال.. اقبل قدرك يا حبيبي.. اقبل
سطوتك.. جبروتك.

من منبع الضوء، أصل الحجر.. كانت وله ستكون

صوت مثل القاع، كئيب مظلم، نالت "حرير" ملامحها
وصوتها ما زال مثل رائحة جثة:

- آسفة يا حبيبي..



بكت "حرير"، كانت أمامه، تواجهه عند الجهة الأخرى
من البئر، مدت يدها كي تلامس وجنته فابتعد، اشتدت
قبضته على حبيته التي يحملها، و"حرير" تحته في حُزن.

- اتركها يا بني، افعل ما عليك فعله.

هدر بعنف، صرخة وحش مطعون، لم يقدر لسانه على
نطق الأحرف.

- إذن سيكون موتها هباء.

اقتحم صوت "ثا" الفراغ بينهما، جسدها يظهر من
منتصف البئر، تسحق بقبضتها آخر حجر قر أعطاه إياها،
تنثره على حافة البئر ويرتفع جسدها حتى تقف جوار
"حرير" بشكل موازٍ وقد التمت عيناها بقسوة فبدت مثل
بلور متجمد.. أمرته بصرامة شرسة:

- افعلها.

لهث رافضاً، والتماع عينيه هو جمر، حريق تام.

- يودوس يجب أن تتحرر

تكررها "ثا".. تكررها "حرير".. معاً بصوت واحد.

- فرصتك لتحرير الجميع وصدقني تحرير نفسك.

رسم الغضب نصف منحنى فوق ملامحه والحزن النصف
الآخر، تشكل صنم حجري مثل قلبه.. تشكل المسخ من
جديد، صرخ بعنف.. جمر خلفه تناوله الكارسو و"حرير"



تواجه البئر في سعادة مستعدة للموت! ارتعش فكه، صارع
غضبه حزنه وشهقت ظلالة في لحظات مقاومة أخيرة.
قسماته شكلها الوجع والعجز ويده تخلت أخيراً عنها
فمدتها على حافة البئر وابتعد.

ها هو.. في لحظة المظلمة

ها أنت في لحظتك المظلمة.

سكوووون

زحف الظلام نحوك.. زاحمك.. استولى عليك.. أقام
على شرف روحك مآذبة.

هنا إلى الأبد سترقد روحك.. ويستيقظ الخراب

نبضك سيعود.. هائج مثل قرع طبول، قوتك ستحصد
الرؤوس.. سيهرب منك الأحياء والموتى!

زحف الظلام نحوك.. بددك.. شتتك.. كسرك..
هرسك في الهاوية ثم وضعك على عرش القسوة.

زحف الظلام نحوك، مارس عليك الأعباء، وانتصر
وانتصرت!

زحف الظلام بثقله البارد، لا تتأمل.. تحتاج إلى قانون
المستنقع

لا تثق بقوة تتجاهل المخالب، لا ترتجل.. قدرك الكارسو
عيناه بلون دم قانٍ، خطواته تغوص في الأرض من



ثقلها، سيقطع أسوأ رحلة في تاريخه، سبع خطوات نحو
جسدها الممدد على حافة البئر. سبع خطوات إلى جحيم لا
بدَّ منه.

زحف الظلام نحوك.. شوّه قلبك.. لا يحيا!

هي منك وأنت منها.. هي لك وأنت لها..

هي حجر القمر ومكانها... يودوس!

هي عودة قلبك إلى الحياة من جديد!!

رفعت يمينه سيف آسيوس، واندمج ظلام عينيه بحمرة
الدماء القانية، ضم قبضته اليسرى حتى اخترقت مخالفه
الجلد فتساقطت الدماء. مزق نفسه قبل أن يمزقها.

يخترق السهم القلب.. يخترق السيف القلب! لحظة اللا
خيار، وكال التعويذة. قدرك أن تُخطئ وقدرك أن تدفع
الثن.

قريباً.. ملح سيقا تل ظل.

ضوء قمر يعود، وعليك أولاً بإكسير الكارسو مهما بلغت
شراسته.

صرخة "نهاية" وجع لا يصدق، انهارت "بداية" فوق
ركبتها، وسقط الحرير إلى قاع البئر بمباركة "ثا". ألقى على
وجهها نظرة أخيرة، وصارعت عبراته ظلمة عينيه.. رعشة
قائمة احتلته كله. طعن السيف القلب.. استخرجه..
أمسكه بقبضته ثم قربه من فمه، فتك به وفتك به! ومذاق



القلب له رغباً عنه.

عيناه دماء.. أنيابه قطرات دماء.. قلب من حجر، نبض
توقف مع تعويذة.. ويعود مع اكتمالها.

صوت "ثا" يرتج.

"انطق بالتعويذة.. حان وقتها الآن"

وقت قوة لا يوجد لها مثل على وجه الأرض.

أنت الخير وأنت الشر

أنت المنبؤ وأنت المنشود

أنت خادم القمر وحارس الضوء!

قلب يعود إلى الحياة وهو مقتول.. وقلب مات وهو حي!

قلبا يمنحك الحياة!

قلبا اكتمال تعويدتك

ابتسامتها تخترق ذاكرته، تذبجه مثلها تذبجه كلماته السابقة
لها.. كان يخبرها كل شيء دون أن تدرك المعنى ودون
أن يدرك هو الوجد.

"يودوس تناسب الوحوش يا جميلة". "العصفورة لا تحلق
عالياً يا جميلة.. تحتاج إلى صقر، ولكن هل تعرفين ما
المشكلة.. الصقر إن حلق بها لن يحملها فوق ظهره.. بل
بمخالبه". "صدقيني يا جميلة.. أنا أستحق الكراهية".



نال المشعوذ مصيره.. والتهم قلب يودوس!

رفعت يُمناه سيف آسيوس الملطخ بدمائها ثم سقطت
بقوة غاشمة فوق الكارسو فطعنته.. ارتج الكتاب بعنف..
تقلبت أوراقه بجنون.. الحروف غادرت، تشكلت بحضور
ناري حول المشعوذ ثم انطلقت مثل أسهم من الجحيم حتى
اخترقت صدره.

اكتملت التعويذة

خادم القمر ومالك السيف.. وريث آسيوس.

مالك الكارسو

شهدت الغابة على الحكاية، والشمس والقمر مجتمعان!

تعود يودوس.. يعود إلى القمر ضوءه.

انبثق الضوء بقوة شديدة من فتحة البئر.. شمس شامبالا
ترحب بالقمر العائد! "ثا" تحملها بين ذراعيها، تزيل عنها
معطفه وتذررها بخيوط فضية لامعة، اشتعلت نيران غريبة
بلون فضة القمر على حافة البئر الخارجية، ورفعت "ثا"
الجسد عالياً بابتسامة ظفر..

" الآن تتحرر يودوس". "الآن يعود الضوء". "سرقه
مشعوذ ويعيده آخر".

تناثر الدخان من النار الفضية فتركت أثراً أشبه بالقوس،



وتركتها "ثا" .. سقطت بهدوء مثل ورقة شجر.. وجهها الجميل يبتعد عنه.. يبتعد بلا رجعة. عيناه القاتمتان تتأملانها وهي ترحل بصمت رهيب. حكمة "ثا" القاسية امتزجت بوجعه.

- الآن حررتها وحررت نفسك.. حرر الجميع.

توحشت نظرتي، احتلها الظلام التام.. والمعنى في عينيه جاح فوق الأرض القاسية حتى كاد يحطمها.

شهدت الغابة على الحكاية.. فقد يغزل القلب بقسوة، يشككه من جديد.. قلب نابض تلك المرة.. قلب بقوة بحجم. قلب لا يبتغي سوى الظلام، فقد تركه الضوء!

اختفت البئر كما ظهرت، غادرت "ثا" بكنزها الثمين.. رمقته بنظرة غريبة غامضة ورحلت. ثم...

بدأت تعاويد الكارسو

انبثقت من جسده الظلال، ركعت له مقدمة طاعتها، ثم عادت راضخة. باتت ملكه بشكلٍ كامل الآن. ظهرت نمور تاج من العدم وتبعته، تضخمت القناطير بإشارة منه، انبثقت السيوف من تحت الأرض في مشهد بحيمي مرعب، دخان أسود ثائر يحمل نصالاً حارقة سبقته وقد تناثرت منه ضحكات شيطانية. واستيقظ عملاق المنحدر من سباته الطويل لمعركة ستكون الأقسى في تاريخ يودوس. ها هو .. يخطو بجبروت، يبدو كمسخ مهيب، صمته لحظة توحش كاسحة وثبات ملامحه بحجم تام. جيشه



يتشكل حوله، وجنية النار من خلفه تحاوط مساره بأسوار
نار عالية.

لحظة المنال قائمة، لا مكان للقلوب هنا.. القلب لتوه قد
التهم.

الإقليم

نالت زعيمة شعب المطرقة الخبر من سبعة طيور
جارحة، صبغت كتفها باللون الأحمر ورقصت وسط
دائرة من خمس نساء ثم قهقهت بصوت عالٍ مخيف:
"إنه قادم.. الموت قادم".

السرداب

أكل قوم السرداب ثمراً يابساً ثم وقفوا في سبعة صفوف
متوالية في انتظاره. وأكلت حوافر فرسي "الأرقب"
و"البارق" صخر الأرض تحتهما ومن خلفهما صفوة رجالهما
في انتظار القادم. قارب الختام وقاربت ملحمة.. الحرب
التي طال انتظارها.

أرض العرش

لا يوجد طائر تاج هنا لينقل الصورة.. شياطين الحجر
تقف خلف قائدها وبوق المعركة حفز الفيالق. وضحكت



عذراوات جورا بصوت مرعب.

بارود يبتسم بهوس أمام جيشه وترتج عيناها بارتعاشة
قائمة.. ارتعاشة حماس لقتال بحق تلك المرة.

- عوداً حميداً يا أخي!



الفصل الرابع والعشرون

أيتها الأرض الخضراء الباهرة فوق جثة.. أريد تعويذة نسيان!

حواقر حصانها تشق الأديم، تمر الأيام عليها بثقل، مرهقة بالوجع والذنب تدفعه دفعاً ليربأ أكثر تاركين تلك الأرض الملعونة. يودوس.. أي لعنة نالت هي، لعنة الأرض أم الأخت التي قتلتها. الآن هي في منأى عن البشر، حد كان ممنوعاً، غرب يودوس من جهة أرض الغابة منطقة منسية، فمن حاول الخروج اختفى في المستنقعات ولم يعد، أو تاه في البحر حتى ابتلعه "غاند". سخرية قائمة تسربت منها، أرض ملعونة بالسحر والمجهول منذ مئات الأعوام. المشعوذ هو "غاند" هو ظلاله هو الخير وهو الشر الذي اختاره "جبار" وكانت هي الوسيلة. صرخت بعنفوان، شدت لجام حصانها فركض أكثر وأكثر. مرت بأشجار الدردار الضخمة وكانت هي علامة انتهاء أرض الغابة، منطقة لم يصل إليها بشر منذ مئات الأعوام كما عرفت من الحكايات. ها هي تتحرك نحو غرب يودوس نحو المستنقع ووحوشه، هكذا سمعت وعرفت دوماً والآن كل شيء اختلف، كل ما عرفته مزيف (2)!

كانت تتحرك بين خيالاتها المظلمة ووجعها وغضبها حتى ارتطمت عيناها بما لا يتصوره بشر.. حينها فجأة



انحسر حافر حصانها في غصن ضخيم شيطاني معوج وحاد
الأطراف على الأرض فصلح الحصان بعنف من الألم
وأسقطها من فوق ظهره لتجد نفسها وسط جثث رجال
متحجرة! الكثير.. الكثير منهم.. انتفضت بفرع، تمكن
جمود الصدمة من ملامحها وتحركت بعنف وهي تزحف
على الأرض بمؤخرتها، وساقاها ترفسان سريعاً محرّكة نفسها
إلى الخلف وقد امتد المشهد أمامها بشكل مهيب كئيب.
عشرات الرجال أجسادهم متناثرة على مرمى النظر وقد
باتوا تماثيل حجرية صماء، تصلّب على وضعٍ راهبٍ، أو
وضع صارخ، أو حزم قتال لآخر لحظة، والنهر الراكد
خلفهم لا يحوي سوى التماسيح الهزيلة التي لا تجد سوى
الزواحف والذباب لتقتات عليها. تسارعت أنفاسها في تيه
ورعب، سريعاً توجهت إلى حصانها المسكين الذي كان
قد سقط عاجزاً صارخاً وكان انغرس الغصن الملعون في
ساقه فبدأ يتلوى من الألم، بيأس حاولت إنقاذه بنظرة
حزينة جريحة ووسط المعاناة ظهر صوت امرأة من العدم.

- عليكِ قتله!

رفعت عينيها نحوها بنظرة كالبرق، كانت هي تقف
أمامها، المرأة الطويلة الشقراء، راعية الجريمة التي ارتكبتها..
"ها"

تسربت كلمات "قلب" والثقل زاد فوق قلبها:

- من أنتِ؟



تابعت "ثا" قولها بهدوء مثل برودة أرض الثلج وقد أشارت إلى الخنجر المعلق في حزام خصرها وكررت بحزم متجاهلة سؤاها:

- أريحيه من معاناته.

انفجرت "قلب" بغضب صارخ:

- لا!

لم تعقب "ثا"، بل دارت نصف دائرة بخطوات ثقيلة حول "قلب" المسكينة التي تمكن منها الانهيار بكل قوته، عبراتها تنهمر بلا توقف، تُربّت جسد حصانها المسكين الذي بدأت الدماء تتدفق من ساقيه بغزارة غريبة بيد وتحمس خنجرها باليد الأخرى. "ثا" تدور دون أن تزيد حرفاً، تنظر نحوها بصلاية وكأنها تعلم أنها آجلاً أم عاجلاً ستنفذ.. قدرها القسوة.. قدرها القوة رغمًا عنها. صرخت "قلب" بكل قوتها، توغل البأس إلى قلبها واستعادت ذكريات رحلتها مع "جبار" حتى غدر السهم. وفي لحظة سريعة غازية بتوقيع موت رحيم نحرت حصانها في لحظة وعيناها ترمق الفراغ أمامها بتصلب. ظلت بعدها متجمدة للحظات كئيبة، والحصان يسلم روحه، الآن جث قتلها تزايد وتكبل عنقها بسلسلة تحولها إلى شخص آخر.

نظرت بعمق إلى الشقراء الشبيهة بالثلج المتجمد.

- ماذا تريدین؟



اقتربت "ثا" بهدوء، جلست أمامها وغمست سبابتها في
دماء الحصان ثم رفعتها لتذوقها وتابعت بحروف تشبه هذا
المذاق البأس:

- "قلب النبال"، هل تظنين أن دورك انتهى؟

- ماذا تعرفين!

- كل شيء..

بيأس تقطعت أنفاس "قلب":

- لا أكثرث.. اذهبي من هنا مع أغازك لقد اكتفيتُ.

- الحرب لا تكتفي.

قالتها "ثا" بصوت ثقيل جداً، التمعت عيناها بوهج مخيف
ثم فجأة صاحت بنبرة خاصة غريبة، مثل الدندنة أو
بالأحرى لحن ثابت مميز. بعدها ظهرت عدة نساء يشبهونها
نوعاً ما على أحصنتهم، جميعهن شقراوات ولكن أقصر
منها طولاً، لم يكن عددهم كبيراً، كانوا ثلاثين محاربة
جميعهن يمتلكن أقواساً فضية ضخمة. نظرت نحوهم
"قلب" بته وحيرة ودموعها لم تجف بعد، في حين شكّل
المحاربات دائرة كاملة حولها وارتجت نبرة "ثا" وهي
تقترب منها أكثر فقالت بهمسٍ شبيه بحشرة التعاويذ:

- لا نمتلك الوقت.

شبهت "قلب" وهي تستشعر يد "ثا" اليمنى الباردة مثل ثلج
ميت وقد أحاطت بجبهتها، في حين أسندت يدها اليسرى



التي بدا ملمسها حارقاً رأسها من الخلف.

وهنا.. حدث ما لا تفهمه. يا لها من أرض سحر لعينة.
كل شيء يتتابع أمامها في مرور سريع، يُحَفِّر في عقلها
وتستوعبه.. أرض شامبالا، تعاويد "حرير"، رحلة "البارود"
والمشعوذ.. سر "ضوء القمر".. مشهد السهم. انتفضت
لاهثة متراجعة إلى الخلف:

- ما هذا!

قالت "ثا" بصوت عميق:

- الآن تعرفين كل شيء..

ثم أردفت وعيناها تدور في العزلة القائمة المحيطة بهم:

- كانت هذه الأرض ممنوعة علينا أيضاً والآن كل شيء

اختلف بعودة الكارسو(3).

رفعت ببأس الغبار المتساقط من التماثيل الحجرية ثم نثرته
في وجه "قلب" بعد أن نفخت فيه فارتجفت "قلب" بروى
أخرى.. روى من المستقبل.

عذراوات مخيفات الأعين تحيط بجيش الصفوة، حصار
انتقامي قائم، جنود "جبار" تتساقط، تتحجر أمام عينيه في
حين يقاتل هو بعنف ويأس. يسقط.. يسقط دفاعاً عن
جيشه.

- لا!



شهقت بفرع، جحظت عيناها بلا تصديق، وعينا "ثا" تبرق
بصرامة:

- هم لا يعلمون بعد ما ينتظرهم.

ثم وضعت يدها بجزم فوق قلبها:

- سهمك اخترق القلب، القدر وهبك القوة يا "قلب
النبال"، استفيقي دورك لم ينته بعد.

قالت "ثا" عبارتها وهي تسحب "قلب" لتستقيم، تحركها
في اتجاه المحاربات، تحرك سبابتها فيخرج ضوء مثل سهم
ثم يظهر حصان نخم قوي بني اللون من بين الأشجار يقف
أمامها في استعداد لامتطائه.

تابعت "ثا" بعزم قوي صادح:

- أحصنة شامبالا قوتها تفوق أحصنة البشر.. الآن
الخيار خيارك.. وهؤلاء هم محارباتك، هذا قدرك يا "قلب
النبال"، لك من قوة القمر نصيب.

قالت "قلب" ساخرة بوجع:

- لأنني أختها، أم من قتلها.

ولم تفاوض "ثا":

- لأنك صاحبة السهم.

بعد وقت بدا طويلاً، لا تعلم "قلب" كم المدة التي شردتها
في هوة أفكارها.. في ملامحه، في صوته، في



عزيمته وخديعته وشكل ملامحه في معركة بأسة، وجيش العذراوات يفتسه بغلّ "البارود" وجيشه. قالت في النهاية بنبرة حازمة مبسوطة:

- أيستطيعون هزيمتهم؟

وهنا التمت عينا "ثا" بعزيمة ضوء القمر نفسه، بقوانين تبدلت حين نال المشعوذ الكارسو وعاد الحجر إلى مكانه:

- فقط معك.. معك أنتِ تستطيعون هزيمتهم.

ثم ربّثت "ثا" كتفها وهي تدفعها دفعاً نحو الفرس، نحو مصيرها الذي حدث والذي سيحدث.

- ينال القاتل من سحر المقتول رغماً عنه.

ودفعت بفرسها ليركض بأقصى سرعة بعدما امتطته، قلبها يركض بأقصى سرعة.. بأقصى سرعة من أجله.

- كيف؟ ما هذا الذي تقوله؟

احتد بها "بارق" على قائد حرس المراقبة في حين راقب "شاهق" المشهد بهدوء. كان يعلم أن أرض الإقليم مزروعة ببضعة جواسيس للبارود لا محالة. استطاع السيطرة على صفوف المحاربين وتصفيتها جيداً ولكن يبقى الشعب، أهل الإقليم. الثغرة!

عشرون شخصاً اختفوا من الإقليم، نساء.. فتيات..



عجائز.. فتيان.. أغلبهم من عائلات المحاربين الذين رفضوا التوجه إلى حدود السرداب ومكثوا جوار المحاربين لدعمهم. والآن عشرون محارباً من هؤلاء اختفى أفراد من عائلاتهم. بمعنى أوضح.. اختطفهم "البارود"!

- كيف؟

كز "بارق" على أسنانه يود أن يفتك بقائد حرس المراقبة، أمسك عنقه بيده حتى كاد يكسر عظامه، في حين لهث القائد وهو يحاول التملص من عنفوان قاتل الذئاب:

- كتيبة تماثيل المينوتور على حدود الإقليم يا سيدي، لقد حدث الأمر سريعاً وكأن بينهما اتفاق قبل أن ندرك التسلسل كانت التماثيل قد حاوطتهم.

حذق "بارق" إلى وجهه ثم قال بعنف:

- ماذا تعني؟ أنهم خونة!

هنا قال "الأرقب" بنبرة هادئة منخفضة وهو يصرف قائد الحرس:

- نصفهم.. ربما أقل أو أكثر.. لن نعرف أبداً.

- ماذا تعني يا "شاهق"؟

- أنت تعرف مثلي تماماً، الحرب ليست مواجهات قتل فقط، بل خطة.

ثم توجه "شاهق" إلى مقدمة الخيمة ليرمق على مدد البصر



المعسكر الضخم، جموع المقاتلين من أنحاء يودوس، محاربيه ومحاربي "بارق" وذوي الرؤوس الضخمة وشعب المطرقة والسرداب وكل هذا وجيش "جبار" والمشعوذ لم يصل بعد. عائلات أهل الإقليم وغيرهم ممن رفضوا الاختباء وقرروا مجاورة القتال، فتيات قررن خوض الحرب.

شعب.. جيش الإقليم احتفظ بشعبه وتلك هي الثغرة.

أما "البارود" فقتل شعبه.

استدار "شاهق" لبارق بعينين ملتفتين..

- الشعب دوماً مجازفة ولكن علينا أن نحتملها.

ثم أردف بتفسير وعيانه تمرر عمق متاهاته:

- لا تظن أن بوجود المشعوذ الانتصار مضمون بسهولة،

نحن أمام عدو شرس سيحرص على تمرير الفوضى ومن أول لحظة.

- ماذا تعني؟ ماذا سيفعل؟

- سيختار مشهد البداية، هو طاغية يحب الظهور، يحب

استفزاز عدوه.

اهتزت نبرة "بارق" في قتامة أكسبته إياها الآن أرض

الحرب:

- ما داموا خونة لا فارق.

إلا أن "شاهق" مرر الحقيقة، وجه الحروب السيئ:



- ليسوا جميعهم، هو سيدج هذا بذاك ويضحى بالجميع.
نظر نحوه "بارق" وطرح السؤال وإن كان يعرف الجواب
سلفاً، دروس الحرب القاسية:

- وماذا سنفعل نحن؟

- لا شيء... إنها الحرب دوماً لها ضحاياها.

حين تدق أجراس الحاكم ينتبه الشعب.. فقانون السلطة
واحد. والآن تدق الأجراس في أرض العرش ولكن
الشعب اختفى.. قتله الزعيم!

باتت أرض العرش أرض حرب لا تحوي سوى
مقاتليها، تماثيل المينوتور راسخة بيأس على الأرض تحتها،
وعذراوات جورا يدورن حولهم بضحكات صاخبة مخيفة.
ترك "البارود" فيلقه الرابع والخامس على أطراف المملكة
وقد توافدت جموعهم من كل فج فظهروا بعدد هائل.
ضعف القوة الظاهرة التي تعرفها يودوس. في حين استقر
جنود الفيلق الأول في استعراض طاووسي حول قصره.

دقت أجراس الحاكم والشعب سبعة صبيان! أولهم جميل
جداً يشبه القمر في كماله. أسماء "البارود" الجميل. وآخرهم
قصير أحذب لظمت أمه حين رأت وجهه فأسماء
القبيح.. أما الخمسة الباقين لم يكثر بتسميتهم. كان
مضطجعاً على عرشه وهم حوله يحاوطونه على شكل



حدوة حصان. أقدامهم حافية تحتها حصى يؤلمهم وقد
أصدر "البارود" أمرًا أن من يصدر منهم همهمة من الوجد
تنظر إليه عذراء!

- سيدي.. هناك ضيف.

قالها قائد حرسه بإعلان متردد، في حين ماجت عيناه
هو بانتباه قائم وهو يحرك سبابته بإشارة السماح للضيف
بالولوج. طبعًا لن يكون مندوبًا من الإقليم.. لن تسير
الأمر بتلك الطريقة. تلك حرب بلا مفاوضات.. فقط
نصر وهزيمة. ولم يكن من أهل الإقليم كما توقع، ولا من
يودوس كلها.

جاء من تحت الأرض.

زعيم الثمانية

شمس شامبالا تدفئ ولا تحرق.. الحريق يبغاه الثمانية.

لا توجد أرض بلا شر، مهما حاول الخير يجد الشر دومًا
فرصة. ووجد الثمانية فرصتهم. ثغرة في تعويذة.. أو كما
قالت "ثا" قديمًا وظنوا أنها تسخر.. إن المشعوذ الأول لم
يمنح الخير وحده قط، دومًا ما يقدم الخير في قصعة والشر
في أخرى.

التاريخ لا يتبدل، الشر يحاول والخير يحاول والبقاء
للأقوى.



ممنوعة عليهم الغابة.. ممنوعة عليهم أرض البشر.

"تعويذة المشعوذ الأول" وكانت غير مكتملة.

حتى يعود القمر.

التمت عينا "البارود" بانتشاء حيوان ليلي، وأقامت الاحتفال في صدره عشيرة وحوش. التوت شفتاه بقسوة راضية:

- هذا المشعوذ الأول لا يتوقف عن إبهاري أبداً.

ابتسم الزعيم بحزم ثم تجولت نظراته في أنحاء قاعة العرش، الزخرفة النارية في الجدران، كرسي عرش "البارود" الذي بدا لونه مثل الجمر والأعمدة الضخمة المذهبة.

قال ساخراً:

- يبدو أنك تأثرت بالكثير منا في النهاية.

- هل نسيت؟! أنا واحد منكم.. أم إنك استبدلتني يا زعيم!

- كي أستبدلك يجب أن أقتلك.

قالها الزعيم بصرامة دقيقة، تفحص كل منهما الآخر في حذر فهي في النهاية مفاوضة شر وشر.. واحد يريد السطوة، فرصة الثمانية من جديد بعد أن منح اكتمال القمر لـ"ثا" كل الفرص وآخر يريد كل شيء..



عقد "البارود" حاجبيه ثم قال بابتسامة كالمقصلة:

- ألم تخبرك العصفورة أنني لا أموت.

ضحك الزعيم، رمقه بإعجاب ثم نفح كلماته مثل أفعى:

- ربما للمشعوذ رأي آخر.

هنا تعاظمت الظلمات داخله، وصلت إلى الذروة.. زعق بصوت أمر يفهمه فقط تابعوه فبدأت العذراوات في الصراخ بعنف مرعب في حين ضربت تماثيل المينوتور الأرض بأقدامها حتى دب الفزع في قلوب الجميع. راقب زعيم الثمانية كل ما يحدث بنظرة مثل الزئبق دون تعقيب.. حتى تنهد هو.. وكأنما ارتاح! ابتسم بتعبير سام وهو يشير لصراخ العذراوات.

- موسيقي المفضلة.

ثم التمت عينا بتحدٍ ملهحاً لأخيه وقال ساخرًا:

- إذا استطاع قتلي أستطيع قتله.. هل غير الكارسو قواعد اللعبة!

بدت عينا الزعيم متقدة حارقة وهو يتم الحقيقة:

- تعاويد الكارسو لا تُكسر.. يجب هزيمتها بتعويذة جديدة.

- لديه مهمة صعبة إذن.. لقد أخذت كل التماثيل.

قالها "البارود" باستمتاع هازئ.. إلا أنه بعدها بتره بنظرة



مفعمة بالظلام والجشع.

- دعنا من الكارسو وخطط أخي الآن.. لتتحدث عنك.
لم أنت هنا؟

- الحرب.

- الحرب؟! هل اتخذت قرارك بالانضمام إلى العدو
الخاسر.

قالها "البارود" هازئاً من جديد، هو العدو الخاسر كما
يدعون.. يصدقون رقوق ساحرة خبيثة.. تاريخ بديل لتاريخ
كان أكثر إبداعاً. ويتناسون أنهم بالنسبة إليه عدو مثالي.
مجموعات متفرقة تعلمت أن تقاتل مع بعضها منذ بضعة أيام
فقط. وممسوس بقوة هائلة لن يجيد استخدامها. لا يمتلك
الجرأة.

بنبرة مثل العتمة قال الزعيم موافقاً:

- مثلها أعطى الخير فرصة أعطى الشر (كان يقصد
المشعوذ الأول).

قالها ثم تحركت خطواته تاركاً القاعة. كاد الحرس
يمنعونه ولكن "البارود" أشار لهم بهدوء ألا يفعلوا، تبعه
وخلفه حرسه.. حتى خرج الزعيم إلى الساحة التي توجد
فيها تماثيل المينوتور، التمعت عيناه بشكل مخيف حتى إن
الحراس أجزموا أنهم رأوا شمساً متوهجة داخلها. ثم أشار
لتابعيه الستة كي يلتفوا جميعاً حول التماثيل وبعدها حركوا



أيديهم فاشتعلت نار عالية ضخمة مخيفة على شكل دائرة
محاصرة التماثيل داخلها. نار بدت مثل الهول، باطنها حريق
جامح وسطحها بارد مباح للبشر اختراقه.. من يدخل
الدائرة لا يخرج، وهو للتماثيل لتفتك به.

هدية للبشر.. وللظلال!

رمق "البارود" المشهد بانتشاء في حين التمتع عينا الزعيم
بوهج الشمس.

- أخبرتك.. الشر دوماً يمتلك فرصة.

جاءت الظلال!

انتفض الإقليم، خرج الجميع في لهفة البحث عن الشر
العظيم!

المجهول الذي لم يعرفه قط.

المشعوذ

ظهرت بحافل الخيول بركض عنيف ألهب القلوب،
جيش الصفوة خلفهم في حضور أسطوري وأمامهم من
أصبح للجميع الآن بطل شعبي.

"جبار"

وبعدها ظهر للعامة الجيش الذي طالما انتظروه وخافوا

منه.



جيش المشعوذ

خيل إليهم أن الأرض اهتزت من تحتهم، تملكتم الرهبة والرعب مع النصال التي شقت الأرض شقاً، سدوا آذانهم مع صراخ القناطير وزججرة نور تاج، والعملاق من الأساطير يقف بعيداً عنهم رحمة بهم كي لا يدوسهم، ومن خلفه دخان أسود "ثائر" مدمج بالنصال. تصلبت حناجرهم وهم يراقبون الجحيم التام. بحظت عيونهم بحثاً عنه، ولكن ظلاله هي من ظهرت.. المستدئب من على اليسار وقد بدت أنيابه الضخمة قادرة على نحر عشرة رجال في وقت واحد، ومن اليمين كانت زججرة الوحش مرعبة مثل رعد مرتج. ظل العقاب فوق الجميع وقد أدركوا أنه أكثر ضخامة مما تصوروا يوماً. وحين حط الكائن الضخم بمخالبه على الأرض فرد جناحيه فترجلت عنه ثلاث نساء.

"بداية" و"نهاية" والجنية "جمر".

ولكنه لم يكن حاضراً.

من تهافت الجميع لرؤيته حقاً.

لا هو ولا ظله الرابع.

تائهة.. متحجرة النظرة، قلبها مقيد بسلاسل الحزن. كانت هكذا طوال الطريق من الغابة حتى حدود الإقليم، وحين اقتربوا اختفى المشعوذ بعدما أمر "جمر" أن تأخذها



هي و"بداية" ليكمن رحلتهم فوق ظهر العقاب. يا لها من مفارقة.. رحلت على ظهره وتعود عليه والفارق في قلبها حزن بحجم بحر "غاند". حين أنزلهنَّ العقاب وقفت بتيه ترمق الغبار وجموع البشر الناظرة نحوهم، عيناها كانت تبحث عنه هو.. هو وحده، تريد أن تسند رأسها فوق صدره وتبكي، أن تختبي بين ذراعيه كي تنسى الماضي والحاضر وربما المستقبل. تنال فقط لحظة فراغ هادئة بين ذراعيه.

لا تراه.. جموع البشر تهلل مع رؤية الظلال و"بارق" ظهر من العدم ليختطف "بداية" من جوارها ساحقاً جسدها في عناق لا يبالي، و"جمر" تخطتها نحو بضعة حراس قادوها لخيمة "الأرقب" كما قالوا..

ترنحت مرتين..

مرة حين ذكرت سيرته دون ظهوره، وقبلها حين صدمها "بارق" بكتفه دون قصد وهو يركض لاهثاً نحو زوجته. ضمت قبضتها فوق صدرها واغرورقت عيناها بالعبرات وهي تدور حول نفسها بحثاً عنه من جديد دون جدوى، حتى اقترب منها ثلاث نساء.. محاربات بملابس تشبه خاصة الرجال، وهذا شيء لم تعتده في الإقليم، حاوطوها بصرامة حتى اختفى جسدها الصغير بينهنَّ ثم قالت أقواهنَّ بنبرة صارمة.

- سنوصلك إلى خيمتك يا سيدة "نهاية".. القائد سيحضر



بعد قليل.

- أين هو؟

راقبت الجنية "الأرقب" بإعجاب، ثم نظرت بمناورة نحو
صلابة عينيه المستحيل سبر أغوارها.

- سيحضر.. في الوقت الذي يختاره.

احتدت نبرة "شاهق" برفض:

- لم يكن هذا اتفاقنا.

تأملت قسماته الحادة ثم كررت بحروف بطيئة حاسمة،
وهي تستند برسغيها إلى حافة الطاولة المخصصة لخطط
الحرب..

- سيحضر في الوقت الذي يختاره.

تهادت بعدها وهي ترقب الجموع الثائرة من فتحة الخيمة:

- ربما مع ضوء القمر وعواء الذئاب، هو لا يحب البشر
كثيراً.

- تصنفيه كمسخ؟

- مسخ تحتاج إليه.. أليست تلك عبارتك الشهيرة.

بدا أنها تعرف عنه أكثر مما يظن، لقد درسهم المشعوذ
جميعاً، حفظهم في قصره الكئيب. بدت عيناه السوداوان
حاسمتان وهو يتابع:



- لا يوجد لديّ وقت للتلاعب بالألفاظ يا...

همست بابتسامة متلاعب:

- "جمر" .. احفظه جيداً، لا تستهن بي يا ابن "الأرقب"
فأنا أملك قوى باهرة.

ابتسم ساخراً ثم قال مطوقاً تلاعبها بالحكمة:

- أخبرني سيدك أنني في انتظاره.

ابتسمت بغرور طاووس وطاعة عمياء لمشعوذها.. تابع
خلف متبوع، وولاء لا يختلف عن ولاء محاربيه. بل
رسالة.. جيش المشعوذ القاتل ولاؤه فقط إليه، في الخير
والشر سواء.

- الجميع في انتظاره حتى "البارود" نفسه.

الخيمة لها دفء خاص، مرتبة بوسائد أرجوانية محشوة
بالريش ومقعد كبير بقوائم معدنية مستطيلة عرفت أنه
يخصه، فقد كانت أحد دروعه المنقوشة باسمه مستندة
خلفه. من الخارج تسرب ضوء خفيف مرر حرارة
الشمس البرتقالية وبعد أن استوعبت المكان بمدة قليلة
فُتحت الخيمة من جديد لتظهر المحاربات الثلاث وقد
وضعت صينية مستديرة عليها كمية وافرة من الفاكهة
واللحم. وضعنها ثم خرجن مجدداً دون تمرير كلمات زائدة،
موقع تلك الخيمة متطرف نوعاً ما، ليست في "قلب"



المعسكر مثل خيمته الأخرى التي يجتمع فيها بالقادة. كانت الرجفة ما زالت متمكنة من جسدها، ذكرى ما حدث تحيط بها وتوجعها، يلتهم الحزن قلبها، وجهها امتقع مع تكرار المشهد في ذاكرتها، دقائق قلبها تسارعت وبدأ صدرها يعلو ويهبط، شعور بالحسرة استبد بها، اقترسها.. كل هذا وهو غير موجود.. غير حاضر بلهفة باحثاً عنها. بعد خليط أفكار فتك برأسها فقدت الإحساس بالوقت ومال رأسها على حافة الفراش وهي ترمق غطاء الخيمة الثقيل الذي كان يتحرك أحياناً، فيخيل إليها أنه سيدخل حتى يستقر الغطاء من جديد دون حراك. حل الصمت لوهلة وكادت تنعس عيناها من التعب حتى سمعت صوت وقع أقدام متحفزة وبعدها قدمت السيوف ما يشبه التحية الحربية وما كادت تستقيم بانتباه حتى وجدته وقد دخل بسرعة البرق وجذبها على الفور في دوامة عناق. دار العالم، سقط ألف مرة أم هي من سقطت.

كان يسحقها بين ذراعيه، أصابعه تترك علامات فوق جسدها وشفته تحطمان شفيتها في اشتياق جامح. كانت تحاول أن تأخذ أنفاسها، تعبر عن اشتياقها بالكلمات أو التثبث، في حين قيد هو ذراعيها خلفها ليسقط بها على الفراش. دفنت نفسها في صدره بعدما انتهى مثل عصفورة صغيرة، في حين لم تركها ذراعاه، كان يحاوطها مثل قيد حماية. لم يكن من المباح أبداً أن يكون لقاءه معها وسط محاربه.. كان حتماً سيفقد وقاره.



ارتجفت وحروفها تجد الطريق من بين شفيتها أخيراً:

- لا تتركني أبداً.. لا أتركك أبداً.

أدار وجهها نحوه واحتجزها في عمق عينيه:

- أعلم أن ما حدث فوق طاقتك.

هنا اغرورقت عيناها بطوفان دموع، التصقت به وقد
شعر بارتجافها وهي تتذكر، تستعيد مشهداً قاسياً عليها،
لو كان هناك لما سمح برؤيتها هذا المشهد أبداً. أزاح
خصلات شعرها الناعم التي سقطت فوق وجهها ثم
همس بصوت أجش:

- ولكنك "نهاية الأرقب"، أنتِ من روضتِ السيف.

وعقد حاجبها متابعا:

- لا تستهيني بتلك القوة أبداً.

ثم مرر أصابعه الخشنة على وجنتها التي لها ملمس أوراق
الورد وقال بحزم مقصود:

- قوة بنات "ضوء القمر".

كادت تبكي مجدداً ولكنها حبست دموعها، أغمضت
عينها تاركة شفيتها له في لحظات متعاقبة من الحرب
والسلام بينهما وقد امتزجت بكل روحها به.. غارقة فيه
وهاربة من ظلام الحرب القادم.



هل شعر بنفسه، لا..

ركض.. ركض وكفى.. هرسها بين ذراعيه، أنفاسه
المتبهة حاوطة وجهها كله وتوحشت قبلاته بعشوائية لما
طاله من ملامحها.. لم يكثر، كانت بين ذراعيه أمام
الجميع. لهث بغضب بعدما هدأت ثورته قليلاً ثم أسند
جبهته فوق جبهتها قائلاً باحترق:

- قتلتني يا "بداية".

رمى ملامحها فوجد أن امرأته قد تغيرت، حل الجمود
محل المرح، وتمكنت قسوة غريبة من ملامحها. حملها بين
ذراعيه مبتعداً بها عن الجميع، رفضت الدخول إلى الخيمة،
بل طلبت أن يأخذها إلى الفراغ، إلى نسمات هواء حرة
بعيدة عن الجميع. لبي طلبها على الفور بعد أن وضعها أمامه
على حصانه، كانت أنفاسه تحرق عنقها الناعم وقلقه عليها
يحرقه من الداخل. حين وصلا إلى بقعة مناسبة وجدها
وقد نظرت إلى الأفق ببأس بعد أن ترجلت من على
الحصان وقالت بصوت به عزم كئيب:

- بعد أيام ستمتلي تلك الأرض بالقتلى.. إنها ضريبة
الحرب.

قال بخشونة:

- تغيرت يا "بداية"، شيء حدث في تلك الأرض الملعونة
بدلك.



- كان عليّ هذا.

قالتها وقد كاد يتمكن الدمع من عينيها.. مررت باطن
كفها فوق قسوة وجنته وتابعت:

- لقد استنفذت كل قواي يا "بارق"، لا تكسرنني!

نال ملامحها في نظرة طويلة وكأنما يتشبع منها من جديد:

- ما هذا الذي تقولينه؟

تحشرجت أنفاسها والضعف الآن مباح فقط أمامه، بل
يظهر معه.. يستند إليه:

- لن أحتمل فقدانك، لا تسمح لقاتل الذئاب بالتهور في
المعركة.

- قاتل المينوتور يا "بداية".

حزمه عنيد، حزم محارب جسور.. شجاعة تُحترم ومجازفة
كبرى. من مثل "بارق" في المعارك دوماً على خط النار.
رفعت ذراعيها وتشبثت به، عانقته بكل قوتها وعانقها هو
بعنف الاشتياق. أغمضت عينيها ثم شبت فوق أصابع
قدميها لتطال أذنه قدر إمكانها وتابعت بهمسٍ واضح:

- لا تعد من أجلي فقط.

وبعدها أشارت إلى بطنها، فهم "الراعي" المعنى.. دق
قلبه بعنف أكبر، حاوط رأسها بحنان ثم قال بعزيمة قائد
تلك المرة.



- هذا سبب أدعى لأبذل كل ما في وسعي كي لا ينتصر الطاغية.

ثم التمت عيناه بفخر، الآن يتضح كل شيء... الآن يفهم سبب ذهابها إلى قصر المشعوذ.

- أنتِ بذلتِ ما في وسعكِ.

وحاوط رأسها الصغير بكفوفه الضخمة بيقين ودعم:

- كنتِ نقطة ضعفي يا "بداية" وهأنا نقطة ضعفك.

ثم أشار إلى بطنها الصغير الذي يحمل نسله.

- وهنا قوتنا.

وبعدها كرر بحزم محارب:

- لن يأتي إلى عالم حاكمه "البارود".

بدا صوته مثل رجة احتلت حواسها كلها، تشنجت رغماً عنه، المعركة القادمة قاسية وكلا المسخين قادر الآن على حرق الأخضر واليابس وهم في المنتصف. تذكرت المشعوذ وما حدث، نالت من قلبها رجة. تجمدت ملاحظها ومشهد موت يودوس يعود إلى عينيها من جديد.. لم ترمش حتى، كانت صورة مجسدة للبأس. عادت لتكرار العبارة نفسها بعزيمتها القائمة:

- ستمتلي تلك الأرض بالجنث وأنا أسهمت في حدوث

هذا.



ملاحه خندق عميق لم يصل أحد أبداً إلى دواخله.

بنظرة تشبه الهجر رمق "جبار" الفراغ أمامه في حين كان قوم المطرقة قد تسابقوا للملئ حوض مياه ساخنة من أجل أن يغرق فيه جسده بعد رحلة سفره. فتى صغير يمسك بإسفنجة مغموسة في طحالب ويفرك بها ظهره، في حين تظهر زعيمة شعب المطرقة وتدس في فمه عشب داوي..
تبتسم في حكمة:

- الجبار حزين.

غامت نظرتة وقال بجمود:

- لا نمتلك الوقت للحنن.

صاغت حروفها ببطء وهي تربت فوق كتفه:

- تستحق الوقت الكافي.

لم تعد "القلب" معه، هذا هو السؤال الذي سيكتمه الجميع. لن يتطرق له أحد ولن يذكره أمامه.. بأسه الآن قانون معركة. قانون جيش الصفوة.. كان قد انتهى لتوه وارتدى ملابسه حين حضرت "رام" بحماس المحاربين تلهث وتحادثه بتقدير:

- حضرة القائد.. لقد طلب رجال الخندق من الصفوة

استعراض مهارتهم القتالية.



- لا بأس.. افعلوا.

- ولكن.. يريدونك سيدي.. الصفوة تريد استعراض القتال أمامك أنت.. لا يكثرثون بإبهار أحد آخر.

هكذا عليهم.. هكذا دربهم.. الصفوة لا تقاتل لحب الظهور ولا يبالون بالاستعراض أمام جيوش أو عامة. ولاؤهم إلى قائدهم.. حماسهم للحق والخير والفيلق الخاص بهم. احتلت عيناه ابتسامة خاصة وتبع "رام" ليصدق المعسكر بصيحات قتالية منظمة مع حضوره، الأرض ارتجت، وانتبه الجميع بلهفة لرؤية هذا الفيلق العظيم. حركاتهم منظمة مثل السحر، سيوفهم وكأنها ممسوسة بتعويدة واحدة فكانت حركاتهم القتالية متوازية بشكل باهر. أصواتهم مثل الرعد والتقاء فولاذ سيوفهم مثل برق جاح. كان الجميع ينظر نحوهم بتقدير وإعجاب وخاصة له، صاحب الفضل في وجود مقاتلين مثلهم. بدأ قائد حرس الخندق في ضرب كفوفه في تصفيق داعم ثم تبعه الجميع.. جميع المحاربين التفوا حولهم فيما يشبه حلقات متتالية وتبعوا رجال الخندق في تصفيق حار. أطلّ الحماس من الأعين جميعاً واجتاحهم الحماس غير عابئين لا بتماثيل المينوتور ولا بالجيش السري الذي لا يعرفونه بعد.

ستنغرس النصال في اللحم والحجر.. سينتصر الإقليم حتماً على الطاغية

مدد محاربو "بارق الراعي" عدة أغنام على الأرض ثم



بدأوا في نحرها في وقت واحد إعداداً لوليمة ضخمة تكفي الجيوش جميعاً، وهلت النساء بسعادة مستقبلة جموع المحاربين وأعدوا اللحم والحساء للجميع. ابتسمت "رام" برضا وهي تشعر أن ما انتظروه لسنوات اقترب. حلم "جبار" الذي قدم من أجله كل ما يستطيع وحلمهم معه، حين رفعت عينيها لاحظت انتباه قائد حرس الخندق لها، شاركها الطعام، وتطلع نحوها بإعجاب واضح.. سخرت وهو يناولها الفاكهة المجففة واللحم حين تجاوزا في نهاية اليوم أمام شاة تُشوى.

- تلك حكاية قد تنتهي من قبل أن تبدأ.

راقبها بصمت في البداية ثم قال بحنكة محارب أعجبه امرأة:

- من الممكن أن نبدأ الآن أو ننتظر.. الأمر منوط بك، ولكن أنا رجل يثق بانتصاراته.

رمقته بإعجاب ثم قالت بقوة محاربة من الصفوة:

- إذن بعد النصر لنا لقاء.. فقد علمنا القائد ألا نتشتت قبل المعركة.

وناوشته بنظرة ثم استقامت، وسط معسكرات القتال ينمو كل شيء، المعرفة، الكرامة، الشجاعة، والحب. وراقب "جبار" السماء من بعيد.. فكر فيها بصمت وتمنى ساخراً لو تستطيع عيناه اجتياز المسافات لرؤيتها من جديد، كزَّ على أسنانه بقسوة ثم هم ليستدير عائداً إلى خيمته.



وهنا رآه..

مثل ظل قائم يقترب قادماً من أحراش الظلام. عقابه يطير فوقه، وضوء القمر يمرر الجناحين مثل ظل ضخم. خطواته هادئة لا تكثر بضجيج البشر وسطوة عينيه جحيم الكارسو نفسه. تبعه "جبار" في صمت شاخ، في حين ظهرت "جمر" بطلّة نارية وقد حركت إصبعها فرسمت في السماء اسمه ليراه الجميع.

ها هو قد حضر.. مالك الكارسو ووريث آسيوس ومالك السيف والمجهول الذي طالما بحثوا عنه.

لم تسمح حلقة النيران التي أحاطت بها "جمر" خيمته باقتراب إلا من سمحوا له. وكانوا طبعاً القادة الثلاث. "الراعي" و"الأرقب" و"جبار الصفوة". وقف الجميع متلهفين من بعيد، ودقات قلوبهم واضحة في أعينهم. الحرب اقتربت، "البارود" قريباً سيتحرك بجيشه وتمائله متحفزة في انتظاره. في البداية ظنوا أن النصر جنون وأن كل هذا القتال هراء حتى رأوا جيش المشعوذ. مشهد القناطير النارية أهب قلوبهم، الظلال جمدهم.. جحيم السحر انخارق أفزع قلوبهم.

وهو..

لم يكن يشبه الصورة التي عرفوها عنه قط، ولا يشبه



"البارود" .. الغريب أنه يبدو نصفه المظلم، و"البارود"
الشمس المشرقة!

- المشعوذ.. ملك الظلال، مالك السيف ووريث
آسيوس وخادم القمر.

قالتها "جمر" بصوت جهوري محادثة الجموع، ما مررته
عرفه بعضهم فعلاً وها هي تنطق التأكيد، يعرف شعب
يودوس الآن أن اسمها في الأصل آسيوس. أن هذا هو
الملك الشرعي وأن "البارود" أخوه ملك معتصب أفنى
شعباً كاملاً. أغلقت الخيمة وتهليلاتهم تنابع في صخب.
عيونهم مدموجة بالرغبة واللهفة، وقلوبهم تتعلق بهذا
الغامض القوي. انفعال خشن ظهر على ملامحه قبل أن
يمدد جسده على أريكة خشبية ويشير بسبابه آمرة:

- ليصمتوا!!

نظر "بارق" نحوه باستنكار، في حين ظلت ملاح "شاهق"
ثابتة دون أن تفسر دواخله، ولكن كليهما لم يتحرك
بخطوة. "جبار" هو من فعلها بعد أن رمق معلمه بنظرة
خاصة، نظرة تفهم الوجع المتخبط في الظلمة داخله..
خرج "جبار" من الخيمة وأشار للجموع بنظرة حاسمة
واحدة فصمت بعدها الجميع. حين عاد التلميذ التقطه المعلم
بنظرة ما زالت مدججة بالغضب، ثم عاد ليسند رأسه وقد
تلون على شفثيه انفعال جامد بلا حياة. أشار بعدها للجنية
مجدداً ففهمت مقصده ودعتهم للالتفاف حول الطاولة



الخشبية الضخمة وبعدها بدأت تحفر بالنار عليها خريطة يودوس.. خريطة مشتعلة بأكلها. اجتمعوا حولها وحينها انتصب هو بشموخ فوق على رأس الخريطة وحرك سيفه فشقها نصفين! أرض العرش في جهة وباقي يودوس كلها في جهة أخرى، فورة انتباه قائمة أصابتهم جميعاً، في حين كثر هو بصوت خشن بدا وكأنه قادم من أعماق بحر "غاند" وهو يشير إلى جهة أرض العرش:

- لن نبقى منهم أحداً.. تلك حرب بلا أسرى.

امتزجت نظرة "شاهق" المتحفزة ضده بالرضا، هذا شيء لم يكن ينتويه من البداية، تلك حرب قاسية بلا رحمة ستسير على نهج "البارود".. فريق فائز وفريق سيفنى كله.. يختفي من الوجود. كل هارب من المعركة هو منتقم ثائر محتمل. بعدها بدأ سيف المشعوز يمرر تعليماته على الجزء الباقي من الخريطة، "جمر" بأمره تحرق هنا وهناك فتعبر عن وضعية المحاربين وأدوارهم. كل شيء... كل تفصيله ولكن ما يخصهم هم، لم يلقِ بكل ما في جعبة الكارسو. "جبار" شارك بخبرته و"بارق" بعزيمته، في حين وضع "شاهق" حكمة متاهاته.. حين وصلوا إلى معلومة اختفاء عشرين فرداً من سكان الإقليم وضح "بارق" بيأس حائق:

- ربما سيبدأ المختل الأمر بمفاوضة.

- لا..

قالها المشعوز بنبرة فولاذية ثم غامت عيناه بقسوة متابعاً:



- إنه يريد الحرب.. وسيدأها بمشهد من صنعه.

بعدها بجمود تام بدأ يوضح لهم ما سيفعله "البارود" تماماً
وما سيفعلونه هم.. صمت "شاهق" وقد ناسب ما قاله
حدسه، في حين رفض "بارق" بحدة صخرية:

- كيف؟ كيف؟ وعائلاتهم.

تقلصت ملامح وجه المشعوز ثم ابتعد عن الطاولة
وأعطاهم ظهره. عاد للالتقاء على الأريكة مغمضاً عينيه
وإن بقيت على وجهه شراسة متصلبة:

- لو رفضوا اقتلوهم!

بأس المسخ حاضر، وهذا الشر هم من استدعوه
بأنفسهم. في الحرب لتنتصر عليك أن تقا تل كما تحد أنت،
لا كما يجبرك عدوك!

- هو أجن من خلق وحوشه الخاصة.

مرر "البارود" ابتسامته مثل حديد صديء، في حين
كانت كلماته التي تقصد أخاه تتساقط فوق دودة قز!
أسمها "حرير". وقرر أن يقتلها حين تتحول إلى فراشة. أسند
رأسه وقد تلونت نظرتة بالقسوة.. هو يعرف أخاه جيداً،
لن يلقي بتعويدة لخلق وحوش قاتلة جديدة.. لن يمنح
سطوة جبارة للقناطير ولا البشر ولا حتى ظلاله. فهو في
النهاية صنيعة "نا". من لم تستطع "حرير" اللجوء إليه لتحطيم



آسيوس.

مال رأسه وابتسم بوحشية محادثاً الدودة:

- ربما يا أمي هو لا يستحق الكارسو من البداية.

ضحك بهيستيريا.. أشعل النيران في الشرنقة التي لم تكتمل
بعد.. جلجل صوته بتوحش مظلم:

- أنا.. أنا.. أنا من يستحق الكارسو.

ثم ارتعشت حنجرته، عيناه.. وكل حواسه.

- في انتظار تعاويدك يا أخي.

أشار بحزم، صاحت أبواق الحرب.. حان وقت تحرك
الجيوش، قدم الموعد يومين كاملين. ضاقت عيننا الزعيم
باستهجان:

- لماذا؟

وابتسم هو بلا مبالاة عبثية:

- افتقدت أخي!

خلفك ظلام.. أمامك ظلام، وأنت السراب الفاسد.
روح للشر رغماً عنك، كي ينجو الخير فيك!

الخير وحده لا ينتصر، يجب صقله بالمأساة. باطن جبهته
مصدع بالشقوق، ذكريات تقاوم الرحيل، كهف..



كتاب.. تعويذة خير طلبها قلب ملعون بالسلام. ولقنه الكارسو الدرس. منحه إياها بنصوص الشر الخالص. صقل الكارسو مالكة، ليكون مالكا مستحقا له.

اندجت ملامحه بيأس الدكنة، واجه القمر بحضور ظل خامس، زجر بتعاسة وأدار وجهه كي يمنع الضوء الفضي من التسرب إلى ملامحه، هو خادم القمر.. ولكن ليس هذا. قره رحل. من أصل بحيم حارق سقطت دمعة، غادرت عينه اليمنى وظلت متجمدة على حافة الجفن. وضع يده فوق قلبه وارتعش فكاه لحد قاتم، في حين توحش المستذئب في نظرتة. ذكريات تحفر جبهته من الداخل، منعها بيأس متصنم، قاوم كي لا تخترق ملامحها خياله. فتك هو بالحزن بعد أن فتك به. بنظرة مثل قاع وحيد كئيب واجه القمر ثم أشار بسبابته كي تتحدث "جمر" التي جاءت من خلفه وهي تتأمل وقفته المهيبة، والحزينة، والمملخة بالفقد والغضب وفوهات الجحيم.

على مدد بصر مباح فقط لها وله الأشجار مقطوعة بفضل فؤوس تماثيل المينوتور على حدود الإقليم. مثل نبع ساخر حار رددت:

- "البارود".

عانقت عيناه ظلمته الخاصة ثم قال بنبرة مغلقة بالعممة:

- يريد لها ساحة مفتوحة للقتل.

ثم أضاف بسخرية جبرية:



- هو يكره الغابات على أي حال.

كان الحيوان الكاسر تحت جلده متحفزاً، لاحظت "جمر" أن الأفعى غائبة، لا يظهر ظلها في ملامحه ولم تلتطم أهل الإقليم بظهور مفعج.

- أين "غاند"؟

لم يجبها، كلماته باتت انفعالات متناثرة قليلة مخيفة. لولا قلبها النابض في أعماقه لفتك بالجميع. ابتعدت جمر في طاعة لصمته، في حين تأملت دُكنة عينيه المدى وقال بتعبير صلب يحادث "شاهق" الذي كان قد ظهر من الخلف لتوه:

- ستكون المعركة هنا.

كان يشير إلى نقطة بعيدة لم يرها "شاهق" طبعاً ولكنه فهم المغزى، لقد قطع "البارود" أشجار الغابات المتناثرة على الحدود بين الإقليم والعرش ليخلق ساحة حرب مفتوحة شرسة.. قتال عيناً لعين، قاعة دماء ضخمة والبقاء للأشرس. رمقت "جمر" بأس "شاهق" بإعجاب ثم رسمت فوق المساحة التي يقف فيها سيدها نصف دائرة من النار المشتعلة معبرة عن قوتها كجنية نار. حرك سبابته من جديد وقد بدأت "جمر" تردد بصوت مثل الصدى ما علمه حين فتح الكارسو.

تعويذة الثمانية المنقوصة



ممنوعة عليهم الغابة.. ممنوعة عليهم أرض البشر.. حتى
يعود القمر

سيزجون بأنفسهم حتماً في المعركة، أصفادهم شامبالا
وغرضهم السيطرة على الكارسو، سيعرضون خدماتهم على
"البارود" ويكتمل تحالف خادمي الشمس.. هم سبعة
وهو الثامن ومن يمتلك الكارسو منهم سيقضي على الآخر.
انتهت حروف "جمر" ومرت نسمات الهواء على وجوههم
بعدها كثقل بارد. أيقن "شاهق" أن الخطوات للجحيم
اقتربت، وجيش "البارود" فيه مفاجآت تفوق انتظارهم
للجيش السري الذي لم يخبرهم حتى الكارسو بشأنه. بنبض
هائج زحف الظلام للملاحه، تلك المرة الظلام احتلها
رغم مواجهته للقمر. ضوءه لم يقدر عليه. مرر خطوته
إلى الأمام، تعاظم جناحيه خلفه في مشهد مهيب وهنا
أيقن "شاهق" أنه يقف في باحة زعيم منتصر. ليس بالقوة
فقط.. بل بالدهاء، ليس بالخير فقط.. هو أيضاً يمتلك
شراً مصقولاً بكتاب سحري خبيث. الشر الذي اختاروه..
وعليهم أن يتحملوا نتيجة اختيارهم.

استقامت "ثا" من بحيرة المياه اللؤلؤية التي كانت تسبح
بها، تحركت بقدميها الحافيتين ونقاط المياه الالامعة ما
زالت تتساقط من أعلى رأسها حتى أحمص قدميها، تأخذ
طريقها في تعرجات محسوبة فوق جسدها العاري، في
حين يخفض قوما رأسهم. توجهت إلى القمر، رفعت



كأساً فضيةً بحجم إناء ثم تحدث بلغة لم يفهما حتى قوماً
لتبدأ قطرات المياه المضيئة في السقوط إلى الكأس واحدة
تلو أخرى من منبع الضوء. وضعت الكأس جانباً ثم
استدارت لهم والتمتعت عيناها بنظرة حاسمة وقالت محادثة
قوماً بصوت جهوري:

- نحمي يودوس.. روحنا فداء يودوس.

كروها خلفها في صوت واحد، بات معلوماً للجميع
الآن ثغرة تعويذة الثمانية وانضمامهم إلى البارود في الحرب.
وجهت "ثا" قواها نحو القمر مجدداً فلمحت فيه صورة
تماثيل المينوتور المنتصبة وسط نيران الثمانية بزجاجة عدوانية
وصراخ العذراوات يتراقص حولهم، وجيش "البارود" قد
بدأ يتشكل أمامهم وخلفهم في تنظيم عسكري سيضمن لهم
ظهوراً قاصماً لشجاعة البشر.

اقتربت "ثا" من الكأس التي كانت النقاط قد ملأتها بما
يساوي رشفة، مررت يدها على حافتها ثم تلت تعويذة
قديمة وشربت منها، وحينما ارتج القمر بعنف ثلاث
مرات وبدا ضوءه كبرق صاعق. وعلى بعد مئات
الأميال وفي ظلام أرض الإقليم أمام ساحة قتال قريبة
ارتج الكارسو أمام مالكة. نتابعت صفحاته مثل صرخ
عاصفة، ومن كل صفحة سقط حرف مثل رماد محترق
على الرمال الباهتة.. ماجت عيناها بظلمة صامتة والحروف
تتشكل أمامه.



"قوتك المدججة في الظلام سلاح المعركة الفاصل".

"لا تمنح الشمس فرصة.. اقضِ على الجميع".

(2) لم تكن قلب تعرف كما الكثيرين أن البارود يحتفظ بعذراوات جورا في المستنقع، ولهذا لم يستطع بشر تخطيه يوماً، ولكن الآن جيش العذراوات اتجه إلى أرض العرش.

(3) بسبب المشعوذ الأول وسرقة أحجار يودوس كان الصعود إلى السطح محرماً على سكان شامبالا، ولكن كان مسموحاً لـ"ثا" ببعض البقع، ولكن بعد عودة القمر أصبحت الأرض كلها مسموحة بشكل كامل لهم، ولهذا هي علمت بشأن العذراوات.



الفصل الخامس والعشرون

في راحة يده اليمنى راثحتها، ملمس طراوة جسدها. وفي اليسرى مذاق دماء قلبها المطعون.

وسط ظلام معبأ بدخان أسود كاسح، بسطوة حجبت البشر عنه وحجبتهم عنهم ووقفت "بداية" في صمت مطبق، في جعبتها كلام تائه وفي قلبها الحزن والألم والبأس، و"بارق" و"نهاية" و"قلب" ويودوس.. شدت قبضتها حتى خدشت أظفارها الجلد، نظرت نحو "جمر" حارسة متاهته كما أطلقوا عليها في المعسكر وعلى هذا الضباب الدخاني القائم الذي لا يُسمح بتخطيه سوى لمن يأذن له. أومأت لها "جمر" بالمرور.. جاء الإذن من وريث آسيوس.

حين تخطت الجدار الضبابي المقبض شعرت وكأنما روحها تنسحب. غيم في لحظة هزمتها بالخوف، والكوايبس. شهقة يقين وحزن تسربت منها حين لمحتة يقف أمامها وهو يوليا ظهره بوقفة مهيبه مثل جبل مغناطيس أسود! هذا رجل مع قنينة حبر من دماء ساحرة بدأت حكايتها معه، وانتهت مع دماء أختها. بنبرة قائمة.. فاسدة.. ملطخة بالغضب والوجع أطلَّ صوته:

- لقد حررتِها.. أرسلتها إلى حتفها.

شعرت ببرودة معتمة تلف روحها، تأخذها نحو قاع الرقوق، إلى وجه "حرير" والبارود وهما يضحكان بقسوة في وجهها. لا يوجد خير كامل، هي مثلهم مرت بالشر



لتحقيق غايتها.

رفعت ذقتها في جمود وقلبها الهزيل يتوجع:

- أنت تعلم أن هذا كان يجب أن يحدث.

في مقتلته ارتسمت لوحة سوداء، زهور شيطانية مفترسة.

- ما الذي جاء بك الآن؟

قالها بنبرة عديمة الرحمة، هي مثلها مثل "حرير" و"ثا"..
صنعت مسخاً من المسخ، أكثر شراسة وظلمة. قلب حي
بريء منح القلب الميت حياة، والبأس المظلم. تتمتع خزينة
تسربت منها، مناجل الحرب القادمة ارتسمت في عينيها
ورائحة الدماء احتلت أنفها. أنياب الظلال وفتك المينوتور
وضحكات العذراوات المخيفة. و... "غاند".

انكش قلبها، مر الانفعال بتوسل يأس:

- الحرب.. هل يمكنك؟

- لا يمكنك طلب الحماية لأحد.. لم يعد من حقك.

تدفقت كلماته مثل ألف نصل حارق، ثار دخانه
الأسود، بل سمعت من خلاله صرخة يودوس حين
اخترق السهم القلب. فقدت قوة الثبات.. ترنحت..
تدفقت عبراتها مثل قيء كابوس:

- أعلم.. أعلم أنني فقدت هذا الحق. ملعونة أنا هالكة

مذنبه، ولكن هم لا ذنب لهم.



تجمد الدخان.. ثم ارتج، شعرت وكأنما جداره يضيق،
ينقض عليها ويحاصرها، استدار نحوها وحينها تجمدت
أنفاسها من هول ما رآته في مقلتيه. زهور سوداء شرسة
أوراقها تهتز بعنف مخيف، تمر العتمة إلى الروح مباشرة.
عتمة وعبارة مررها بكآبة كانت في الرقوق على لسان
مسخ آخر:

- لا تلومي المسخ على غريزة أنتِ من وهبها إياه.

شهقة يقين تسربت منها، حشد من الأفكار والخوف
والوجع تملكها، نظرت نحوه برهبة ثم رغبة في مد يدها
وملامسة قلبه عليها تجد ضوء يودوس داخله. إلا أنها
تراجعت في وجل وقالت بيأس:

- هل انتهى الصراع داخلك؟ انتصر الظلام.

مط شفتيه بقسوة قائمة ثم مد ذراعيه جواره بسطوة
وعيناه مسلطة عليها بنظرة ساحقة وهنا ظهر الكارسو
من خلفه ضخماً شيطانياً مربعاً وقد نتابعت صفحاته مثل
صفيق وحوش.

أطلَّ صوته بسخرية ميته:

- إنها هبة الكارسو التي أرادها الجميع.

وتابع بكلمات مغروسة في الدماء برائحة قلب التهمه:

- كلُّ سينال ما سعى من أجله.



- "بداية"!

قالها "بارق" بنبرة تود ارتشافها، حجزها بين ضلوعه بعيداً عن كل هذا الخوف. وقفت في منتصف الخيمة.. مثل شاهد تعيس يمرر الحقيقة البائسة التي يفهم نصفها فقط. كان "شاهق" يجاورها من الناحية الأخرى وجواره زعيمة شعب المطرقة في حين يواجهها "جبار" وقائد رجال الخندق.

شد زوجها على كتفها في حين تابعت هي بعدما تجولت في حيرة بين ملاحظتهم.

- يطلق عليهم العذراوات. لم أراهم أبداً، فقط سمعت ضحكاتهم الكئيبة المخيفة.

برقت عينا "شاهق" باهتمام في حين دعمها "بارق" لتكمل.. تابعت وهي ترتجف متذكرة كلماته المرعبة:

- جيشي السري لا يتخطاه بشر، ومن يفعل ببساطة يموت.. لا يعود حتى لقص ما حدث.

توهجت عينا "جبار" باهتمام قائم:

- لا تعلمين عنهم شيئاً آخر؟

حركت "بداية" رأسها في نفي قائم، بدا البؤس وكأنما تجرع ملاحظتها ثم شكلها من جديد. كانت ما زالت تحت تأثير الدوار بعد لقاء المشعوذ في متاهته المظلمة. أشار "شاهق" لـ"بارق" كي يأخذها نخيمتها لتستريح. ثم ساد



الصمت لوهلة بعدها بين الجميع وهم يرمقون بعضهم بعضاً
بترقب حتى بدأ قائد الخندق الحديث بعملية تعلّمها من
قائده:

- لا توجد جدوى من إخبار الرجال بهذا الأمر.

أومأت زعيمة المطرقة موافقة مع دخول "بارق" الذي
اعترض بحمية عدائية للدفاع عن الجميع:

- ربما علينا أن نبحث في التاريخ حتى.. نسألك أنتِ ربما.

قالها موجهاً حديثه للعجوز التي ابتسمت في حكمة:

- لقد حرص "البارود" على إخفاء أمر جيشه السري
جيداً.

ثم استدارت نحو "جبار" بنظرة تقدير خاصة:

- يدخره لك.

غامت عينا "جبار" بيأس محارب خاض أقوى المعارك
وانتصر، مر بالممالك الخمس المحرمة التي لم يقدر عليها بشر.
ونال لقب قائد الصفوة عن جدارة. قال بسيطرة صلبة
عاقله:

- لا توجد جدوى من إخبار الجنود بأمر مشيت كهذا
وهم على أعتاب القتال، فلا يجوز أبداً تمرير الخوف
للمحارب قبل المعركة.. حينها سينهزم قبل أن يقاتل.

اتفق "شاهق" معهم كاجماً اعتراض "الراعي" الذي تأثر



قلبه بزوجته:

- ربما هذا ما يريد "البارود" منا فعله.. بث الرعب بنفسنا
في نفوس محاربينا!

وتابع بحكمة شرسة مررت الحقيقة البائسة التي يعرفونها
جميعاً:

- تلك ليست المفاجأة الوحيدة بالمعركة، سنواجه العديد
من المفاجآت البائسة.

أوقدت العجوز حطب البدايات الذي بات معلوماً
لجميعهم الآن.. قالت بنبرة خبيرة قائمة:

- سيفتعل مشهد البداية هو يجيد هذا.

وتبادل "شاهق" و"بارق" النظرات بين بعضهما بعضاً..
سيحدث، وحينها عليهم قيادة رجالهم بصرامة.

ابتسم "جبار" بحكمة قائمة ووضع سيفه على طاولة الحرب
ليضعوا بعدها جميعهم سيوفهم.

- الهزيمة لن تكون واردة يا قادة.. ليس اليوم.

التقطت "ريغا" السهم من جعبتها ووجهته سريعاً نحو
غزالة شاردة كانت تركض بسرعة خيالية أوهمتها بالنجاة.

- ها قد جاء عشاء اليوم.

كانت محاربات "ثا" لا يشبهن ما رأته يوماً، قامتن طويلة



ضخمة يضاھين "الراعي" في بنيته. في ملاحظهم شراسة قائمة والغريب تمر الخير في الوقت نفسه. يقدسون القمر ليس هذا. بل الآخر، الذي جاءت منه أختها وعادت إليه فوهبته الضوء الذي سُرِقَ منه. التفت المحاربات حول نار الشي لتناول الطعام، كانوا يسافرون في الليل أحياناً، ولكن يتوقفن في ثلثه الأخير لتناول الطعام وراحة الأحصنة، لاحظت "قلب" أن السروج جميعها منقوشة بعلامة القمر وكلمة مزخرفة بلغة لم تعرفها، وحين سألت "ريغا" عنها قالت المحاربات بصوت حماسي واحد:

"شامبالا".

قالت "قلب" باستيعاب وهي تسترجع ما منحته "ثا" لذاكرتها:

- نعم.. إنها مملكتكم.

ثم تسربت كلماتها المتفكرة بعزم جوار الريح التي تخترق الغصون المتشابكة:

- العذراوات؟ هل.. يؤثرن فينا!

ابتسامة مشبعة بالحكمة ارتسمت على شفتي "ريغا" التي توقن معارك الأسئلة التي تجول بصدرها. قالت وهي تمضغ لحم الغزال الطري جوار ثمرة جوافة:

- هل فكرت كيف لا يؤثرن في البارود، وهو الوحيد الذي ينظر نحوهم وينظرن نحوه عيناً لعين.



سخرت "قلب" بيأس:

- لا أعلم.. ربما لأنه مسخ لعين.

- لا.. إنه حجر القمر.. يودوس، يمنحك حصانة ضد سحر الأرض القائم، يغلفك بسحره الخاص.

ضاقت عينا "قلب" باهتمام و"ريغا" توضح:

- العذراوات لا يستطعن التأثير في البارود ولا المشعوذ
ولا أنتِ ولا أخواتك.. كل من نال نفحة من الحجر لن
يصيبه سحرهنّ.

- وأنتن؟

- لا تقلقي.. لقد حرصت "ثا" على منحنا هذا.

غمغمت "قلب" بإدراك مكررة كلمات "ثا":

- هي قالت معي فقط تستطيعون هزيمتهم.. ينال القاتل
من سحر المقتول!

حين وسمت نفسها كقاتل ارتسمت المرارة فوق شفيتها،
نظرت نحو "ريغا" بعزم جابوت الأخرى بصوت أطلّ من
أعماق حكمة معلتها:

- نستطيع النجاة، ولكن قتلهن ليس بالأمر السهل، يبدو
أن يودوس منحك قوة ما حين أطلقت السهم وعاد إليه
ضوءه.

- و"ثا" تعلم؟



- "ثا" تعلم الكثير، عمرها خمسمائة عام، أما أنا فمائة
وخمسون فقط!

مطت "قلب" شفيتها بإدراك ساخر:

- لا تشيخون، هذا ما أرادته "حرير".

- لا.. "حرير" مثلها مثل كل البشر، حرك هوس الكارسو
أطماعها.. أرادت لولديها الحياة الأبدية كي تحميها من
بطش القتل الذي كان سينال منهم قديماً.

ثم ابتسمت "ريغا" متابعة:

- ونحن نشيخ ونموت في المعارك أيضاً.. ولكن أعمارنا
مختلفة عنكم أنتم أهل الأرض.

تأملت "قلب" شقوق الصخور في الظلام وشردت، ها
هي ستشارك في الحرب بالفيلق القادر على هزيمة جيش
العدراوات. هبة "ثا" لهن ربما أو هدية لـ "جبار" الذي
أدى دوره للنهاية رغم كل شيء ومنح السهم القلب.
ثلاثون محاربة لا تعلم في مواجهة مائة عدراء أو ألف..
وربما أكثر. انقبض قلبها مع يقين سقوط الكثير من
الضحايا رغم كل شيء، استدارت نحو "ريغا" بأعين
حائرة لامعة:

- لم لم ترسل "ثا" عدداً أكبر؟!

تسرب بريق خاص من عيني "ريغا" وتابعت بنبرة ثقيلة:

- "ثا" لا تهتم بنجاة البشر، هي تريد الخلاص من



"البارود" وجيشه.. وتؤمن بيودوس، ويودوس منحتك
القوة وعليها استخدامهما.

شعت الحقيقة في قلبها يقين قائم.

"ثا" لا تكثر بنجاة البشر، ولن يكثر المشعوذ أيضاً.
تلك الحرب ليست من أجلهم، بل للخلاص من المسخ
المتعلق بالشمس. وهم عليهم النجاة بأنفسهم.

خفق جناحا العقاب بقوة معلناً عودته.. وانتشر الخبر في
معسكر الإقليم. جيش "البارود" على مسافة نصف يوم.

- تأكد أن لا أحد جائع، انقلوا باقي النساء والأطفال
خلف أسوار الإقليم.

- أمرك سيدي.

قالها "بارق" بحسم لأحد القادة، في حين وقفت "بداية"
في منتصف الظلام ترمق المعسكر بعينين فاترتين، الجميع
يتجهز، من يسن سيفه ومن يودع امرأته، رجال الخندق
متحفزون مستقيموا السمات بكامل شكتهم، صفوة "جبار"
يحيطون بقائدهم مستمعين لتعليماته الأخيرة، كل شيء
يبدو صارماً كئيباً، وجوه مرتسم عليها البأس والموت.
العدو القادم ليس غامضاً، باتوا يعرفونه جيداً الآن..
"البارود" لم يعد يختبئ خلف تاريخ من صنعه، بل مرر
الحقيقة الآن للجميع.. هو مسخ يحيا على دماء معارضيه،



ومناهضيه أحياناً.

صعد الكشافة التل القريب كي يمررون إشارة اقتراب العدو وتجهز قارعو طول المعركة لمنح الجميع الإشارة القائمة ببدء الحرب.

من بعيد وسط ظلامه الدخاني كانت القناطير تقف حوله في مشهد مهيب. نمور تاج تزار والظلال صامتة وبؤس أعينهم يقدم عاصفة ظلام. بؤس يماثل بؤس عينيه تماماً. نظر الجنود نحوهم وفي أعينهم انفعالات متناقضة، تقدير، تخفر، وذعر. هذا هو الشر الآخر الذي طالما سمعوا عنه. شر معهم وقادر على دعسهم في أي لحظة. حرّكت جمر إصبعها فمرت إشارة من النار تدعو القادة إلى الانضمام له في خيمته الدخانية. فقط "شاهق" و"بارق" و"جبار". السطر ما قبل الأخير في المعركة.

أما السطر الأخير.. فسيكتبه وحده.

بصوت يشبه عزله العميقة قال وهو يأمر "جمر" بمنح "جبار" إشارة نارية نحو الغرب.

- لقد أخفى جيشه السري مجدداً، هو يعلم أن العقاب سيحلق من فوق السحب وينال التفاصيل، على الأرجح سيهاجمهم به من اتجاه المستنقعات على الطرف الغربي للإقليم والغابة.

ثم تخضبت نظرتة بدُكنة خاصة:



- هذا دور صفوتك.

- ونحن ننتظرهم.

قالها "جبار" بعزم، مهما حرص "البارود" على إخفاء قوة جيشه كي يتباهى بضربة مطرقة في الحرب هو والصفوة على أتم استعداد. انعكس ظلام الدخان الأسود في عينيه وجاورته نبرة "شاهق" بحكمة قائد:

- ورجال الخندق معكم.. تحت إمرتك.

التفت بعدها نحو "جبار" بتفسير صارم:

- هم مدربون على القتال في كل الظروف الممكنة.

- أنتم بصدد مواجهة مخلوقات سحرية من الشر الخالص.

قالها المشعوذ بإيقاع قاتم، كلماته وافقت المعلومات القليلة التي مررتها "بداية". زاد ولكن بفرقة إصبع حيث أكلت جمر التفسير. في النهاية هو رجل يقدر الصمت.

قالت بجمر بصوت هادئ:

- لا نعلم من أين أحضرهم "البارود"، سخرنا الجنيات على مدار الأعوام السابقة ولكنه حصّنهم داخل المستنقع جيداً، وساعدته الساحرات مثل "سيراب" في حماية السر.

- والكارسو لا يعلم؟

نطق بها "بارق" بغضب مندفعاً كعادته، ففي قوانين الحرب الجهل بالعدو هزيمة. كادت جمر تجيب إلا أن



المشعوذ أوقفها بإشارة يد، نظرة غضب وظلام تبادلها مع "بارق" الذي ما زالت طول صدره تدق، ففي النهاية هو يقف أمام من ابتلع ظله الرابع أمه. يا لها من عبثية سوداء تحت عباءة التحالف!

صوت المشعوذ مرّر الكلمات بنبرة حديدية:

- الكارسو كتاب تعاويد وليس كتاب نبوءات.

ثم التمعت عيناه بقسوة شرسة:

- يعطيك ما تريد ويأخذ ما يريد.

شعروا أن الدخان ارتجّ من حولهم.. صرخة يودوس الأخيرة عادت، أغمض "شاهق" عينيه بصلافة حجرية في حين أخفض "جبار" بصره باستيعاب قائم. تنهد "بارق" نافثاً اللهب الذي يجول بصدره، وراقب من كذب بطش عيني المشعوذ وغلظة التعبير الذي ارتسم فوق ملامحه في حين اكفهرت السماء فوقه وتلونت السحب بظلام السحر الأسود. فقد استوعب الآن أن ظلام هذا الرجل وإن ترك له العنان سيفوق احتمال يودوس كلها. صقل الكارسو مالكه، ليكون مالكاً مستحقاً له.

بوق المعركة اقرب.. رسمت جمر بالنيران على الجدار الدخاني، موج الموت القادم من أرض العرش. نظر القادة إلى بعضهم بعضاً في إدراك قائم لقسوة المعركة القادمة وتحفزت حواسهم بانتباه إلى آخر ترتيبات الخطة كما مرر المشعوذ.. "بارق" للجناح الأيمن و"جبار" للأيسر



أما "شاهق" وجيشه مع جيش المشعوذ في قلب الجيش،
الخطة في البداية تتبع أسلوب حدوة حصان منقوصة،
انضمام المحاربين من القلب، مع الجناح الأيمن والهجوم
مع الإشارة المنتظرة. تقدم ذوو الرؤوس الضخمة وخلفهم
القناطير.. ثم باقي المقاتلين في تشكيلة محسوبة تحت قيادة
"الراعي" و"الأرقب". تراجع الجناح الأيسر كله بقيادة
"جبار" إلى الخلف في البداية ثم التجهز في وضع دفاعي
على شكل قوس مفتوح في انتظار الجيش السري وبعد
وصوله وبدء المعركة ستطوقه النمر من الجهة الأخرى.
ستدق فوضى القتال ثابعا، وستتقدم فيالق "البارود" مثل
تيار دماء جارف، سيعلو صوت السيف على التكتيك
ولكن في النهاية عليهم جميعاً الالتزام بالخطة. حتى يصل
إلى عمق الظلام نفسه ويفعل ما يظنه "البارود" مستحيلاً.

سيقضي على تماثيل المينوتور

- ها قد اقرب شروق الشمس.

قالتها "رام" وعيناها تلتمعان بشجاعة مواجهة مصيرها
القادم المجهول، من فوق حصانها ضربت بسيفها الطويل
على الأرض ثلاث مرات ثم أطلقت صيحة حماسية
ليجتمع فيلق الصفوة. بجمود مرتب باحترافية اتخذ الجنود
تشكيلاتهم في انتظار القائد. ألقوا تحية الوعد والطاعة بوضع
سيوفهم أمام دروعهم السوداء الصلبة واتبعت حروفهم



بصوت واحد:

المجد للقائد.. المجد لجبار

تراجعت "رام" إلى الخلف بتقدير مع حضوره، جددت ولاءها هي والمقاتلين وقد تصلبت نظرتهم جميعاً في احترام لقائدهم المهيب. ها هو الجبار أمام الجميع بقوته وسطوته وقلنسوته الشهيرة التي تحاوط ملاح الخندق. مع صفوته، مع نغوله.. وشجاعة لا نظير لها لا تكثرث بالجيش الذي يدخره الطاغية لهم. تقدم قائد رجال الخندق نحوه بتقدير بعد إيماءة من الأرقب وقال بعزم محارب مخلص:

- إنه لشرف عظيم أن نقاتل تحت قيادتك سيدي.

أوماً له "جبار" بشموخ مقاتل خبير وتحركت قوات رجال الخندق لتنضم إلى الصفوة قبل أن تتخذ الكئاب مواقعها خلف هيبة قائدهم. يرمقون ظله من الخلف بترقب وتعلق أعينهم بمشهد الأرض الشاسعة التي ستتحول إلى ساحة حرب شرسة بعد قليل. ولكن.. هم الصفوة.. كتيبة النغول.. سواء جيش من المسحورين أم حتى من الموت نفسه جيش "جبار" في انتظاره.

لهت "نهاية" وهي تعانقه مرةً أخيرةً، سيأخذها حرس "شاهق" الخاص هي و"بداية" وباقي النساء والأطفال والعجائز خلف أسوار الإقليم متوجهين إلى قصر "الراعي". لهت تودعه بنظرة تشبث وتدرك أن العالم أكثر بشاعة مما



تصورت يوماً. هي قد لا تراه مجدداً.

شنت بثبات اللحظة الثقيلة على قلبه، ثم رمق حارسه بحزم كي يأخذ كليهما ويتحركوا على الفور. الأمر كان منه ومن "الراعي" بإبقائهم في أمان في قلب الراعي. "الغرفة السرية بالطابق العلوي"، هناك سيراقت الحرس مسار المعركة. تبادل "شاهق" نظرة حاسمة مع أقرب رجاله له.. المكلف بالحماية و... ناوله الخنجر بقبضة حاسمة وصلابة الأحرف قسوة لا بدّ منها "الراعي" نفسه لا يعلم بشأنها.

- لو انتصر الطاغية تعرف ما عليك فعله.

- استعدوا.

نبرة "الراعي" القوية بقوة مائة ذئب اقتحمت آذان محاربيه، فؤوس وسيوف ورماح وحربات وبلطات قادرة على شق رأس الرجل نصفين. مقاتلو الراعي بهم قساوة قادرة على دحر بأس أعتى المحاربين. دروعهم جلدية مرصعة بجماجم الذئاب، مقاتلو الراعي لا يرتدون الخوذات، رؤوسهم همجية عنيدة ودمائهم حارة مشبعة بغضب مغلي. اتخذوا تشكيلهم بطاعة خلف قائدهم وزمجروا بهمجية مثل مجموعة ثيران بشرية. وأمامهم رؤوس الذئاب بأسنانهم المدببة. ستتناثر الأحشاء البشرية من جيش "البارود" قريباً، والفضل سيكون لهم. النصر أو الموت، المجد للـ"راعي".. المجد ليودوس.. والموت للبارود.



الموت للطاغية الذي اقتات بالظلم لسنوات على لحومهم ولا
سبيل للرضوخ أبداً. النصر أو الموت، الكرامة أو الموت.

طوّقت جمر مشهد الجيش المهيب بنظرتها وقد تشكلت
الكئاب كما أمر المشعوز وارتفعت رايات "الأرقب"
والصفوة و"الراعي". لمحت شموخ "الأرقب" بإعجاب وهو
يقف في منتصف كئاب جيشه وقد وقفت القناطير
المتمردة خلفه في طاعة. ذقنه ارتفعت بيأس شاخ وقد
أشار بيمينه فتقدم ذوو الرؤوس الضخمة وقد ارتفعت
صيحات حماسهم بقوة لهب أسود. اتخذ الرماة مواقعهم
وحاوط الفرسان المشاة في تشكيل حربي محترف. ها
هي الشمس اقتربت، يتألق شعاعها فوق نصال السيوف
والخوذات. تبدد ظلام الدخان الأسود وخرج مالك
الكارسو ليطل على المشهد. رجرجة القتال اقتربت وإيقاع
الموت سيداً قبل رقصة الأفعى!

غامت عيناه وبداية النهاية التي انتظرها لسنوات حان
وقتها. من عمق اللجة المعتمة.. من قلب أحياء الموت..
من قسوة ثلجية حتى احتراق الشمس قاربت الرحلة على
الكمال. زجرت ظلاله داخله.. خرج المستدثب وخرج
الوحش، انطلق الأول إلى الجناح الأيمن والآخر إلى
الأيسر. وبقي العقاب. أشار لجر بسبابته فتقدم قطع النمر
ليقف مثل حارسه متاهة خلف كئاب الأرقب وأمام التبة
العالية التي اتخذها موقعاً له.. وخلفه قوة السحر المظلمة حد
القدرة على سحق يودوس كلها



الكارسو.

نفير أبواق العدو بدأ فوضاه.. اقرب الطاغية.. احذر
بارودا!

معركة تحت رعاية شمس حارقة. حيث لون شعره
أفضل، وانعكاس خوذته الذهبية طاووسي كما يليق به
جوار بأس تماثيله.

ها..

صوت الرجال يشق الصخر، انقسم المينوتور إلى ثلاث
كائب، واحدة في المقدمة وأمامهم جزء من الفيلق الأول
حرسه الخاص، وأخرى وهي الأكثر عددًا في المنتصف
تحت رعاية نار الثمانية فبدوا مثل دائرة بحجم متحركة،
والثالثة معه ملتفة حوله مع باقي فيلقه الأول في استعراض
قائم يمسكون سيوفًا بلا مقابض. قاتلة من كل اتجاه.

ها

اتخذ الفيلق الرابع مواقعهم، كان عددهم رهيباً، يوازي
عدد جيوش الإقليم كلها.. تركزوا في قلب الجيش مباشرة
خلف رجال الفيلق الأول والتماثيل، الرماة على استعداد
للحظة القنص الأولى، وعشرون ضحية مسحولين بالحبال
والقيود يتحركون أمامهم. صوت مثل خوار ثور كئيب
جاور النفير فبث في قلوب جيشه هو الرعب فما بال
الآخر.



المينوتور الأكبر

يتحرك خلف الجيش الضخم مثل خاتمة مهلكة. حيث لحظة مجد التكتيك هو الارتجال وارتجاله إن حدث سيدهش الجميع. بل سيسحق الجميع.

ها..

صرخ بها رجال فيلقه الأول في عزم ودروعهم ترج تحت ضربات قبضاتهم، هؤلاء ولاؤهم إلى "البارود" فقط، ولاؤهم إلى المسخ بكل صورته. مصير عدوهم الذبح.. هكذا قال وخلفه السبعة صبيان ليس لهم فقط، بل للجيش كله.. لا تبقوا منهم أحداً.. سيفنيهم جميعاً.. مثلما فعل مع آسيوس ويبدأ من جديد. رمق "البارود" من بعيد باستمتاع خيال أخيه على الجهة المقابلة وقد وقف على ما يشبه تبة عالية، وأمامه جيش الإقليم الضخم. لا يتحصن بالدروع الذهبية مثله، ولا يوجد حوله حرس. بل ترك عباءته السوداء بهيبة فوق كتفيه وقد ظهر بهيئته القديمة المعروفة عنه ولكن ليست بملاح دخانية كما الحكايات. ملامحه واضحة الآن مثل ظلام مهيب تحت القلنسوة وخلفه يسبح في الهواء الكارسو. لحظة فساد اقتربت أخيراً بين أبناء "حرير". لحظة فساد تناسب فاسد مثله.

انتشرت روح الظلام في ذروة الضوء.

لمح جيش الإقليم و"شاهق" على رأسه بوادر جيش العدو



القادم. كما توقعوا تمامًا.. لحظة انتباه قائمة بين فريقين،
وعشرون ضحية يساقون إلى موتهم. طاغية يحب الظهور
وسيداً المشهد الدموي الذي خطته. مثل هياكل بأثة
وقلوب فتك بها الخوف وأمام أعين المحاربين التي ضاقت
بتحفز صعد الفتيان والنساء والفتيات على حواجز خشبية
قصيرة، ملاحظهم المرتجفة هازمة للثبات، وارتعاشهم
موجع لكل قلب ما زالت به لمحة إنسانية. نصفهم
مظلوم ونصفهم خائن والموت للجميع. ابتسم قائد الفيلق
الأول ابتسامة دميمة وأعطى الإشارة للتماثيل. ليست
مفاوضة.. بل طعم! لحظة تشبه هاوية. ذكرتهم بمشهد
إعدام الصفوة. صرخ "الأرقب" بخشونة في الجميع بالثبات
في حين تحركت التماثيل بصرامة رسل الموت يدقون سطح
الأرض بخطواتهم القاهرة حتى أصبحوا جوار الضحايا..
ثبتوا سيوفهم بشكل عرضي وبحركة واحدة مع نفير البوق
الأخير قطعوا الأعناق كلها في اللحظة نفسها. اخترقت
السيوف اللحم بشراسة وتدحرجت الرؤوس أمام الجميع في
حين جحظت العيون على لحظات الفزع والموت. شهد الأخ
موت أخيه والأب ابنته.. لهب أسود تمكن من القلوب،
وتحفز الفولاذ في الأيدي ل خوض المعركة.

- لا يتحرك أحد.

لحظة ملعونة، شبيهة بنار تلتهم الأرواح داخل قضبان
حديدية. صوت "الأرقب" حاسم جهوري وأسنان
المحاربين تصطك في غيظ مكتوم رغبة في الفتك بعدوهم.



أي جيش سيقف مكتوف الأيدي أمام نحر قومه.

- لا يتحرك أحد.

كرها "بارق" بحزم حين لمح مبادئ تمرد في رجاله، هياج البداية الذي يريده "البارود" ويناور من أجله. تجمدت القلوب وتصلبت الأعناق وتأهبت جميع الكئاب في صفوفها المتوازية دون حراك. التمت عينا "البارود" بغضب مكتوم وقد أفسد عليه أخوه مشهد البداية الذي خطط له، ولكن لا بأس هو يدخر لهم بدايات عدّة. انطلق بوق فهمه قائد الفيلق الرابع فأخفض الرماة أسهمهم التي كانت مجهزة لاقتناص المتقدمين بغضب من جيش الإقليم وأعطى الإشارة للفيلق الخامس كي يتقدم.. حراس العصي، عصيانهم صلبة من خشب أشجار أرض العرش الضخمة ومسنة بنصال حادة. صاحوا بغضب شرس وتقدمت أول كتيبة منهم ولكن لم يعط قادة الإقليم الأمر بالمواجهة بعد.. ولم يتحفز حتى الرماة. ظلوا ثابتين بلا حراك حتى توقدت عينا المشعوذ بسواد قاتم وحرك كلتا يديه محدثاً هو شرارة الغضب تلك المرة فشقت النصال سطح الأرض بعنف لتخترق أجساد حرس الفيلق الخامس ولحمهم الحي في لمح البصر ويطل الموت على جيش "البارود" تلك المرة بطريقة الكارسو. زجرت فيالق العدو.. أصاب الهياج ثباتهم.. ابتسم "البارود" بقسوة عاتية كأنما حنقه والتمت عيناه بريق شمس غاضبة، ثم انطلق بوق الضربة التالية بأمره. تقدمت بحافل تماثيل المينوتور



كي تبدأ الهجوم بشراسة داعسة النصال والجثث ومن
خلفهم الفيلق الرابع كاملاً.

ابتسمت جمر بمكر مع إشارة مشعوذها وما منحه لها من
قوة السحر وبيريق حارق في عينيها رفعت كلتا يديها ثم
أنزلتهما بشكلٍ حاسم مع تعويذة تلتها، وهنا انطلق مسار
حارق بخطين متوازيين شقت سرعته انتباه الأعين حتى
وصل إلى حوافر حصان "البارود" نفسه في استعراض
مستعر. تبتعت مقدمة ككائب القلب والجناح الأيمن المسار
المتهب بصيحات قتالية صارمة وزحف عنثري تحت رعاية
الشاهق والبارق وتدافع المحاربون من الجهتين نحو ذروة
المشهد.

ابتسامة ظفرا رتسمت على شفطي طاغية، رغم كل شيء
الحرب متعته الكبرى.

احذر بارود.

ونظرة مثل موج لهيب أسود من صاحب وكر الظلال!!

وريث آسيوس، خادم القمر. ومالك الكارسو.

المشعوذ.

الآن بدأت الحرب.



الفصل السادس والعشرون

احذر بارود.

هو رجل قتل أمه، أي إنه قادر على فعل أي شيء!
صمم معركته بشكل موسيقي، هو في النهاية رجلٌ يحب
المعازف. كل كتيبة يتزامن هجومها مع نغمة بوق! سينتهي
كل شيء رغم الضجيج، ويستغرق سكان يودوس في نوم
عميق بلا أحلام. "موت" يستحقونه! شعب متمرّد على
حاكم لطيف مثله، شعب ظالم!

احذر بارود.

هو رجل استعراضي.. لو لم يكن طاغية لاختر وظيفة
شاعر ينثر الكلمات والأفكار. سبعة صبيان خلفه كل
واحد فيهم يمسك صحنًا نحاسيًا أحمر. هنا سيضع رؤوس
"الأرqb" و"الراعي" و"جبار" وبنات البومة. ثم مالك
الكارسو. ارتسمت فوق ملامحه ابتسامة صفراء تسكب
الموت نفسه ثم أصدر إشارته بعزم. بوق الحرب الحاسم.
عصفت الريح بضراوة، مر صرير السيوف جوارها وبدأت
صيحات المقاتلين من الطرفين اللحظة الكاسحة. اتخذت
كتيبة المينوتور الأولى شكل رأس سهم ومن خلفها ما
تبقى من الفيلق الخامس. "أصحاب العصا". كان المشعوذ
قد قضى على نصفهم بقوته المسوسة الأولى ولهذا صرخوا
بهياج حاقد وقد بدا ركضهم كفقرة بحجم حاقدة خلف
التمائيل المدججة بالبأس. مجموعة من الفيلق الأول بدروعهم



البرونزية وسيوفهم الضخمة ترتبوا خلفهم في شكل استعراضي قاتم. كانت التماثيل تتقدم بسرعة أكبر كي تمثل رأس سهم فتاك، والباقي خلفها متباهون بقاعدة ساحقة.

بدأت الحرب!

ترتبت قوات الإقليم أمامهم فيما يشبه كاشة منقوصة، قوات القلب بقيادة "شاهق" من المقدمة وقوات الجناح الأيمن بقيادة "بارق"، أما قوات "جبار" يسار الجيش فظلت مكانها في تكتيك حريص، كان انتباهه متيقظاً للفيلق الثاني المتوقع ظهوره في أي لحظة. ركضت قوات القلب والميمنة بشكل سريع عنيف ليتلاقى في حصار الكاشة الحربية الذي أعدوه لقوات "البارود". كانت رؤوس الذئاب في مقدمة كتائب "الراعي" يليها هو ومحاربوه. وفي قلب الجيش ترتب ذوو الرؤوس الضخمة في صفوف متوازية أمام "شاهق"، وبعدها كان فرسه هو يتقدم محاربيه والقناطير. تقدم جيش الميمنة سريعاً، وركضت رؤوس الذئاب بسرعة خارقة يسنون أسنانهم فالتقوا في البداية الصادمة بالتماثيل. بدأت الحرب.. وبوق "البارود" سعيد.

بدأ القتل.

زجرت تماثيل المينوتور بشراسة، هرست بحافلهم أعناق أول كتيبة قابلتهم من رؤوس الذئاب وارتطمت بعدها



السيوف والرماح والهراوات في التقاء حربي مرعب. رقاب تتطاير، أعضاء تُهرس.. رماح تخرق اللحم والعظم، انقض "الراعي" بشراسة على أعدائه، هرب الفيلق الخامس من مواجهته، بنظرة مثل حمم نارية كان يحصد حياتهم، يشج بحربته الرؤوس بلا هوادة. جسده يدور وسط الأجساد التي تلو مواجهته تصبح ممزقة ونصله ينقض دون رحمة. التقت قوات "الأرقب" الفيلق الأول المغرور المدرب من المسخ بنفسه. هجم كلا الطرفين على بعضهما بعضاً في شراسة. وسط تناثر الدماء سحقت كتيبة المينوتور برؤوس الذئاب ثم ذوي الرؤوس الضخمة في مشهد قاتم كئيب، حتى إن عظامهم تهشمت وسمع صوت اصطكاكها وحظت العيون في رسالة الموت المرعبة. " لن تكون هزيمة التماثيل سهلة".

دب الخوف في قلوب بعض الجنود، تراجع من مس قلبه الجبن منهم. أطلق "الأرقب" صيحة هائلة وتقدم بشجاعة ومن خلفه بجافل القناطير النارية مثل موجة قتل فاخترقوا ببسالة صفوف التماثيل الوحشية. دب الذعر في القلوب نعم.. ولكن أيضاً البأس، بدأ الفيلق الرابع سرعة زحفه.. شد حاملو الأسهم عزيمتهم، جهزوا أقواسهم وشدوا الأوتار في نمط واحد ومع إشارة خاصة من قائدهم كانت السهام تتطاير في احترافية قاتلة غارزة الرقاب. هللوها بهياج وجنود الإقليم يسقطون تحت سهامهم،



وبعدها تقدم باقي الفيلق في فوضى هرس بشري.

انطلقت باقي الجموع تباعاً بإقدام، يرمقون قادتهم وهم في خضم نزالهم مع التماثيل المفزعة بلا خوف. يتقدم تماثل شرس من "شاهق"، يهجم ببأس سيفه الفولاذي وقوة ذراعه الحديدية كي يمزق عنقه ولكن احترافية "شاهق" تتفاداه ويواجه سيف التماثل بلا خوف.. تقاتل القناطير معه في شراسة مدمرة، يُسقطون التماثيل أرضاً ولكن التماثيل قوية ملعونة تستقيم مكلمة القتال وتكسر أعناقهم. بدت المعركة مثل فوضى كاسحة، توغلت قوات "بارق" وهو على رأسها في حرب التماثيل بعد أن قضى هو ومحاربوه على باقي الفيلق الخامس كله. بدأت جموع أخرى من كتائب الفيلق الأول تزحف من الخلف فتشكل ما يشبه قوسين حول محاربي الإقليم، صاحوا.. هللو.. انطلق البوق التالي للبارود بحماس المعارك وبدأت السيوف الفولاذية الثقيلة في جز الأعناق بشراسة تحمل أمر قائدهم. "اقتلوا الجميع".

في خضم المعركة لن ينال محارب الصورة كاملة، ولكنه ربما ينال الحقيقة. والحقيقة كانت تناثر الدماء والأسنان والأحشاء البشرية، زجرة التماثيل الرهيبة وتلك كانت كتيبة واحدة منهم فقط! تعددت الموجات المتابعة من المقاتلين على الجبهتين، التقى قوم السرداب محاربي الفيلق



الرابع، كانت قبضاتهم الثقيلة تحطم عظام الجماجم من أول ضربة ورغم ارتدائهم الخوذات القوية. بدأت كُتائب الفيلق في إدراك الخطر، تراجعوا بنخب وتحفز الرماة من جديد. تقدمت كتيبة منهم كانوا من قاذفي الرماح فبدأوا هجومهم في مهارة موجهين رماحهم القوية نحو أجساد قوم السرداب. استطاعوا النيل منهم ولكن بعد وقت ليس بقليل، في هذا الحين كانت كُتائب المشاة من جيش "الأرقب" قد وصلت مختربة رماة الفيلق الرابع فبدأت في الفتك بهم جميعاً. اندمجت ميمنة الجيش بالقلب بشكل كامل الآن. وأصبح "الشاهق" و"الأرقب" ومن معهم يسار المعركة في قتال شرس مع تماثيل المينوتور وكتيبة من الفيلق الأول الأقوى في الجيش كله.

قتال "الأرقب" كان ملهماً للشعراء، ولكن في تلك المعركة الشعراء أنفسهم حملوا السلاح وصاحوا بصيحة القتال للخلاص من الطاغية. مبهج أقواهم ومبهج أضعفهم ومات أكثرهم طيبة أمام مينوتور بعدما هشم رأسه. منح "الأرقب" رجاله صيحة حماس، دار بفرسه بسطوة حول المعركة ونال سيفه بمهارة كل مقاتل واجهه من الفيلق الأول. لم تكن السيوف ذات تأثير مع التماثيل وإن مررت قتالاً عنيفاً خاصة جوار القناطير، دار سلاح "بارق" يهشم في الصخر المسحور ويلتحم بشراسة مع كل مينوتور يواجهه لا يبالي. هلل المحاربون، تمسوا. تجمعوا في دائرة حول التماثيل وحماسهم يسعى للقتل، أن يفتك "الراعي" بهم



كما حدث سابقًا. ولكن...

"الراعي" لم يقتل المينوتور سابقًا ولن يفعل الآن. فقط هزمه.. هشم رأسه وهذا المينوتور انضم إلى القتال لاحقًا بلا رأس. يعرف "شاهق" الحقيقة، ويعرف "بارق".. ومن أخبرهم بها المشعوذ. لن يستطيعوا قتل التماثيل لأنها ببساطة.. لا تموت!

- لا يمكنهم قتلهم.

كلمة أولى، باردة قائمة على مشهد حرب. للناظرين من خدم وحرس وسكان الإقليم المحتمين بقصر "الراعي" وقفت سيدة المنزل زوجة الراعي "بداية الأرقب" وجوارها زوجة "الأرقب". كلتاهما تطلان من عليّة، أبعد غرفة في منزل "الراعي" وقلبه والمنفردة بمشهد الحرب القاسي. ومشهد التماثيل المسحورة المتداخلة في صراع شرس مع "البارق" و"الشاهق". نظرت نحوها "نهاية" بعدم فهم.. بل هروب، تثبث بانتصار الخير ونجاة الجميع فتكفي التضحية بيودوس. تسربت الكلمات بظلمة من شفتي "بداية" التي كانت تراقب المعركة بجمود مثل جمود الأشباح:

- المينوتور لا يموت،.. تلك الحرب قد تستمر إلى الأبد.

اشتدت حروفها وهي تتابع بتعبير قاتم ثقيل، يقين من نالت قراءة الرقوق كاملة:



- تعاويز الكارسو لا تمحى، لا تكسر ولا تعكس.. هي
تعويذة دب الحياة في حجريا "نهاية"، لا توجد قوة قادرة
على أخذها منه.

شهقت "نهاية" في صدمة، ارتفعت أناملها مقاربة شفيتها
وأسوء كوايسها يفتك بها.. "أن يموت" شاهق". أغمضت
عينها في رفض، سحبت الهواء بأنفها متخيلة أنها معه تدفن
أنفاسها في عنقه وتندمج بعقه غير راغبة في شيء آخر من
الحياة.

- والكارسو!

نطقت بها بعدها ببطء، كررت في فزع ورفض:

- المشعوذ سينتصر، قلبي يعلم.. حتماً لديه خطة.

- المشعوذ لم يعد يكثر بالبشر يا "نهاية".

صرخت بها "بداية" بعنف، لم تكن مهشمة ولا ضعيفة،
ولكنها كانت غارقة في الكآبة، في وعي قائم يدرك فقدان
الكثير من الدماء اليوم، باستيعاب لغة القتال القادمة من
الشمال والغرب، والجنوب أيضاً!

قالت بيأس يشبه حبر دماء الساحرة التي قتلوها:

- المشعوذ اكتمل ظلامه وتعلمين؟ نحن لا نملك خياراً،

لن نتصر دون هذا الظلام. دخلنا فيه بإرادتنا الحرة وعلينا
أن نتحمل العواقب.

واعترضت قلبها قبضة.. قبضة مينوتور صخرية ومخاوفها



تشكل أمامها مثل غول وهي تتصور فقدانه.. لقد رأت
بسالته في هذا الصباح رغم علمه باستحالة قتل المسوخ
ولكنه يثق بمالك "غاند". يا للحظة الغريبة.. يثق بصاحب
الظل الذي ابتلع أمه. هي من لا تثق به.

- هيا أخي.. أئن تشارك!؟

أطلّ همس "البارود" بنشوة وعيناه تلمع مراقبة القتال.
فيلقه الرابع يتتابع بأعداد مهولة. المئات منهم يتعاقبون مثل
موج موت، ونصف كتائب الفيلق الأول تحيط بالمعركة
كقوسين من جحيم، استمر زحف المحاربين والمحاربات
من الإقليم في تلك البقعة الجحيمية وبدأوا يتخذون تشكيلهم
محيطين برجال الفيلق الأول على شكل نصف دائرة
أكبر ليبدأ قتال عنيف بين جميع الأطراف. السيوف
تتقافز فتجز الأعناق وتناثرت الأجساد الممزقة هنا وهنا
في شكل حربي قاتم. سيطر محاربو الإقليم على الأمر في
البداية، ولكن مع انشغال "الأرقب" و"الراعي" في معركة
التمائيل اهتزت قواعدهم قليلاً ومع عدد الفيلق الرابع
الضخم بدأت الهزيمة تنال من صفوفهم. كان "البارود"
يسعى لك عزيزة أعدائه، يتفوق بشراسة تماثيله وعدد
جنوده وكل هذا ودائرة النار لم تتحرك بعد. تقف منتصبه
صلبة في الجانب الأيسر من جنوده تنتظر الوقت المناسب
لاقتحام المعركة. ظلت تعابيره كما هي، يراقب القتال
بصمت تام، القتل والفناء والدماء والهلاك بلا تأثر!



اندجت تعابيره بظلام الكارسو. ضاقت عيناه وهو يتأمل
شراسة المعركة بين "الأرقب" و"الراعي" وكتيبة المينوتور
الأولى مع مجاوريتها من فيلق "البارود" الأول من ناحية
وهرس الفيلق الرابع لباقي مقاتلي الإقليم من ناحية أخرى.
الجناح الأيسر بقيادة "جبار" تحرك مبتعداً عن المعركة فعلاً
في اتجاه الغرب بعد أن رفر العقاب وصاحت جمر
منبهة باقتراب الجيش الملعون. الفيلق السري للبارود.

مال رأسه بشكل بطيء مفاجئ ثم امتزج بظلمة عينيه
تعبير وحشي. وبعدها أعطت سبابته إشارة فهمتها جنيته،
فرسخت من جديد المسار الحارق الذي توجه نحو الفيلق
الرابع بسرعة شيطانية، وفي لمح البصر كان قد وثب
فأصبح في قلب المعركة بنفسه، والعقاب يطير من فوقه.

وسط المئات المتقاتلة ظهر الظل.. الظلام.. الشر الآخر
الذي كانت تخافه يودوس.. القتال مع المشعوذ شيء آخر
تماماً، قوة فوق استيعاب البشر.

أكبر فيلق.. الأكثر عدداً.. يتساقط كالذباب من
سيف رجل واحد. لا يفلت أحد من ضرباته، يجز سيف
آسيوس عشرة أعناق في ضربة واحدة، يشق الأرض
بقوته، يزعزع الثبات والشجاعة. يدور مقدماً الموت في
كل اتجاه يطاله. أشار كي تراجع قوات الإقليم. منهم من
عاد ركضاً ناجياً بحياته ومنهم من سقط في عجز بعد أن لم
تمهله قدماء النجاة. بإشارة واحدة شقت النصال الأرض
فتمزق اللحم البشري، دار الدخان الأسود مثل وحش



كاسر فشتت الرؤية وجزت خناجره الأعناق. عنفوان
مرعب. حتى الهاربين من الفيلق عودة إلى مسخهم قضي
عليهم. كان الدخان القاتم يحاصرهم بلا رحمة ويفتك
بهم.. كان عدد الفيلق الرابع يتخطى الثلاثين ألف رجلاً.
هرسهم الظلام.. السحق.. القوة الغاشمة.. والشر. أو كما
قال.. لن يبقى أحد. يجب ألا يستدعي أحد المشعوذ
للقتال، فكل نفس حي في أرض معركة يموت!

صرخ مقاتل من الإقليم جزعاً وقد هرسته سطوة الدخان
في عاصفة القتال الكثيرة. سقط آخر أشلاءً، وهرب
بعض من مقاتلي شعب السرداب في يأس أو من تبقى
منهم ولكن نالتهم الوحشة التي فتكت بالفيلق الرابع.
أكبر فيلق.. من خدعهم عددهم بالقوة.. فتك بهم
جميعاً!

انقضت وحشيته بلا رحمة واستقام مثل ملك موت
وسط الجثث في مشهد قاتم رهيب. مشهد خراب! تراجع
كل جنود الفيلق الأول نحو بارودهم في فزع وصرخ
"البارود".. ارتجت عيناه.. صاح البوق مستدعياً المسخ
الأقوى!

زجرت التماثيل، وزجر مسخ يغار من قوة أخيه. طلب
العرض وناله!
احذر بارود



إشارة أخرى من سبابته، بوق مختلف تلك المرة. به عنفوان مشتهٍ أكثر للدماء فلم يعطِ فرصة لراحة. خوار مينوتور قديمٍ. الأقوى.. الأكبر حجمًا.. لو تقدم للمعركة سيهرس الجميع، قواته وقوات الإقليم. ولكن هل يبالي.. لقد فقد لتوه فيلقًا كاملًا. ارتسمت فوق شفثيه ابتسامة شيطانية، وحرك سبابته متأثرًا بإبداع المعركة القادم.

خوار كئيب.. لحظة مرتب تأثيرها، كاد المينوتور الضخم يتحرك، يأخذ الجناح الأيسر من المعركة ويدور حول دائرة النار التي لم نتقدم بكامل قوتها بعد ثم يدور حولها كي يقفز في منتصف المعركة هارسًا قدر ما استطاع من قوات الإقليم، ينالهم بيده.. يفحص أجسادهم ويهشّم عظامهم ثم يلقيهم بقوة توصلهم لبحر "غاند". ولكن... كل هذا لم يحدث. كادا! فبمجرد أن زجر بشكل ساحق ظهر من خلفه غريمه، سحر الكارسو المعد له خصوصًا والوحش الذي استيقظ مسخًا بعد مئات الأعوام. "عملاق المنحدر". زجر القنطور بدوره، كان يقل حجمًا عن التمثال ولكنه كان قويًا باطشًا، بدت المعركة لناظرها فقرة من جحيم. أعجبت "البارود".. شاهد باستمتاع. قبض المينوتور بمخالبه ويده الصلبة بقوة الحديد نفسه على رقبة القنطور فتلوى بشكل مخيف ثم صاح بكل قوته ورفضه بحوافره، انقضَّ عليه بعدها بالقرون القوية النابتة من رأسه فبدأ يضرب صدر المينوتور بغية تحطيمه، ولكن كانت قوة المينوتور قائمة قاصمة، مد يده وقبض على رأس



القنطور فضربها في الأرض التي اهتزت من قوة الصدام.
دفع كلاهما جسد الآخر بعنف، كان القنطور يسعى
ببسالة لجذبه إلى الخلف بعيداً عن المقاتلين كي لا تصل
الفوضى إلى ذروة غير مطلوبة إذا ما سقط كلاهما فوقهم.
حاول القنطور نهش المينوتور بأنيابه، ولكنها كانت حركة
مستحيلة فالحجر بأسه أشد بمراحل من الأنياب. صاح
القنطور بعنف مجدداً، حرك هراوة ضخمة ف ضرب بها ذراع
المينوتور بكل قوته ليتهم جزء منه، ولكن زجر المينوتور
بعدها بعنف شديد ثم تسرب من منخاره الضخم لهب
كريه قبل أن يندفع بكل قوته ناطحاً القنطور برأسه ليسقط
الثاني على ظهره من قوة الصدام وبعدها انقض المينوتور
بكل قوته كي يغرس سيفه في صدر القنطور العملاق.

تغرس المعركة أنيابها في صدر الجميع، تلك حرب
وحشية.. كل مشارك فيها مقتول محتمل.

غيلان؟! أم سحر أسود مرعب.

تجمدت ملاح قائد الخندق من هول ما رأى، في حين
تصلبت أعين الصفوة وهم يركضون ببسالة. التقاء عنيف،
صفوة "جبار" تصرخ بحماس ويتقدمهم هو بيأس محارب
وحرصه.

الجيش.. الفيلق.. مجموعة مسوخ أنثوية مرعبة.. لون
رمادي وجلد مثل جلود التماسيح. أسنان بارزة،



خصلات على شكل ثعابين رفيعة قبيحة، وعيون جاחظة
مرعبة.. عيون جاحظة مميتة. جيش "البارود" السري لم
يكن قتاله يحمل قوة السيف ولا الرمح. بل شيء أخبث.

إذا ما التقت عينا المحارب مع واحدة منهن.. تحول على
الفور إلى حجر.

قتال مثل دوار عنيف.. اهتز الجبار رغماً عنه، جمدت
المفاجأة النغول في البداية فتساقطوا واحداً تلو آخر. لم تكن
العذراوات قاتلات بالنظر فقط بل تتابعوا بأعداد ضخمة.
كانت كل واحدة منهن تنطلق لتواجه المحارب فتبرق
عيناها بشكل مخيف ثم يتدلى لسانها إلى الخارج في صراخ
مرعب وبعدها يتجمد المحارب في شكل حجري بأبس.

- لا تنظروا.. لا تنظروا.

صرخ بها "جبار" في رجاله، بدأ يحرك سيفه في بسالة
ويجز عنق كل عذراء تقابله دون أن يقع في فخ النظر
نحوها. كانت معركة مستحيلة، واحد من كل عشرة يجيد
القتال هكذا. قرص الشمس شهد على معركة مميتة، تساقط
النغول مع الصرخات المرعبة، نال بؤس الموت من حدقتي
"الجبار" وهو يشاهد أبناءه يسقطون واحداً تلو الآخر. بل
يتصلبون في موت حجري قائم.

- لا.

ارتعشت "رام" رغماً عنها، شاهدت الجميع يتحجروا..
يموت.. معركة زاحمها جنون السحر نفسه، أغمضت عيناها



فبدأت تقاتل في عشوائية مرتعشة وكان رجال الخندق
الأفضل حظاً حيث عودهم ظلام الخندق على القتال
برؤية مشوشة فتجاهلوا النظر نحو أعدائهم تماماً، كان
الرجل منهم يضرب عينه في قرص الشمس عيناً لعين
ثم يقاتل برؤية أشبه بالعمى. انطلق الزحف الهائل على
الصفوة ورغم كل المهارة والمحاولة والبأس والقتال قضت
العدراوات في الدقائق الأولى على نصفهم.

لهاث..

راقب "الأرقب" من بعيد سقوط الصفوة في صدمة..
أسراب العذراوات تتكاثر كالجراد وبعد وقت قليل
ستخطاهم وتصل إلى قلب المعركة. زجر.. صرخ بأعلى
صوته في رجاله لتنفيذ الخطة الأولى سريعاً.

- حاصروهم.. أحضروا الجنازير

تحركت القناطير أو ما بقي منهم بصيحات حاسمة، جذبوا
الجنازير التي أحضرها المشاة فوق ما يشبه العجلة الحربية
الثقيلة متخطين الأهوال والجثث. اهتزت الأرض مع
حركة المحافل وأنهى "بارق" ورجاله على حرس الفيلق
الأول الموجودين في تلك المساحة بشراسة وبعدها كان
"شاهق" من يقود الحركة الدائرية هو وفرسانه وخلفهم
القناطير، بدأت الجنازير تتهاوى فوق أجساد التماثيل
القاسية، يلتف الرجال ببسالة في خطة تدربوا عليها في



الأيام القليلة السابقة فتخترق حواف الجنازير الصلبة بما يشبه الخطاف الحجري وتعلق به ثم يدور بها الرجال حول التماثيل ليشلوا حركتهم تماماً. كانت التماثيل قد أنهكت قليلاً بسبب استمرار القتال، تاهوا في خضم الفتك فلم تستوعب عقولهم الضعيفة ما يحاك لهم من خطة. اندفعوا في شكل هجومي هائج محاولين التخلص من القيد ولكن حنكة "شاهق" منعت هذا فقد جعل القناطير على قسمين كل واحد منهم يدور من جهة فأحكوا القيد حولهم تماماً. صاح "شاهق" في القناطير بحسم مجدداً كي يحكموا قبضاتهم على الجنازير ويبقوها مشدودة ثم التمعت عيناه بقسوة وهو يراقب دائرة النار وقد بدأت تترجج لتتحرك نحوهم. كتيبة المينوتور الثانية تحت حماية الثمانية تقدمت تلك المرة مع زئير مسخ وليس بوق يحب "البارود" صوته.

الطاغية بدأ يغضب

حان وقت معركة قائمة، ممسوس وظلاله.. وإن ظل الظل الرابع مختفياً حتى الآن. سقط عملاق المنحدر، سقط بقوة رجت الأرض رجة عنيفة وتجمدت أعين من نال من المحاربين المشهد، والمينوتور الضخم يزأر بسطوة. كيف يمكن مواجهة هذا السحر، سحر لا يموت.. لا يجوز معه القتل. سحر من تعويذة طامعة تعرف "حرير" أنها أسوأ ذنب ارتكبه في حياتها. نظرة سوداء براقعة تسربت من عينيه، طار عقابه فوقه ثم نزل طائعا له



فامتطاه نحو المسخ.. ركض المستدئب من ناحية مفرعاً
بأنياه، والوحش من الجهة الأخرى بكامل قوته. حاول
المينوتور تحطيم فك الوحش في البداية بقبضة ساحقة
ولكن المستدئب هجم عليه من الخلف فأسقطه. هوت
ضربة سيف منه بعدها على رأس المستدئب فجرحه ثم زار
المينوتور بكامل قوته وضرب الوحش بقرونه فكاد يفتك به
مثلاً فعل مع القنطور.. كان هو يقف شاهداً على المعركة
في بسالة، يحرك سيفه ببطء مدروس ويمنح عقابه الإذن
ليطير عالياً مبتعداً فوق السحب. تجمدت الأعين المراقبة
للمعركة في تحفز في حين كان المينوتور يزجر بعنف محاولاً
تخطي الظلال ليواجهه هو.. قبضة غادرة نالت الوحش
من جديد وهراوة عملاقة كانت تخص عملاق المنحدر
أمسك بها المينوتور هاوياً على رأس المستدئب فتناثرت
الدماء بشكل مفرع أمام الجميع. من تحت قلنسوته بدت
ملاح وجهه مثل بأس مظلم من بئر شامبالا نفسها. حركة
سيفه في الهواء مررت ما يشبه زوبعة وانقض المينوتور
بقبضته عليه، ولكنه تفاداه بسرعة خيالية حتى أصبح
خلفه ثم جذب بطرف يديه هراوة القنطور الملقاة على
الأرض فأدارها بقوة جبارة بقبضة يديه وهي تفوق حجمه
ثلاث مرات وبعدها ألقاها بعنف فاخرقت صدر المينوتور
وأسقطته أرضاً. هلل محاربو الإقليم الذين نالوا المشهد،
وهمهم محاربو الفيلق الأول المحيطين بالبارود بحقد. في
حين صمت خادم الشمس.. كان يراقب بمزيج من الحقد
والإعجاب قوة الكارسو الممنوحة لأخيه.



زجر المينوتور مجدداً.. زجر بقوة وعنف وهو يركض نحوه بغية الفتك به. استقام الوحش فجأة بعد ما يشبه هزيمة فوق في الطريق بينه وبين سيده وبعدها فجأة وثب المشعوذ بشكل قتالي ماهر فصعد فوق ظهر الوحش خاصته وسيفه مثل سواد قابض يطلق من حافته ما يشبه النار الجامحة. ولكنها لم تكن ناراً، بل قضيب حديدي مشتعل اخترق عيني المينوتور الثائر. صرخ المينوتور بقوة مفزعة وبدا مثل شيطان من الجحيم نفسه وقد حل مكان فجوتي عينيه مشهد النيران المشتعلة في دائرة النار. زجر.. دار بعنف عشوائي رافضاً الهزيمة وكاد يركض في اتجاه القتال ساحقاً ما تبقى من جيش الإقليم. ولكن.. فجأة هوى من السماء العقاب كالصاعقة. مخالب قدميه بقوة بحيمية منحته له تعويذة كارسو أمسكت بالتمثال.. تملكته، انغrust في جسده الحجري مثل الخطاطيف، ثم طار به ورفع في عنان السماء ليسقط قطعاً جرية متناثرة! زلزال.. هيبة سقطت.. صرخ "البارود" ثم ألقى بدعوة عودة آمرة لبقايا تماثيله ولكن أشار المشعوذ فجأة بإشارة فهمتها جنية النار خاصته فانطلقت ثلاث عجلات حربية ثقيلة مخترقة جموع الحرب والنار تجرها نور تاج مستحويين على قطع التمثال المتناثرة سوى رأسه وعائدين بها نحو محاربي "شاهق" كي يقيدوها بالجنازير مثل التماثيل السابقة.



مثل إعصار خرافي تحرك المشعوذ بعد هزيمة المينوتور الأكبر، انضم ما تبقى من جسد التمثال مسلسلاً إلى كتيبة المينوتور الأولى التي قيدها القناطير وترك رأسه الضخم بفجواته المرعبتين رسالة للبارود، ظل الرأس يتحرك بفوضى غير مرتبة فأمره "البارود" أن يسكن، يوماً ما سيعلقه على بوابة مدينته للتحذير ويقول إنه هو من قتله! كتم غيظه بمهارة.. الفقرة الأشرس من الحرب بدأت. عذراوات تفتك بالصفوة ودائرة النار تتقدم مثل جحيم عقابي. كان الثمانية ينفثون الجحيم بسيطرة سحر أسود، كتيبة المينوتور الثانية تتركز في وسطها وبعدها ما حدث كان هوية الجحيم نفسه، تعاظمت النار، بدت الدائرة وكأنها تركض واقتربت من "شاهق" و"بارق" ورجالهما فاضطروا إلى أن ينسحبوا سريعاً من مساحة انتصارهم حتى أطلت الدائرة على المشهد وأخذت داخلها كتيبة المينوتور الأولى المقيدة ومعهم خمسون محارباً صرخوا بعنف أفرغ القلوب. في داخل الدائرة من يُسحب الموت أمامه والنار خلفه. بدأت كتيبة المينوتور الأولى التي كانت مقيدة في الظهور من جديد، أذرعهم تخرق النار فتسحب المقاتلين إلى الداخل في اختطاف مفرع ومن لا يدخل لا يعود.. فقط يسمعون صراخ اقتراسه في الداخل.. تلك الكتيبة المتمركزة في قلب النار هي كتيبة "البارود" المفضلة. "الموكلة بانتزاع القلوب". بدأ المحاربون في التراجع، حتى القناطير نفسها ترددت.

- لا تتراجعوا.. قاتلوا.



قالها "الراعي" بنبرة آمرة عنيفة، دفع رجاله أكثر نحو حافة الدائرة تحاول سيوفهم ورماحهم اختراق النار الباردة من الخارج والجحيمية من الداخل ثم قذف الهراوات عليها تتمكن من التماثيل المتوحشة. بدأ القتال مستحيلاً والمحاربين يتساقطون في اختطاف مفرع وتلتهمهم دائرة النار.. فزع.. فزع تام رهيب. من قال إن هزيمة المسوخ سهلة!

فزع جاورته عاصفة مسخ آخر، ساكن المتاهة وملك أرض الثلج وصاحب الظلال. تحرك المشعوذ مع دخانه مثل عاصفة سوداء قائمة.. بدأت الظلال في الظهور وقد امتدت أيديها الضخمة مصارعة النيران جاذبين المينوتور من الداخل ثم تهشم رؤوسهم بقبضاتهم الضخمة. بدأ الهياج وزجرت التماثيل بعنف وبعدها طلت نار هجومية مستعرة من داخل الدائرة فسعت خلف الظلال.. ابتعد الوحش والمستدئب والنار تصارع أجسادهم وحاوط اللهب المستعر أجساد المقاتلين ومرر سحر الثمانية انتصاراً قبيحاً، مشهد يشبه الهلاك. ومالك الكارسو يظهر بقوة ظلام كاملة، دخانه يدور حول الدائرة بسرعة خيالية بينما تتقاذف منه النصال والهراوات مستهدفة التماثيل التي تزجر على حافة الحلقة النارية القائمة. أذرع شيطانية تمتد من الدخان يحركها هو بقسوة أصابعه فتبدأ في سحب التماثيل كي تهشم الهراوات ما تطاله منهم. ولأول مرة.. تفزع تماثيل المينوتور.. وتهرب إلى داخل دائرة النار.



صراع ملتهب.. ورجة الأرض تحمل الصراخ والعقاب.
تراجع المحاربون إلى الخارج وهربت التماثيل إلى الداخل
وتقيأت النار مرديها.. الثمانية!

التفوا حوله بسطوة كاملة، زأروا مثل حيوانات نارية..
كانوا سبعة، فثامنهم لم ينل قوة النار بعد. وقف يشاهد
بإعجاب. شكلوا دائرة متقنة وقد تركوا دائرة نارهم حول
القناطير صامدة بها ما يكفي من السعير للبقاء إلى الأبد.
شكلوا دائرة متقنة حول عدوهم الأوحده.. مالك الكارسو
الذين يريدون أن ينتزعوه منه. أطلق زعيمهم إشارته
وكان المشهد مهيباً للجميع.. غريباً.. مرعباً. سبعة أذرع من
اللهب المشتعل موجهة نحو جسد المشعوذ الذي حاوطته
النيران تماماً حتى اختفى عن الرؤية. الجحيم فكرة.. وكلمة..
وحقيقة! مشهد السماء مقبض، فوق الدائرة غمام أسود،
لا يظهر من العقاب سوى جناحيه وتصلب فولاذ محاربي
الإقليم حول الدائرة وهم يراقبون اللحظة المبهمة. يقهقه
الثمانية بشبه انتصار وتلتمع عينا "البارود" في انتباهه. حتى..
توقف اللهب، نهدت النيران ومن وسط ذروتها ورمادها
ودخانها بحث الأعين عنه.

ظهر!

منتصباً وسط الأرض القاحلة مثل شيطان أسود، عباءته
فوق جسده وأطراف قلنسوته تحيط بملاحه التي اندمجت
بأس الزهور السوداء الشرسة في مقلتيه. شهق زعيم الثمانية
باحترق وانعكس في عينيه ظلام مهلك. سبع كرات نارية



سوداء مدججة بجمر مستعر حاد الزوايا.. حد القتل الحارق.
انغرز الجمر في أجسادهم وحاوطتهم النار في قيد شيطاني،
ويد الظلام.. الكارسو.. المشعوذ.. منحتم حصاراً قائماً
من جبال ملعونة التفت فوق أقدامهم فشلت حركتهم تماماً.
ارتفع طرف الجبل نحو عقاب في السماء فجذبهم معلقين
مسجيين.. مهانين، مقيدين في أحضان الهزيمة. عاد بهم إلى
شامبالا في صورة حُفرت في ذهن من شاهدها إلى الأبد.

في أثناء هذا كان الوضع كارثياً في الجناح الأيسر،
العدراوات تنتقل بين جنود الصفوة بسرعة قاتلة أفعوانية.
يتركز "جبار" في وسط محاربيه وهم حوله في دوائر غير
منتظمة يقاتلون بكل طاقة ممكنة. ينقضون على عدوهم
بساله، والعدراوات يخترقهم كالجراد الثائر. سيفه
يتأرجح بعنف، يدور، يثابر للقتل، يقطع رأس عدراء
وثانية وخامسة ويحاول النغول أخذ حذوه ولكن.. هم
في معركة مستحيلة. مهما نجحوا في قتل بعضهن يتكاثر
عدد جديد مرعب لأقصى حد. يلتفون حول ضحاياهم
ثم يصرخون بصوتهم المفرع ويسقطونهم في نخ النظر.
كان يسمع صوت أنفاسه.. حركة سيفه في الهواء، تساقط
جبات العرق من جبهته، ضحكات العدراوات القائمة،
صراخ صفوته في شجاعة لآخر لحظة، مواجهتهم للعدو
المستحيل الهزيمة بجسارة. وسط غبار المعركة رأى خيالهم
وهو يركض مواجهاً لا تراجعاً، كلما تمكن منهم الشك



نظروا نحو قتاله الجبار وكرروها:

المجد لجبار المجد للقائد

تتحرك العذراوات مثل الشياطين المرعبة وتبدو الأفاعي في رؤوسهم متدلية كلعنة طلسم. صوته يوازي قتاله، حنجرتة تمرر اللهاث والعزيمة، سيفه يتر ويبحث بعينه بغضب ويأس عن أبنائه. "رام"، "مارد"، "فراة"، "كاي"، "رام"...

"رام" تجمدت، تحول وجهها المثار إلى حجر لعين، صرخ بعنف، تمكنت منه اللحظة، كادت تهزمه.. فجر سيفه الرؤوس باهتياج. أشداق العذراوات الوحشية تضحك بهوس في وجوه الجميع، تبدو النهاية قريبة، قريبة جداً للجميع، صفوة فقدوا ثلثي جيشهم وما بقي من رجال الخندق يزجرون في انتقام خلف قائدهم الذي تخطى بوجع منحوتة "رام". "شاهق" من بعيد يرمق المشهد بنظرة تحمل قتامة الحرب. ينظر إلى "بارق" بحزم معروف معناه وحينها انسحب "بارق" بما تبقى من محاربه من محيط الدائرة المحيمية وقرر أن ينضم إلى جنود الصفوة في مواجهة هذا الطوفان الجارف من الموت.

الحرب لعبة خبث، جيش سري تقيأه الشيطان.. احذر

بارود

قهقهه بتجبر، التقت عيناها في نظرة قائمة والعقاب يطير



مبتعداً بالثمانية، تحديداً السبعة المسجيين هدية لـ "ثا"..
توحش "البارود" وأشار لنصف كتيبة المينوتور الثالثة كي
تتضم إلى القتال، تاركاً النصف الآخر لخطة سوداء في
قلبه. تقدمت الكتيبة بشراسة مفزعة، يحملون الفؤوس
وليس السيوف، يضربون بحركات قاتلة سريعة كل
لحم بشري في طريقهم وقد طوقوا ومعهم كل رجال
الفيلق الأول ما تبقى من محاربي الإقليم كي يجبروهم
على التراجع نحو دائرة النار. ثار "البارود"، تعاظمت النار
وبدأت باقي التماثيل تدفع الرجال نحو قلبها بشراسة. ما
قبل النهاية، فتك هنا وفتك هنا، صيحات الحرب تزعزع
النفوس، وصيحات العذراوات الرعب نفسه، بعد قليل
سينتهي جيش الصفوة، "جبار" و"بارق" ومقاتليهم ورجال
الخدق. كانت معركة مشرفة!

وجه المشعوز أمام دائرة النار وانعكاسها يتعاظم في
عينيه، لم يتوجه للعذراوات، منحه ظلامه القسوة المطلوبة
والغامضة حتى للبارود نفسه. لم يترك محيط دائرة النار،
مشهد الصراع من السماء كان ثلاث دوائر متتابعة. دائرة
النار يحيط بها "شاهق" وباقي محاربي جيش القلب والميمنة
والقناطير والمشعوز. وحوهم فرسان الفيلق الأول ودائرة
المينوتور الأخرى، نصف الكتيبة الثالثة التي تدفعهم
بشراسة نحو الدائرة.

وعلى اليسار القتال العنيف مع العذراوات وقد بدونَ
بالآلاف.. لا ينتهين أبداً.



اهتزت الأرض من قوة الضربات، قوة حوافر الأحصنة، زجرة تماثيل المينوتور الغاضبة، ركض القناطير وهي تجز بسيوفها أعناق رجال الفيلق الأول في شراسة تشبه وحشية زعيمهم. اهتزت الأرض بركض كل محارب نحو مصيره ببسالة. نصر أو موت، وقف "شاهق" بسطوة مقاتل أسطوري وسيفه يخترق أجساد أعدائه، يواجه هرس المينوتور الثائر هو ورجاله بإقدام جسور. زعيمة شعب المطرقة ما زالت موجودة، تقف في المنتصف، يحيط قوما بها موجهين سيوفهم لرجال الفيلق الأول الذين حاولوا أن يحيطوا بها. تبسم.. تبسم وسط الأشلاء. من قال إنها ستكون معركة سهلة.. البقاء ليس للأقوى فقط، بل للعزيمة.. للإرادة.. للبأس.

ارتجت الأرض.. تقاتل الصفوة بكل قوتها، يهجم رجال "الراعي" بشجاعة وتجز حربة "بارق" رؤوس العذراوات بشجاعة قائمة قريبة جداً من الموت. الجميع الآن يجاور الموت، يقارب على أخذ صولجان الرحيل، إنها حرب يودوس الحرب العظمى.

ارتجت الأرض.. وعينا طاغية تشتعل.. ومشهد مهيب يفاجئ الجميع..

"قلب النبال".. ومحاربات أرض شامبالا.

هزمت حوافر الأحصنة صلابة الأرض، انطلقت النبال كسهب مارقة، اخترقت الخيول الصفوف ساحقة



للعدراوات، وانهالت عليهن السهام كقطر موت وقلب
النبال أسرع محاربات هذا المطر، نبالها تنقضُّ واحد تلو
أخرى في سرعة فتاكة مقتنصة أعين العدراوات بمهارة.
جسدها مندمج بفرسها وذراعاها وقبضتها تسيطران بحرفية
على قوسها ونبالها والتصويب في العين مباشرة.. بلا خطأ..
بلا هفوة.. بلا تردد.. صراخ.. ولكن من المسوخ تلك
المرّة. استقام يرمقها بصدمة، بفخر، بنظرة معلم لتلميذة
تفوقت على تدريبه.. بنظرة رجل إلى المرأة التي امتلكت
قلبه. القلب الذي امتلك الجبار، "قلب النبال". التقت
عيناها عينية، لمعة تشبه غروب الشمس، غمد السيف
الذي علمها أن تقا تل به، رأس السهم الذي سنه لها.
تبادل كلاهما نظرة تحمل ألف معنى وتابع سيفه بعدها
بشراسة هو وباقي محاربيه حصد حياة المسوخ، وهي كانت
اللعة التي هبطت من السماء.. بل من أرض الغابة.. على
"البارود" وعدراواته.

احذر بارود!

حرق إلى المشهد بغضب مستعر، مالت شفّته بانفعال
كاللهب، ومررت عيناها موجات متتابعة من الحقد والغيط
وذروة السعير. حرق إلى عدراواته الأثيرة والنبال تقتلع
قوتهن، نتطاير رؤوسهن بعدها بسهولة من سيوف محاربين
كانوا على وشك تقبيل الموت. فوق شفّته ارتسمت
ابتسامة عفنة، وعلى ملامحه ارتسم انفعال قلب مشوه،



منزوع، مدفون في أرض الغابة والتهمة الدود.

احذر بارود..

سبعة صبيان ظلوا مكانهم، في حين ركضت آخر كتيبة
تماثيل جوار حوافر حصان قائدها بشراسة. خلع الطاغية
خوذته.. درعه الذهبي.. استل سيفه، ملابسه ظلام فوق
ظلام، لون أسود سيناسب نهاية أعدائه. ترجل من فوق
حصانه وخطواته عزم فوق الأشلاء.. عيناه بجيم الشمس
التي ابتغاها وأصل الهاوية المستقرة في صدره مكان قلبه
المخلوع. والمواجهة تبتغي من كان يوماً مقاتله الأثير.

حان وقت الانتقام والمواجهة.. قائد الصفوة.. قائد
الغول.. "جبار"

مساحة هول.. دماء تجمدت ورائحة الموت يعتادها
المقاتل القديم. سيف أمام سيف، قسوة أمام قسوة، ثأر
أمام ثأر، شيطان أمام شيطان.

- ألم تكن شيطاني الحارس.

سخر بها "البارود" بشراسة، اتخذ وضعية القتال بحماس
ملتصع، التقى السيفان في صرير جاحم. ضيق "البارود" عينيه
بحقد وبدأ هجومه، قوة المسخ لا يستهان بها.. وجه سيفه
بكل قوة يملكها نحو "جبار" وتصدى تلميذ المشعوذ لهجومه
ببساطة فصدَّ السيف ضربةً لكثير من المحاررين قاصمة.



هوت الضربات من كليهما مثل العاصفة، كان "البارود" سريعاً، أسرع مما رآه أحد يقاتل يوماً، استدعى المسخ كل قوته. ناور "جبار" بكل مهارة يمتلكها، دار حول "البارود" بعد أن تفادى ضربة قاتلة ثم وجه سيفه سريعاً بكل قوته لينغرس السيف في الجسد بجرح نافذ دون جدوى. بارود لا يموت! هجم "البارود" بكل بأسه ثم وثب شاهراً نصله في وجه "جبار" مباشرة شاقاً درعه إلى نصفين. سقط "جبار" أرضاً ولكنه استقام سريعاً متفادياً جنون باقي الضربات المنهالة من المسخ الذي وصل إلى قمة شراسته واستطاع سيفه المرور تلك المرة بقسوة جرحت جانب الوجه البارودي العظيم! معركة قائمة لحقت بها أعين بعض من الصفوة، انتباه "بارق"، ومتأخراً "قلب النبال" التي كانت تقضي هي ومحارباتها على ما تبقى من العذراوات.

معركة شرسة.. بلا شرف، ولا عدل!

خمسة تماثيل من كتبية عفنة ولحظة سريعة قائمة قيدت الجبار وبسالته. كانت الشمس تراقب المشهد، والثقل يطل على قلوب محاربين تجمدت من هول الموقف. قيدت التماثيل ذراعي "جبار" بسيطرة قائمة موجهين صدره لانتقام المسخ. غرز الطاغية نصله في قلب زعيم الصفوة ببطء قاتل خبيث.

رفع "جبار" رأسه في شموخ أخير مستقبلاً النهاية. غابت أصوات الحرب تدريجياً.. تجمد "بارق"، تصلبت ملامح "شاهق" في حزن عظيم، مرر المسخ ابتسامة سامة،



وفقدت هي قدرتها على التفكير. لحظة مثل لكمة ألف
جنزير. ركض قلبها.. بل مات.

- لا! لا!

تحشرج صوتها.. غاب.. اعتصرت يد الموت قلبها،
اجتاح ثغرها مذاق تراب، فتح الجحيم ذراعاها لها وبصق في
وجهها.

- لا.. لا.

تصرخ، تركض بحصانها بعنفوان، بيأس، توجه النبال
نحو المسخ وظلام العبرات يفقدها التصويب، تسقط نبالها
ضعيفة ميتة مثلها قبل الوصول.

- لا لا.

تركض أكثر.. يميل جسد "جبار" على الأرض في بداية
الرحيل، تصل.. غضب وبكاء وجموح وجحيم في عينيها.
تصل وصرختها توجه السهم التالي ويمسكه المسخ بيديه
بسلاسة. قبل أن يمتد شفثيه بقسوة موت بدأ في انتظارها.
وقبل أن يدرك حصانها مواجهة الطاغية يصطدم بكليهما
ظل أسود قاتم.

قُدِفَتْ مثل ورقة هشة، ضربت الأرض وجهها
وسقطت نبالها منها ولم تبحث عنها.. لم تكن تكترث.
زحفت حتى وصلت إليه، مالت فوقه وعبراتها تهزمها..



نفسها تهزمها.. قلبها يهزمها.. موته يهزمها. يا لقسوة اللحظات
الأخيرة. تسربت الدماء من فمه، تأملت عيناها، حركت
رأسها في نفي ملتاع، مالت فوقه.. حركت بكفيها الصغيرين
وجهه.

- "جبار" لا تركني.. ابقَ معي.

طوق ملاحظها بنظرة أخيرة.. رفع يده مرتباً فوق
وجنتها.. اختلطت أنفاسه الأخيرة بأنفاسها. ابتسم لها بقوة
لا يوجد مثلها مثل في الحياة.. قوة ملاح الخندق. ثم
غابت عيناها في أفق غامض.

مات "جبار"

كررها عقلها بلا تصديق، هزته بعنف رافض، صرخت
بوجع وهي تسقط فوقه.. تجعدت شعورها، أصابها العجز
والوهن. غاب صوت الحرب. أو هي لم تعد تكترث،
انكشيت في وضع جنيني جواره ثم هربت من كل شيء
معانقة جثته.

لا بأس.. الهزيمة ليست بالموت وحده يا معلمي الجليل
"جبار".. تلميذه.. من أمام جدران النار طعن المشهد
ثباته، قبض بفكيه فوق قلبه للهرة الثانية. غامت عيناها
بظلام مستعر وحطمت قبضته مينوتور كان واقفاً في
مواجهته. حطمه بشكل كامل. أحاطت سوداوية الكارسو



به، غرق كلاهما في ظلام دامس.. نزت الدكنة في
فه ونال مذاقاً غائراً ملعوناً من عمق الأرض. مثل لهيب
مندفع جمّد الرجال من سرعته انطلق دافعاً "قلب النبال"
التي كانت قد واجهت "البارود" لتوها فأزاحها بعنف عن
المشهد. حانت لحظة حسم تأخرت لسنوات طويلة.

ملح يقاتل ظل

أبناء "حريد"



الفصل السابع والعشرون

الحرب زوبعة قائمة على الجميع!

غبار بأس كئيب، ساحة قتال صارت لا شيء.. سراب!
كل شيء ابتعد رغم أنه حولها، الصراخ.. صليل السيوف،
تمزيق السهام سكون الهواء.. طُمت أذنيها، ثُقب قلبها،
ساد الظلام عينيها. مالت نحوه تتأمله.. ابتسمت بأسى..
وضعت شفيتها فوق جبهته في استراحة محاربة.. بل وجع
محاربة. تجددت ملامحها ثم فك بها الدمع، شكلت رقادها
جواره في وضع منكش ثم دفنت أنفاسها في صدره
الميت!

ساد الظلام.. ساد الوجع.. ساد القنوط.. مات "جبار".

مرت الشمس عليهما بيؤس ورسمت المعركة خريطتها
حولهما، تساقطت أشلاء الحزن لأنه وجد نفسه عاجزاً عن
التعبير عن تعاستها ولو رأتها "ضوء القمر" لعانقتها في وجع.
ولكن من رآها كان "فيصل" ولم يعرفها.. كان يبحث عن
أفعاها!

- استقيمي يا "قلب".

صوت يتسلل.. يخترق سحابة الوجع التي شكلتها حول
نفسها، يثابر حين ادعت عدم الاستماع.

- استقيمي يا تلميذة "جبار".

بدا الصوت عنيداً، قاسياً، استدارت بغضب، بيأس



وشراسة ومقتلان جمدهما الدمع. كانت هي.. العجوز
زعيمة شعب المطرقة، تقف جوارها وخلفها خمسة عشر
رجلاً وامرأة مِّن تبقوا من قومها. رفعت المرأة ذقنها
بشموخ وقد تطايرت خصلات شعرها البيضاء خلفها
وسط وهج المعركة.

- نحن قوم لا نجيد القتال ولكننا قاتلنا، لم نترك معركتنا
أبداً.

وحظت بعدها عيناها وتابعت بقسوة آمرة:

- استقيمي يا ابنة "ضوء"

- لماذا!

صرخت بها "قلب" في وجع، رقادها بات نصفين،
نصف متعلق بجبار ونصف يشبه استقامة يواجه المرأة في
تحديّ حزين.. كررتها بشرخ، بحة وجع:

- لماذا!

قالت العجوز بعزم:

- لأن الحرب لم تنته بعد.

- انتهت بالنسبة إليّ.

لم تستسلم العجوز.. بل اقتربت منها، جلست على ركبتيها
أمامها، ابتسمت لجثمان "جبار" بتقدير ثم ربّت رأسها
وتابعت بنظرة ملتمعة بالفخر والحماس:



- هل توقف "جبار" عن القتال حين رأى أبناءه يتحجرون أمام عينيه! لا وألف لا. ليس قائد الصفوة. ليس "جبار" الذي أعرفه. لقد قاتل بشرف لآخر لحظة.

ارتج بعدها صوتها، تضخمت قوتها، حاوت وجنتي "قلب" بكفوفها المتغضنة واستكلت بعزيمة مقاتلة لن يثنيها الموت عن هدفها:

- استقيمي يا "قلب النبال"، دورك لم ينته بعد.. اجعلي الجبار نخوراً بكِ.

أغمضت "قلب" عينها بوجع، شهقت تكتم سعي قلبها المحترق، تقاثل دوامة الحزن الزئبقية التي ابتلعته. دفنت حسرة الفقد بينما كلماته تومض في عقلها:

- أريدك يا ابنة "الأرقب"

- لنهي معاركنا أولاً

- قد لا أخرج حياً!

صرخت.. بألم ورفض وعمة فقدان، بئس تستحقه بل هو من يستحقه. هي ليست تلهيدته فقط. هي حبيبته.. هي زوجته. استقامت في صمت ثقيل، جمدت عيناها وهي تنتزع انتباه مقاتلين من الصفوة، أشارت لكليهما بحزم:

- حافظا على جثمان القائد.

ثم ركضت نحو نبالها، نحو قيء الحرب.. ركضت كي تنهي على من تبقى من عذراوات جوراء. لن تبقى منهن



قايضك الكارسو على الكثير! مبادئك، الخير داخلك..
الكارسو يصقل مالكه. يمنح الكارسو القوة، والسطوة،
والأسرار. يمنح الوجد.. والحكمة، والقرار. يمنح شجاعة
الخراب!

خطواته مثل هرس بحجم أسود في مضمار حرب. ضحك
"البارود" بهيستيريا، وخبث. تراجع.. حما نفسه بنصف
كتيبة التماثيل التي عادت وتشكلت أمامه في وضع سهم،
كل تمثال يقترب في زجرة شرسة من مالك الكارسو،
يضرب بسيفه في قوة حد الشج إلا أن السيف ينكسر،
ينقسم نصفين على جسد المشعوذ. وينال بعدها التمثال دفعة
شيطانية، يُقذف مثل حجر رقيق. تمثال تلو آخر.. تلو آخر..
تلو آخر.. يتراجع "البارود" في إعجاب وهيستيريا، يحيط
به حرس من فيلقه المفضل، يشكلون حوله من المقدمة
نصف دائرة حامية وقد تراصت دروعهم البرونزية
الضخمة جوار بعضها بعضاً على شكل جدار رادع، تخرق
رماحهم الجدار، يقذفون بها جميعاً في وجه المشعوذ و... لا
شيء.. تتوقف الرماح، تتجمد، تستدير لهم ثم تنطلق نحوهم
مثل قضبان نارية خارقة فتنفذ من الدروع وتقتلهم.

خطواته مثل هرس بحجم أسود. بل هو الجحيم الأسود.
خلفه ظلام.. أمامه ظلام، وهو السراب الفاسد! حين



اجتمعت من جديد زجرة التماثيل، وتكاتفوا في هجوم آخر
بُغية حماية قائدها، نص الكارسو قانونه، حاوط الدخان
الأسود أرض معركتهم ف فصلهم عن باقي القتال، دخان
يشبه الكوايبس، صراخ، أنياب، نصال وخناجر ومطارق
وهراوات تقاتل التماثيل في عاصفة مزججة. ضحك "البارود"
وهو يتراجع وسط جثث فيلقه. عيناه ملتفعتان بالخبث
والبأس وسيفه يواجه صدر أخيه.

- أنت تعلم.. نحن لا نستطيع قتل بعضنا بعضاً.

ولم يعقب المشعوذ، مثل جبل صارم وازت قبضته آخر
خطوة وبعدها تحطمت أنف "البارود" بعنف جامح.

بدأ القتال

معركة تأجل وقتها مئات الأعوام..

أولاد "حرير"

أبناء ملك آسيوس.

ملح يقاتل ظل!

لهاث.. سهام تنطلق مثل صواعق متجسدة وصليل
سيوف يبتز الرقاب، ما تبقى من جيش الإقليم كاملاً
الآن أمام تماثيل المينوتور وفيلق "البارود" الأول. كانت
دائرة النار تبدو مثل وحش من قاع الجحيم، اللهب رغم
موت الثمانية ما زال صامداً، رائحة الموت تطل بعنف



وتحاوط الجميع، رجال الخندق يصرخون، يتجمعون هم
ومن تبقى من الصفوة في المذبحة حول الدائرة، فنصف
الكتيبة الثالثة من التماثيل والتي كانت تحاوط "البارود"
في البداية بدأت تحاصر الرجال كي تدفعهم نحو النار، في
حين بدأ من نجا من هراوات المشعوذ من الكتيبة الأولى
الخروج من النار بشراسة وسحب الرجال ثم قذفهم داخل
الدائرة لتفتك بهم كتيبة المينوتور الثانية.. آكلة القلوب.
إنها أعتى معركة على أرض يودوس، ثلاث دوائر من
الموت!

سيف "الأرqb" يهوى على الأعناق، يصرخ في رجاله
بالثبات، يتفادى هجوم التماثيل ويحرك درعه بمهارة فيمنع
توحش الهزيمة قبل أن يطاله. في لحظة خادعة بأسة
كاد يتمكن منه تمثال، استطاع "شاهق" بمهارة أن يثني
جسده بشكل أفقي ثم يدور بكل قوته فيضرب جانب
التمثال بهراوة كانت في يده الأخرى غير اليد الممسكة
بالسيف. تراجع التمثال وسقط فاقداً ذراعه، هلك الرجال
واستجمعوا شجاعتهم بعض الشيء، أما "الأرqb" فبين
سقوط واستقامة كانت شرذمة غاضبة من رجال الفيلق
الأول قد أحاطت به ليبدأ قتالاً منفرداً معهم. نزال مهيب
يليق بقائد. قتال ضارٍ لا ينجو منه محارب عادي، كانت
سرعة "شاهق" محسوبة، سيفه حاسم في التوقيت المناسب،
انقضت عليه السيوف مرة واحدة من ثلاث اتجاهات
فراوغ الأول واخترق سيفه لحم بطن الثاني، في حين



حطمت الهراوة رأس الثالث. "شاهق الأرقب" يستطيع القتال بمهارة تامة بكلتا يديه. يمتلك من السرعة والقوة ما يجعله قادراً على ردع خمسة محاربين مرة واحدة. كانوا يتقاتلون معه بحقد، بغل. ييقين بموتهم على يده إذا ما نالت بارودهم الهزيمة. وشر تجرعوه مع أمر البوق الأول "اقتلوا الجميع".

- لا تتركوا أماكنكم.

صوت "الراعي" حاسم، بقوته الجسدية الخارقة كان يتنقل بين التماثيل، يتفادى ضرباتهم.. لاحظ الرجال أنه توقف عن الهجوم عليهم، فقط يناور ويشتت ويبقيهم في دوامة محاولة النيل منه حول النيران. حين اقترب منه تمثال حانق وكاد يحطم ظهره بسيف خبيث استطاع "الراعي" تفادي الضربة ثم القفز فوق كتفي المينوتور ومنحه ضربتين متتاليتين فوق رأسه بحرته الثقيلة فتشم رأس المينوتور وظل يدور بقتال أعمى دون رأس. بعدها دار "بارق" بجسده دورة كاملة ونزل على الأرض وسط انبهار الرجال ليستكمل قتاله. هكذا كان "شاهق الأرقب" و"بارق الراعي" يقاتلان حتى آخر رمق بكل ما أوتيا من قوة، يعلمان في أنفسهما استحالة قتل التماثيل، ولكن يجب ألا يتراجعوا عن أرض المعركة مهما كلف الأمر، هي لحظات حياة أو موت.



بأس مسحور.

بضربة مثل برق انقض عليه المشعوذ دون كلمات، جرح آخر طاعن في مكان القلب الفارغ. قفز "البارود" بصرخة هيستيرية مكابرة وقد شعر باحتراق في موضع قلبه. لهث بعنف:

- خيث أنت وحريرك.

كاد يهتز للحظة وهو يفكر في احتمالية وجود قوة خارقة للسيف الذي استخدمته "حرير" في التعويذة الخاصة بمخلودهم، ولكن الثام جروحه مرة تلو مرة منحه الاطمئنان. راوغ هو بسرعة خادمي الشمس، دار بحيوية دورة كاملة حول أخيه ثم اندفع بكل قوته باغياً غرس السيف في جسده، يريد موضع القلب.. "قلب" كان ميتاً وبات حياً. لهث بعدها بحقد وهو يراقب سيفه الذي اعوجَّ مثل قوة عرجاء أمام صلابة صدر أخيه التي باتت قريبة من الفولاذ.. تسربت حروفه بوحشية مغتازة:

- هذا الكارسو ليس عادلاً. "حرير" ليست عادلة.

ولكنه بعدها ضحك، تابع الدوران بهيستيريا نرجسية، نالت عيناه نظرة نحو صراع تماثيله مع الضباب الشيطاني، أعجبه التعويذة، أعجبه المسخ الجديد، هو جحيم دخاني يفتح فكيه على كل أنواع العذاب المتاحة حسب إبداع المالك. حتى التماثيل الشرسة التي لا تعرف الخوف بدأت تتراجع. ذاب على شفثيه تعبير سام.. كان دوماً الأذكي..



لقد أخبرته أمه بهذا قبل أن يلقيها في البئر. هو لن يستطيع هزيمة الكارسو وتعاويذه بالقتال. سيفعلها بالخدعة. بل هو بدأ فعلاً.. الفخ الأول قتل "جبار"، سحب أخيه ودخانه الشيطاني من محيط دائرة النار حتى يتسنى للتماثيل الفتك بجيش الإقليم كله. الفخ الثاني.. معركة شرف! عيناه تنتفض، كلماته لهاث ماكر، شره مقبرة دفن فيه الكثير وما زال لديه متسع للكثير أيضاً.

- ما رأيك يا أخي العزيز لو تواجهننا رجلاً لرجل دون أن تحتمي بالكارسو.. قتال شريف.

مثل جبل صلب منغلق على بؤسه لم تجد ملاح مالك الكارسو بتعبير، أطرق عينيه إلى الأسفل في صمت مهيب ثم نطق بعد وقت بصوت يشبه بؤس الرعد.. يشبه دوامة ظلال ظاهرها الثلج وباطنها النار.

- موافق

هذا القتال لا يستند فقط إلى عزيمة الرجال.. شجاعتهم.. بأسهم.. هو قتال غير عادل ولكنه ضروري.

قتال مع المسوخ

انتهى فيلق "البارود" الأول تماماً وبقيت التماثيل. حدُّ الدائرة لعنة.. القلب نار والحافة تماثيل شرسة بات توحشها هرسٌ للأشلاء، ذابت الجموع هرساً ودعساً في خضم



المواجهات العنيفة، بدأت دائرة التماثيل تضيق حصارها عليهم، تندفع إلى الأمام في توحش شرس وتدفع كل محارب إلى خيارين لا ثالث لهما. القتال حتى الموت أو التراجع نحو دائرة النار كي يُفتك بقلبه. ولكن... كل هذا لم يهزم الإصرار في نفوسهم، قتال.. قتال.. صياح الحرب الحاسم، تندفع الجموع المحاصرة ببسالة لقتال المسوخ وسط صيحات منزللة.

المجد للإقليم.. المجد للإقليم.

بدا المشهد من السماء للعقاب ثلاث بقع، جيش الإقليم محاصراً حول دائرة النار بحلقة تماثيل شرسة، مشهد يشبه جسيم الشمس. وحلقة أخرى، سوداء متأججة بالنصال تصارع كتبية تماثيل أخرى وداخلها ضباب رمادي يحوي "البارود" والمشعوذ. وقد بدت صورته كقمر معتم. ومساحة جانبية تركض فيها "قلب النبال" ومحاربات شامبالا خلف آخر الهاربات من عذراوات جورا. صورة تشبه القوس. شمس وقر وقوس نبال!

قتال الملح والظل

بروح مشتعلة مثل النار حرك الملح سيفه، ذابت ابتسامة جرد حاقد على شفتيه.. بدأ بحماس هجمة مباغتة، قتال شرف كما طلب.. قوة مسخ مجردة أمام قوة مسخ مجردة.. دون تماثيل ودون كارسو. هجمته كانت سريعة أسرع



من أي مقاتل عرفته يودوس يوماً، سيف يراوغ ثم دار به نصف دورة حول هذا الذي كان واقفاً ببأس ثابت قبل أن يخطّ السيف طعنة في جانب بطنه. راقب المشعوز جرحه الذي التأم سريعاً بانفعال ثلجي قاتم ثم عادت عيناه لترتكز على ملاح الآخر وهو يراقب بإمعان ما قصد التأكد منه. زال سحر الكارسو مؤقتاً كما طلب. صرخ "البارود" بكل قوة اكتسبها على مدار السنوات، كل قوة نالها من قلب عذراء أو محارب، قفزته جعلت سرعته تلك المرة مثل السهم، كان مندفعاً بتفكير طامع نحو الفرصة الأخيرة.. اقتناص قلب أخيه الحي، وتوحشت عيناه بندم. ليت قلب يودوس كان له. لهائه وازى أفكاره وقوة اندفاعه.. ربما لو نال القلب يموت أخوه وظلاله. الكارسو كتاب خبيث، ونعم ينتصر الشر أحياناً، فقلب الشر دُفن من زمن وأكله الدود.

باء هجومه بالفشل، كانت حركة المشعوز في التفادي لا تقل سرعة ولا مهارة عن تكتيك هجومه، لف بجسده نصف دورة ثم استدار وسيف آسيوس في يده وقد نفذ ضربة قاسية خطيرة دار بها السيف حول جسد "البارود" من المنتصف فشق اللحم بضربة نافذة. صرخ "البارود" بعنف، ألمته قوة السيف.. تراجع لاهثاً وهو يدفع بكل قوة داخلية يمتلكها كي تلتئم جروحه سريعاً. وثب مجدداً بعنف وسيفه تلك المرة موجهها نحو حلق خصمه بعنف مهتاج، ولكن المشعوز حرك سيف آسيوس بسيطرة محكمة



فضرب سيف "البارود" بقوة قاهرة حتى طاح من يده،
طار ليسقط وسط صراع التماثيل المتطاحنة مع الدخان،
زجر "البارود" بغضب وتوجه بكل قوته نحو المشعوز وقد
اندجبت قواه في دفعة غاضبة نحو أخيه وسيفه، أراد
قتالاً بيدين عاريتين. كانت ورقته الأخيرة.. مضغ حروفه
ببطء ولوى لسانه عدة مرات كرقص شيطاني مثل أفاعي
رؤوس عذراوات جورا:

- ما بك.. ألا تملك شجاعة التخلي عن سيف آسيوس، أم
إنك لا تستطيع مقاتلتي من دونه.

غاص تعبيره المشبع ببريق ضوء ماكر في لجة الظل. نظرة
مثل حطام قادم شعت من عيني المشعوز، وملاح قريباً
ستسود الشمس! تمنحها الظلام التام. رفع السيف عالياً
إلى فوق حتى بدا مثل سوط شيطان ثم رماه بقوة جبارة
ليطير مثل قذيفة عاتية فيسقط في منتصف دائرة الدار
تماماً. كانت الإشارة.. وبعدها حدث ما لا يتوقعه عقل
بشر.

لهاث.. صدمة استنكارية، تراجع "البارود" وأخوه
يتقدم نحوه بعيون مثل سعير أسود ولكن ليس بقبضتين
عاريتين.. بل التف حولهما جنزير حارق.

صرخ برفض:

- لقد وافقت على القتال بشرف.

منحه المشعوز نظرة مثل هوة ساحقة:



- أنت لا تستحق الشرف.

وارتجت حدقتاه فيما يشبه رقصة حطام. تضخم الدخان في ذروة نزاله و فجأة خرجت منه مئات الجنازير دفعة واحدة لتقيد التماثيل ويطير بهم في إعصار وحشي جامع نحو دائرة النار، يقذف بهم في منتصفها تماماً ثم يطوق المشهد في حلقة مرعبة دافعاً باقي كتائب التماثيل إلى الداخل بظلمة قتال عنيف.

دائرة سوداء مستعرة تحاوط دائرة نار جحيمية

يقهقه "البارود" .. يلهث بجنون.

- فات الوقت، لن يستطيع دخانك هزيمة التماثيل، النار قاربت على التهام كل البشر. لم أكن أبتغي القتال بشرف حقاً.. لقد ابتلعت الطعم.

يصرخ في إشارة طاغية أخيرة، تتوحش تماثيله بشراسة، يتراجعون نحو الدائرة رغبة في دفع البشر نحوها أكثر وجذب الدخان لها.. يتحشرج صوته بعد أن دفعه المشعوذ أرضاً وحاوط عنقه بقبضة غاشمة. غمغم ببأس:

- لن تستطيع قتلي أبداً.

ابتسم المشعوذ، لأول مرة!

كانت حدقتاه حلقة النار، وحلقة الدخان الأسود.. جذب "البارود" بعنف قائم من عنقه فرفعه بسلاسة ثم أداره نحو المشهد مقيداً عظام رقبته بالجنازير وهامساً



بتوحش جوار أذنه.. توحش فاسد مستنداً إلى معزوفة
هلاك:

- ومن قال إنني أريد قتلك.. أنا أريدك أن تشهد
"نهاية" تماثيلك .. أنت من ابتلعت الطعام!

لحظة النهاية لحظة قاصمة.. لحظة مزلزة. قال لهم القادة
في آخر تكتيك الحرب:

اركضوا مع رجّة الأرض!

وارتجت الأرض.

صرخ "بارق" في رجاله، "شاهق":

- الآن!

من العدم وبعد أن كانوا قد اختفوا من الصورة ظهرت
القناطير والظلال، اخترقوا بحافل المينوتور المحيطة بالبشر
ففرقوهم وانتشر الدخان مثل ضباب قاتم مكملاً دفع
التماثيل إلى الداخل في حين ركض البشر بيأس ويأس
خارج الدائرة السوداء قدر استطاعتهم.

وبعدها فجأة.. ومع انفجار جحيم القهر داخل عيني
"البارود" وتساقط حروفه في غمغمة يقين حانقة:

- أين "غاند"؟!

ظهرت الأفعى!

أفضل تعاويد الكارسو



يكون باطن الأرض لكِ كبحر "غاند"!

انفتحت دوامة هلاك، حفرة بحيمية هائلة شقت الأرض وقد ظهر جسد "غاند" الضخم من خلالها ملتفاً مثل بحيم حلزوني ساحق ابتلع دائرة النار وما حولها، بشر تركض في فزع تلاحق أطراف النجاة، تماثيل تسقط في بؤرة النهاية ليلتلعهم باطن الأرض بشراسة. دفع الدخان بهم جميعاً وعلى طرف حافة الجحيم قفز رجال وسقط رجال وتعلق بعضهم بين نجاة وموت وهم يرمقون بهلع الأعماق المظلمة. نجا "شاهق"، قفز في آخر لحظة وسط ركام التماثيل والبشر، وقد ساعد قدر استطاعته في إنقاذ ما يمكنه من المحاربين، و... تعلق "بارق" في منتصف بين موت وحياة. جسده متعلق بالحافة وتحت حفرة بحيم.. كانت أظفاره قد فقدت قدرتها على شق الأديم أكثر وهزمت قوة جسده الصمود. صرخة ضارية تسربت منه، صرخة نصر رغم كل شيء، صرخة بطل أسهم في إنقاذ الجموع حتى اللحظة الأخيرة، كان يحمل المحاربات والمحاربين بكلتا يديه ويقذف بهم خارج دائرة الهلاك. يوماً ما سيقصون هذا لابنته، أو ابنه لا يعلم.. لبدائته. ارتجت مقلتها، وعلى بعد مسافة ليست بعيدة في قلب الراعي ارتج بطن "بداية"، ركل جنينها بعنف! ركضت إلى النافذة في هلع تراقب المشهد الأخير وتسربت من عينها اليمنى دمعة خوف مكتوم.

الحرب.. وجع مشوه. يقين بالفقد يصيب الجميع.



أشباح البشر تركض مسرعة في آخر لحظة، دخان شيطاني يطوق الفراق الأخير وتماثيل تسقط في هلاك الأفعى.

وداعاً "بارق الراعي".

أولاً!

همس امرأة متوسلة الخير يطل من أعماق الظلام:

- الحرب.. هل يمكنك؟

وحينها كان جوابه خليطاً البؤس والغضب.

- لا يمكنك طلب الحماية لأحد.. لم يعد من حقك.

تدحرج على مقلتيه انفعال قاتم، وارتمت أصدائه في عنف قبل أن يحرك سبابته في حركة دائرية آمرة فيقذف الدخان بجنزير ضخم طوق خصر "الراعي" وكل من تعلق بالحافة مثله وجذبهم بضراوة خارج حفرة الجحيم. بعدها تعاظمت "غاند" بشكل مرعب، تراجع الدخان وأحكمت الأفعى حصارها على كل التماثيل ومن لم يستطع النجاة من البشر، التفت بشكلٍ حلزوني سريع جبار فأصبحت فوقهم حتى اندمج جسدها بالأرض بشكلٍ كامل وردم الحفرة كلها.

صرخ "البارود" باهتياج

سقط فوق ركبتيه يراقب بحسرة المشهد الأخير في حين اكتمل التفاف الأفعى الضخم وطلت تعويذة الكارسو



قدم الرجال أرواحهم فداء الحرية. هنا تحررت يودوس.

"قلب النبال"

بين يديها رأس آخر عذراء، ذبحتها بنفسها، تذكرت
كلمات معلمها الجليل وقشعريرة فقدانه ما زالت تسري في
أوصالها.

- لا تعلمين متى ستحتاجين إلى السيف.

ممتئ دربها بالفقد، بالجثث، وبالأس. "قلب النبال"
تشكلت من جديد.

"بارق الراعي"

خطواته منهكة، أنفاسه الثائرة تبحث عمن نجا من رجاله..
راقب بملامح محفور عليها أثر المعركة جسد "غاند" المتحجر
مثل شيطان من الجحيم ووقف حوله من تبقى من محاربيه
في صمت مهيب قبل أن يركعوا احتراماً للراجلين، جثث
ذهبت بلا جنازة ولا قبر، رجال قدّموا أرواحهم فداء
النصر حتى اللحظات الأخيرة، وإن استقرت عظامهم تحت
منحوتة الأفعى.

"شاهق الأرقب"

في أرض آسيوس وقع قائد وعالم وتاجر في نخ "البارود"،
وتحرر نسلهم بعد أكثر من مائة عام منه.

تجمدت ملامحه بصلافة وحشية على المشهد، دار بيأس
بين الجرحى مرتباً عزيمتهم ووقف أمام جثمان بطل كان



شريكة من البداية في خطة الخلاص من الطاغية، أطرق رأسه ثم قال بصوت بأس عميق:

- ظهرت مباحج الصمت يا "جبار" .. هزمتنا الطاغية.

وضع سيفه أمام صدره في تحية عسكرية، ووقف خلفه من تبقى من جيش الصفوة قبل أن يكرروا خلفه بعزيمة التحية للبطل الراحل:

المجد لـ "جبار" المجد لقائد الصفوة

"بداية الأرقب"

صدرها المرتج يلححه من بعيد، تركض بلهفة وهي تمسك بطنها، تركض بعنف جائع للاطمئنان عليه، لنيل عقبه، للتأكد أنه حي. دفنت شهقاتها في صدره. بكت حد الحزن والسعادة في الوقت نفسه. كانت لحظة يقين قائمة، تحمل الفقد والنجاة، النصر جوار رائحة الموت. مرت عيناها بحزن على مشهد الجثث المتناثرة وظل "غاند" المتحجر الكئيب.

تخلصت يودوس من الطاغية.. ودفع الجميع الثمن. جاورت "الراعي" ليس كـ "بداية" البسيطة كما كانت من قبل، بل "بداية" مدججة بتفاصيل الرحلة، بالنصر والبأس والوجع.. بالمعرفة. احتل شفيتها عزم الحروف، عزم التجربة التي شكلتها.

- لن تسمح يودوس بطاغية جديد.. لقد سدنا الثمن



غالبًا.

أوما لها "بارق" بحكمة وضمها نحوه، ليست بدايته فقط،
ليست مجرد "بداية الأرقب" أو "الراعي". بل أقوى امرأة
قابلها.

- لن نسمح.. لن تستسلم يودوس لطاغية بعد الآن.

إلا أنه منحها حقيقة واجبة.. حتى لو عن مالك الأفعى
التي ابتلعت أمه وكادت تدفنه تحتها.

- لقد أنقذ حياتي!

"نهاية الأرقب"

موت.. للموت رائحة عفنة.. مخيفة.. تجددت.. حتى
الخطوة خانتها.. من بعيد رأتهم جميعاً، كل في بقعته
يستوعب مخلفات الحرب، يستوعب النصر والفقد. بدا
المشهد لها مثل صحراء قائمة، تمثال الأفعى مثل نصب قائم
يرمقه الجميع بوجل وعقاب طار بالطاغية البأس نحو عزلة
أرض الثلج. لم يسعفها لسانها كلمات ولا قوة واضحة. بل
قوة أخرى مستترة.. عظيمة بطريقتها. حملت الماء والطعام،
والقماش النظيف وأعشاب الجروح المداوية وطافت
تساعد الجرحى. وبعدها على الفور انتبهت نساء الإقليم
اللاتي كنَّ معها لواجبهنَّ الآن، وطفن يساعدن من نجا
من الأبطال.

المشعوذ



ارتسم سياج البأس، حاوط يودوس، حاوط قلبه،
انتهى.. امتلاً باطن الأرض بساكنيه الجدد.

لحق ما تناثر فوق شفثيه من دماء خصمه.. أخيه!
واجتاحت عيناه نظرة قائمة كالفلواز بعدما جاورته
الجارية في طاعة وما تبقى من جيشه من القناطير والنمور
والمسخ الدخاني صنيعة يده. راقبت العيون بوجل وتحفز
خطواته وكان مساره غريباً كثيباً يزرع البرودة القاسية
والظلام في كل بقعة يخطوها. توجه إلى منحوتة الأفعى
التي جمدها بنفسه ثم مد يدها داخل فمها المفتوح وأنيابها
المتحجرة وسط تصلب الجميع وبعدها سحب من داخله
السيف.

سيف آسيوس (كان السيف مغروساً في مركز دائرة النار
قبل أن تظهر "غاند"، كان إشارتها الحاسمة للهجوم)

استدار بنظرة غائمة كالضباب يرمق جمع البشر المراقب
لهيبته في صمت، ثم أشارت سبابته بأمر جامد لجنيته
فمرت مساراً نارياً خاصاً به أبعد عنه الجميع حتى غاب
عن ناظرهم داخل سحابة دخانه.

هل ستختفي رائحة الموت؟ لا

حتى بعد دفن الجثث ستبقى أياماً وسنوات عالقة في
صدورهم وذاكرتهم. كانت جنازة ضخمة، تحفز من تبقى
من الشعراء وكانوا فقط نحسة لتدوين تفاصيلها في عقولهم.



في مقدمتها "الأرقب" وجواره "الراعي" ومعهما زوجتاها
ابنتي "الأرقب". في مقدمتها نعش قائد الصفوة "جبار"
وخلفه.. "قلب النبال" والمشعوذ. حمل النغول جثمان
أبيهم، تبقى ثلثهم فقط.. كتموا حزن الفقد العملاق
داخل صدورهم ورفعوا الجثمان بشموخ ثم ارتجت
صدورهم بتحية عسكرية:

- المجد للقائد.. المجد لجبار.

الرحلة استمرت مسيرة يوم ونصف.. دُفن "جبار" ونغوله
التي حجرتها العذراوات في أرض الموت وبني القناطير
حول قبورهم أنصَاباً تذكارية حملت أسماءهم جميعاً.
تجمدت نظرة "قلب" بعظمة الفقد، ثم أغمضت عينها سائحة
لعبرة أخيرة بالسقوط قبل أن ترفع ذقنها في شموخ ويتجمع
خلفها باقي جيش النغول ومحاربات شامبالا، جوارها
مالك الظلال.. يقترب بيأس من القبر، يضع فوقه سيف
آسيوس ثم يحرك سبابته بأمر نافذ فيندمج السيف ملتصقاً
بشاهد القبر إلى الأبد. رفع يده في إشارة حاسمة فرقع
الجميع في وداع أخير احتراماً لـ "جبار". نصها الشعراء بعدها
في كلماتهم حتى حفظها الجميع.

منح المشعوذ سيف آسيوس لـ "جبار" تقديراً له.

وفي الإقليم التقت ثلاث أخوات بعد قسوة الرحلة،
عانقت "نهاية" "قلب" حد التثبث وفهمت "بداية" القرار



قبل نطق محاربة النبال به:

- سأغادر يودوس.. تحققت نبوءة "حرير".

كانت حروفها مرتجة بوجع، كتمت عينها العبرات
ولكنَّ حروفها ما زالت تبكي. عزم ملامحها وضع الخاتمة.

- لا أستطيع المكوث هنا بعد الآن.. ليس من دونه.

عناق أخير تم، وداع أبدي حزين.. تحركت بعدها "قلب
النبال" مغادرة الإقليم في موكب مهيب وخلفها محاربي
الصفوة ومحاربات شامبالا.

جيش الصفوة الجديد.. أطلقت عليه جيش "جبار".

جيش هدفه مغادرة يودوس وتحرير كل بقعة يمرون بها
من الأرض من كل طاغية ظالم.

سيبقى اسم "جبار" خالدًا في الحكايات إلى الأبد.

أمام سحابة ظلام عملاقة وقف سكان الإقليم، تقدموا
في ثبات يقودهم "الأرقب" و"الراعي" وقد ارتسم فوق
ملامحهم البأس والعزم واليقين.

قوة ما بعد الحرب، وقسوة ما بعد الحرب.

قال "شاهق" بنبرة متزنة محادثًا الجنية:

- نريد رؤيته.



كانت الظلال تدور حول الدخان، أما العقاب فيطير
فوقه دون توقف.. زجر الوحش وكشر المستدئب عن
أنياه، في حين رفرف العقاب جناحيه في تحية الظلال
لمالكها. انقشع الدخان في طاعة. وتراجعت الجارية مع
هبة ظهوره. تجمدت الملاح مع رؤيته وتصلبت الأعين
مرتكزة عليه مع اليقين غير القابل للنفي.. ليس فقط قوته
الغاشمة، ولا قدرة الظلام البائسة داخله، ولا السطوة
القادرة على محو جيوش كاملة.

هو المشعوذ.. هو وريث آسيوس

ركع "شاهق" في البداية.. تحية مبجلة.. وتبعه "بارق"
ثم "بداية" و"نهاية" والمحاربون جميعاً وسكان الإقليم. تحية
مستحقة.. حق لن يهرب البشر من الاعتراف به. هو ملك
آسيوس ملك يودوس الشرعي.



الفصل الثامن والعشرون

بعد مرور خمسين عاماً

لم تعد يودوس ملك حيلة ساحرة!

ضع نقودك في صرة، وانظر حولك ثلاث مرات قبل
اختيار طريقك. شعب يودوس الآن يمتلك القرار، شعب
مفكر.

هيا هيا.. اذبحوا ديكاً سنأكل اللحم الأبيض اليوم.

قالتها العجوز بسعادة، بعضهم يطلقون عليها العرافة،
وآخرون يلقبونها بزعيمة شعب المطرقة! هي التاريخ
الحقيقي.. لم يعد هناك زيف في يودوس بعد الآن. يسألها
تلميذ.. تلتمع عيناه بشغف وهو يريد استكمال الحكاية رغم
أن التاريخ لا تخبرهم كل شيء.. تقول إن بعض الحكايات
يجب أن تبقى رهينة المجهول. تبسم وتُكَلِّم الكلام المعهود.
"ركع من تبقى من شعب يودوس للملك المستحق..
المشعوذ. كان هذا حقه ولم يكن "الأرخب" ولا "الراعي"
رجال ينكرون الحق.. ولكنه رفض الملك. لم يكن هذا ما
يبحث عنه".

"عن ماذا يبحث إذن؟"

يسأل أزرق في لهفة، هذا هو اسمه.. كان فتى شجاعاً قالوا
إن الملكة من أطلقت عليه هذا الاسم حين وجدوه يتيماً
في سلة. تنفست العجوز بقسوة، تغيم عيناها بحزن ثم



يقين.. "عنها.. يودوس!".

حكايات التاريخ دوماً هكذا.. لا تخبرهم كل شيء..

"يحيا الأرقب" .. ملك يودوس"

ركض الصبية نحو الصوت. عبارة تكررت منذ سنوات،
منذ تسلم "شاهق الأرقب" حكم مملكة يودوس باختيار
الشعب، وتكرر الآن. مع موكب الملك الجديد. يقولون إنه
يملك بأس جده وقوة التماثيل المدفونة. هذا الصباح أعلن
القصر الخبر، وذُبِحَت الذبائح ووزع اللحم على الشعب كله.
هناك زفاف قادم. اختار الملك الملكة. جميلة جميلة
يودوس وحفيدة "بداية الأرقب" و"بارق الراعي". الآن
ستتحد عائلتا "الأرقب" و"الراعي" من جديد. "رعد
الأرقب" والابنة الوسطى للضوء! "سلسبيل"

أرض الثلج

فراغ دون رائحة البشر! سماء خريفية كثيفة، كان الصغير
تلك الليلة جامحاً، مسخ يروح وامرأة بناب مفترس تشبه
أمه تركض في المتاهة! جرت أنفاسه ببطء فوق صدره
المخرمش بأنياب أفاعي غاضبة تجد تسليتها في التنكيل به،
ثم التوى ثغره بسخرية متعبة تحمل العرق ورائحة التربة التي
دَفَنَ فيها على مدار سنوات ضحاياه في حين ارتفعت عيناه
الحمراوان بحقد نحو جنية سجانة:



- هل يستمتع الكارسو وصاحبه بسرد الكوايس .

ابتسمت جمر بهدوء بارد واقتربت منه، رفعت خصلات شعره التي استطالت وتعقدت ثم مالت برأسها لتشم رائحة العفن المتسربة منه.

- يبدو أن مذاق آخر قنطور ميت لم يعجبك.

- كنت أفضل قلبه.

ابتسامة فاحشة ارتسمت فوق شفثيه، لهث بعنف رغم ضعفه والتمعت عيناه مثل مسخ جائع. أرجع رأسه إلى الخلف فظهرت ملامحه الناقمة وانتفضت عيناه مثل كتلة حمراء ملتهبة ثم تابع بنبرة حانقة:

- أين هو؟ لم لا يأتيني مثلك؟

ثم تنفس بتعب، تلقت حوله بعنف سبع مرات وشبح "حرير" يعود ويطارده وأردف بنبرة مختلة:

- احذري منه، هو رجل قلبه حي بالدماء، هو مسخ يعذب أخاه الوحيد!

- وأنت بلا قلب.

اتسعت ابتسامته مثل وحش حانق عنيد، في حين تجولت هي بخيلاء حوله، رسمت بأناملها قانون المتاهة لعذابه القادم ووضعت أمامه لهماً جديداً وتلك المرة من قنطور متعفن. همست بقسوة وكان المحتوى رسالة من سيدها.



- ربما قدرك أن تهلك بالمذاق.

نتابع لهائه مثل حطب محترق:

- يوماً ما سأهرب من هنا أيتها الملعونة وسيكون قلبك
أول ما سأضعه في في.

جثت فوق ركبتيها أمامه، ربّت بأناملها البقعة الأكثر
حقداً على وجه الأرض، بقعة قلبه. ثم حاوطته بنظرة
ساخرة:

- تقول تلك الأمنية منذ خمسين عاماً، ازحف إلى عبارة
أخرى كنوع من التغيير.

تجمدت نظرته، غامت مقلّته، مذاق الطعام العفن
نهش معدته وضاعت المتاهة بوحوشها عليه تنكل به، لا
تمل من تعذيبه أبداً. تفتح الأرض من تحته على كابوس
يومي ويرى الأفعى وهي تدفن تماثيله. خرجت نبرته منهكة
مسلسلة بجنازير هزيمته:

- أريد أن أراه.. لم لا يأتي إلى هنا؟!

تراقصت شفتا جمر بتعبير قاسٍ ثم حركت جفنيها بنخبث:

- ربما يأتي أحياناً، لن تعلم أبداً!

وحركت سبابتها بشكل دائري فوق جبهته وقالت بنبرة
ضاحكة بغیضة:

- بارود أول ثانٍ ثالث.. ابتهج يا عزيزي كلهم فقدوا



عقلهم.

وتتابعت ضحكاتها بجنون أمامه حتى اختفت، بل ذابت،
وتحولت إلى قنطور ضخم بشع. خرجت من المتاهة بعدها
أصوات ماجنة مخيفة تفوق بشراسة صراخ العذراوات
الذي كان يطربه ومجدداً وجه "حرير" بعد أن لفظتها
"غاند" وتفوح منها رائحة لحم سمك متعفن، وأسنانها
توحش أمامه مثل نصال جامحة. كانت المتاهة تعذبه تبع
خياله. نال من خيال المسخ ما يستحق!

الإقليم

بنات "ضوء القمر"!

لا يصل البشر إلى القصر، ولا يتجاوزون حدود الغابة،
حتى أشجع الشجعان لا يتحمل مشقة اختراق الشيطان
الأسود! هكذا أطلقوا عليه، دخان متوحش يحيط بحدود
الغابة كلها ويمنع بسطوة شيطانية أي اقتراب من قصر
مالك الكارسو. هرول الحصان الأبيض المشبع ببقع بنية
جامحة، وبرقت عينان كالكهرمان تراقب ظل الدخان من
بعيد ثم تعود لتركض في الاتجاه المعاكس وأمامها أرنب
مدعورا!

- "سلسبيل"!

قالتها "ماسة" وهي تتبعها بحصانها الفضي، راقبت



خصلاتها الحمراء المتطيرة بإعجاب والتي كما يقول شعب
يودوس لهيب هز ثبات الملك نفسه ثم أردفت بحكمة
أخت كبرى:

- لو علم رعد أنك اقتربت من هنا...

مالت سلسبيل فوق حصانها ثم ربّت عنقه وتابعت
بمعاندة:

- أنا امرأة لا تناسبها الجواهر والجدران.

- أنتِ الملكة.

كان هذا صوت "لون"، أختها الكبرى التي طلت فوق
حصانها الذهبي بحكمة. ثم استدارت به مواجهة الدخان
وتابعت:

- ومن الحكمة ألا تأتي إلى هنا.

هتفت سلسبيل بحمية ثم ركضت بعنفوان بحصانها:

- من يعلم ربما نتخطاه يوماً.

لم تصدق ماسة نفسها وأختها تركض تجاهه، حصان
سلسبيل كان الأسرع في الإقليم يقال إن من أرسلته إليها
هدية كانت أخت جدتها والمحاربة العظيمة التي ما زالت
يودوس تتحاكى عن بطولاتها حتى الآن.. "قلب الأرقب".

كان الحصان الوحيد القادر على اللحاق به هو اللهب كما
يُطلق عليه، حصان "رعد الأرقب" بلونه الشبيه بالجر



المحترق. وفجأة بين لحظة وأخرى تلتها راكضة توقف
حصان "سلسبيل" متراجعاً إلى الخلف في صدمة. حضر
اللهب

- ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

حصانها يستسلم، كلما شدت لجامه كي يتحرك في
اتجاه واجهها حصانه بحسم قاسٍ يسد طريقها بخشونة،
رفعت عينيها الواسعتين نحوه بدلال لم يشفع لها، فكان ما
اصطدمت به صرامة بعمق بئر. ابتسمت محاولة أن تهدي
غضبه:

- لا شيء..

لم يفلح معه دلالها ولا جمالها، ولا حتى خصلات
الياقوت الأحمر كما يطلق عليها. منحها نظرة محذرة هادرة:

- لا تختبري غضبي يا "سلسبيل"، لن يعجبك!

حد الدخان الأسود ممنوع على الجميع، هو إرث "شاهق
الأرقب" الذي ورثه لهم وعهد بينه وبين المشعوذ على
الجميع الالتزام به، ومن يحاول فقط مجرد محاولة أن
يلامس الدخان يفتك به. غرقت في عمق لجة عينيه كما
العادة دوماً مهما تمردت، في حين قال هو بحكمة وقسوة
أبيه وجده:

- المخاطر المفعمة بالهلاك مفعمة باللذة، ولكن عدم

تقديرها سذاجة يا حفيذة "قلب النبال".



تأملته ثم مررت حروفها بغنج قيثارة:

- تفهم عقلي.

إلا أنه لم يجبرها مباشرة، ولم يمنح غنجها حق الانتصار عليه. مال نحوها بقامته المهيبه ثم تابع بتأنيب قاس:

- حتى "قلب النبال" لم تكن لترتكب حماقة كملك.

حرك بعدها حصانه بشراسة ليجبرها على التراجع، لطمها بنظرة أخبرتها أنها ستنال تأنيباً أشرس بين جدران قصره. ولكن هل تملك الخيار، هي فعلاً تشبه "قلب النبال" كما تقول جدتها "بداية". أما "لون" فمثل "بداية" نفسها، الهدوء والحكمة أنفسهما. و"ماسة" هي اللطافة الخاصة بالملكة السابقة "نهاية الأرقب". تراجعت الأحصنة للعودة وركض بعض العامة لرؤية الملكة الصبباء كما يطلقون عليها. مالت عينا "رعد" النسريتين تمشط المكان وبعدها حاوط حرسه حصانها وحصانه وخاصة أختها متحركين للعودة في موكب نخم حتى.. حتى جمّد لون السماء فجأة حركتهم، طلت غيمة رمادية منبئة بالحدث المكرر، وظهرت زعيمة شعب المطرقة وخلفها تلاميذها، في حين تجمع العامة يراقبون بانبهار الشق في الظلمة، الشق في الدخان الأسود.

موعد ظهور المشعوذ



تحتل البرودة يودوس مرة كل عام. تترج الأرض،
تصرخ القوة الغاشمة، ولولا حزم تعويذة الكارسو
لاستيقظت "غاند". صفير الرياح مخيف، مربوط عباءته
يمتزج بقلنسوته الداھمة وعشرة نمور ضخمة يركضون جواره،
رغم الشق يتضخم الدخان بشراسة، يبلغ عنان السماء
ويبلغ الشمس، في حين تظهر من خلفه ظلاله على اليمين
الوحش وعلى اليسار المستدب ومن فوقه العقاب الذي
يتفتت ألف قطعة فتمتلاً السماء بأسراب عُقبان صغيرة
تنتشر بسرعة رياح قاصمة في الإقليم كله باحثة عنها..
يودوس!

أكلت التاريخ نصف الحكاية، تقتضي الحكمة عدم معرفة
كل شيء، فقط العبارة الشهيرة "يبحث عن يودوس"، منهم
من يعرف أن يودوس فتاة، ومنهم من يظنها طائرًا. ولكن
لا يعلم أحد في الإقليم كله سر باطن الأرض والقمر الذي
نجا سوى "بداية" و"ضوء" ابنتها وزعيمة شعب المطرقة
و"رعد الأرقب". يحمل الملك على عاتقه أسرار يودوس.
ارتعدت فتاة حين صرخ بوجهها عقاب، واختبأت أخرى
ولكنه داهمها، استدعت امرأة حبلى حكاية "ضوء القمر"
وظنت أن المشعوذ سيأخذ نسلها من جديد أما المتمردون
فقالوا يبحث عن قلب عذراء من أجل عودة أخيه. تتكاثر
الحكايات ويخاف الناس الظلال، يقف الملك الجديد
بشموخ في مواجهة مالك الكارسو مبلغًا تحية أبيه وتتنظر
نحوه زعيمة المطرقة في تقدير، تلتقط ملامحه التي تمنح



قلنسوته سطوة عليها بعيداً عن بني البشر وتزجر ظلالة كي
يبتعد المتطفلون.

وبين جدران على مسافة ليست بعيدة جداً، احتل
نقيض عُقاب الفراغ حولها. ركضت، انكشيت جوار
الحائط في حيرة والعقاب المتسلل من النافذة يرفرف
بجناحيه. ومثل كل عام وقبل أن يتمكن من الخروج من
النافذة تواجهه ملاح "بداية" الحازمة ثم ترفع بتميمة خاصة
مغموسة في ضوء القمر في وجهه وتردد عبارتها بصوت
قائم هادئ!

- ليس اليوم!

قلب الراعي

لكل حكاية هامش. ويقال إن "فيصل" بعدما وجد
"غاند" رقص ببهجة مختلة وقفز خلف التماثيل. لكل حكاية
هامش.. حين صار "شاهق الأرقب" ملك يودوس أنجبت
"نهاية" له ولداً سموه "رقيب"، أما "بداية" فأنجبت فتاة
تحاكي الجميع بجمالها، كانت نسخة من جدتها وأطلقوا عليها
اسمها.. "ضوء القمر". تزوجت "ضوء القمر" من شاب من
خارج يودوس، قالوا جاء من مملكة خلف الجبل يطلقون
عليها مملكة العلماء. "بداية" من اختارته لها وهمست في
أذنها يوم الزفاف بعبارة غريبة بكت بعدها ضوء سبعة
أيام وثار "بارق الراعي" رافضاً ولكن انتصرت رغبة



"بداية" على الجميع.

أنجبت "ضوء القمر" أربع فتيات.. الكبرى "لون" وكانت شقراء لها فتنة الشمس، قالوا إن فيها روح "بداية الأرقب". والثانية "سلسيل" الأجل بينهن، خصلاتها النارية كانت قادرة على قلب ثبات الإقليم رأساً على عقب، ومؤخراً قلب ثبات الملك! والثالثة "ماسة".. هادئة مثل موج بحيرة وتحب القراءة وصيد الأسماك وحروف الشعراء.. أما الرابعة ذات خصلات الشلال الأسود وعيون أشجار الغابة الخضراء القائمة لم تُمنح الجميلة ضوء حق رعايتها. لم تكن مقدرة لها.. تربت في كنف جدها وجدتها، في "قلب الراعي"، الغرفة الممنوعة على الجميع.. وأطلقوا عليها اسم الفتاة.

تناول الشرير حفنة من خديعة.

أمام معبد، وبينما كانت تبدد بحافل التماثيل النسيم والسلام ناو لها الطاغية مشروباً. لم تكن تعلم أن "سيراب" من نصحته به ظناً من كليهما أنه سيضمن السيطرة عليها. هو صدق "سيراب" وصدقت "سيراب" "حرير" ونفذت "حرير" أوامر "ثا".. "خليط أحجار القمر وزهور الغابة" ومن منحها لها خادم الشمس!

في سماء ليلة مظلمة بعد النصر، وجنينها ير كل بكل قوة للخروج ظهرت ساكنة شامبالا من جديد.



- افتحى عينيك يا "بداية" وانظري.

شفت "بداية" بتعب ووجل، نظرت حولها فلم تجد القابلة، وكأنها تجرت.. لهت بيأس:

- ماذا تريدن؟

ربت "ثا" فوق العرق على جبهتها وابتسمت وقد احتل وجهها ضوء فضي شاخ. أمسكت ببطنها بعنف أفزعها.

- إنها عطية القمر.. ليس الآن بل من رحم الضوء.

كان الليل قائماً غريباً وعواء الذئب يصاحب "الراعي" الذي كان واقفاً عند الباب يحترق من القلق. صرخت "بداية" مع أول دفعة، ونفخت "ثا" جوار وجهها.

"عطية القمر"

وثاني دفعة كانت عذاباً، الوجع يلتهم أحشاءها. همست "ثا" بفحيح كاللهيب.

"ستعرفينها حين ترينها.. تأخذينها في كنفك حتى يحين الوقت".

ثالث دفعة ظهر الرأس، واجهت "ثا" مهبل "بداية" المثار وبدأت تجذب الرأس بكلتا يديها.

"ضوء ستكون جميلة مثل جدتها، ولن تعاند كي لا تلقى المصير نفسه".

أنفاس "بداية" باتت باردة مثل موت، قوتها مذبوحة،



نصفها سعيد بعودة يودوس ونصفها الآخر تائه حزين،
وقت دفعة رابعة وتقضم هي بوجع متعرق شرشف
الفراش. تبدو "ثا" الآن ضخمة أمامها مثل وحش.. بعينين
ثلجيتين ناولتها تيممة ثم ختمت كلامها بنبرة بدت صاعدة
من هوة.

"لا تمنحها اسماً.. ستطلقين عليها الفتاة، تظهر العقبان
كل عام باحثة عنها وتلك التيممة ستخفيها عنه حتى يحين
الوقت".

نال الظلام من الغابة، فالضوء محبوس في متاهة!

ظلاله ليست محبوسة، بل تتبع مقدار العتمة داخله،
أحياناً تعيثُ فساداً وأحياناً تسقط مثله في هوة السكون.
في قلبه شر عملاق، وحزن عملاق، وفقد عملاق، زفرة
متقدة تسربت منه، نهر مياهه سوداء تقطر في عذوبة
وظلام يتشكل كل يوم من جديد في أغوار قلبه. نداء
ملحاح من الكئاب المحبوس يتكرر يومياً، رأسه يصارع قلبه،
مباح دور الطاغية ومغرٍ والظلام المحبوس ذابح لصاحبه.
يتعاضم الكارسو أمامه، الآن له أجنحة. يرفرف في سجنه
مثل وحش عجوز، تنتفض صفحاته، تفتح بحجم الرغبة على
كل تعويذة ممكنة، سوى تعويذة واحدة.. تعويذة عودتها.
منحها له الكارسو بالميلاد والدماء ولا يمتلك الكارسو
حق نفي تعاويذه. ينفرد الكارسو بضحكة مختلة من بين



الجدران ثم تحترق صفحاته غيظاً بضوء ملتهب حتى يعود
من جديد.

يجتاح هو الغابة مثل كيان معتم أسود تقتل خطواته
الحشائش تحتها، يتجول مثل عابر وحيد، يرمق بغموض
دخانه. كان الدخان يمنع عنه البشر ويمنعه هو عن البشر
كي لا يفتك بهم في ثورة عتمة! يميل نحو زهرة فيسحب
منها الحياة.. تلتمع مقلته بوهج أسود ويصارع جامعاً
أشلاءه كي يجد البئر. هو بأئس تعيس، منعزل يسمح في
يأسه للظلال بالتمكن من كيانه. يبحث عنها ولا يعرف حتى
أين يبحث! يبحث عن سراب، يتبع نداءً في قلبه، يتألم في
رقاده ويتوجع في صحوه ووجهه يكم كل هذا في ثبات.
يبحث عنها في صمته.

عادت العقبان خالية الوفاض ككل مرة، تراجعت
النور والتفت عباءته السوداء حوله بعنف فاختمت! وانغلق
الدخان بعد رحيل ساكنيه فعاد للتشكل مثل حجاب
شاحب وإن اختفت الشمس يومها وجاء ليل الإقليم
مبكراً. تقوست شفتا العجوز.. التاريخ.. زعيمة شعب
المطرقة بحزم صارم ورفعت نحو فم أزرق رغيفاً يابساً
مفحماً، مذاقه مر مزيج ولكن دوماً ما تقول الحكمة
تطلب الشقاء.

- مذاقه سيئ.

- ستحتاج إليه.. دور التاريخ ليس هيناً يا بني.



- أنا!

- يوماً ما سأرحل.. أنا لست خالدة كأبناء "حرير".

تقرص أزرق ومنح نفسه متعة المذاق، ابتلع اللقيمات
اليابسة مع سعف النخل. التفت يرمق الوحش الدخاني
من بعيد..

- هل سيتبدد يوماً؟

لمعت عينا العجوز بوميض غامض:

- ربما من الأفضل لا..

- لا أفهم.

- لن تحمل يودوس ثورة وحوش المسخ في غضبه.

قال أزرق بشهقة حزينة وقد نال من العجوز تفاصيل
الحكاية:

- هل سيظل المشعوذ تعيساً إلى الأبد؟

تسلقت نظرتها الظلام، وحكمتها الأبواب المغلقة. رمقت
القمر الذي سكب ضياءه بسخاء في تلك الليلة وهذا يعني
أنه سيكون معتماً غداً. منذ زمن والقمر يتصرف كما يحلو
له، بات متمرداً على قوانين الطبيعة. قالت بصوت رخيم:

- يحتاج إلى الوقت.. والقمر يحتاج إلى الوقت.

- لماذا؟



- كي يمنحها إياه من جديد.

وصمتت العجوز، تدثرت ملامحها بلحاف كئيب وهدأت أنفاسها جوار رقاد مدجج بالأحلام والخبايا. بئر غامضة تشكل في أرض قاحلة، المرأة الشقراء الضخمة البنية تعود من أسفارها المتعددة، تمر نعمة مميزة طويلة تستقبلها عجوز أخرى، انفعال يقظ يرتج وتغيب نظرة "بداية" في الظلام البعيد. وبين جدران غرفة "الراعي" تجلس فتاة. باتت أنثى الآن، أتمت عامها السابع عشر. تراها العجوز بوضوح، ترى ملامحها كلها الآن، تشفق بعنف في نومها ويحركها أزرق بلا جدوى، بيد تحاول ملامستها وباليد الأخرى رغم كل دروس التاريخ يتسرب لها ضعف، تلمح تعاسته من خلف دخانه وتحاول تبديده، ولكن فجأة تحتل "ثا" الصورة وتقف بينها وبينه بحزم صارم.

"٧"

وتطردها من الحلم.

تباطأت خطوات "بداية" أمام المدفأة وبابتسامة متعبة نظرت نحو جلد يديها الذي تغضن وآخر خيط باقٍ على الدثار الذي تحمكه، نظرة ذات معنى تملك منها وتبخر في رحلة حان وقت نهايتها.

- لن تفككيه تلك المرة حان الوقت.



نظرت نحو "ثا" بعجز تسمح له بالحرية لأول مرة.

- ينشق قلبي عليها.. هل أملك خياراً؟!!

رمقتها "ثا" بحزم:

- إنها له.. لم تكن يوماً لك يا "بداية".

بقلب مكلوم توجهت "بداية" إلى النافذة، راقبت الظل والنور، أضواء بيت ابنتها البعيد وبكاء "ضوء القمر" اليومي على فتاة لم يُسمح لها بمعرفتها. لا يمنح القمر عطاياها بسهولة. يوزع الفرح والآلام. درب النجاة ودرب الهلاك.. تنهدت "بداية" وقلبا يذوب:

- كم تبقى لها من الوقت؟

بصوت الشمس والقمر والنجوم وأسرار شامبالا جاوبت "ثا":

- نصف عام.

أصاب قلب "بداية" رجفة فقدان:

- ستدبل؟ كما المرة السابقة؟

- لا.. بل يريد شقي، اسمه ناقوس، خبيث مثل مثل ناب

أفعى ويختبئ بين سكان الإقليم.

- ماذا يريد؟

- يريد المسخ.. الآخر سجين المتاهة. وهي مفتاح مروره.



انقبض قلب "بداية"، رأت الضحايا.. رأت التماثيل،
رأت وجع يودوس قبل التحرر من الطاغية. عزم نبرتها
اخترق المساحة الفاصلة بينها وبين "ثا":

- أسينجح؟

اقتربت "ثا" منها، ملست على خصلة بيضاء من شعرها
فمنحتها الشباب، وابتسمت لها ثم حركت جفنها ثلاث
مرات بعنف وتابعت بصوت رخيم:

- أخبريها عن ناقوس.. يجب أن تهرب إلى الغابة، يجب
أن تذهب إلى هناك برغبة حاسمة.

تسلل الوجع إلى قلب "بداية"، أمسكت بموضع قلبها،
على الضفة الأخرى بعد الموت رأت "نهاية"، "قلب النبال"
و"جبار" و"شاهق" الملك الأول و"ضوء القمر" و"فيصل"
و... هو!

همست بوجع يشاق إليه:

- "بارق"!

وحين فتحت عينيها لم تجد "ثا"، ارتسمت على زاوية فيها
قسوة الحيرة والرفض.

- متى أرسلها...؟

- من تحادثين يا جدتي؟

وجه مثل الضياء، طلة كاسرة لأي حزن مباح على وجه



الأرض، مزيج فتنة مقدر لرجل واحد. وصوتها يرتج مع
سؤال من طوفان أسئلة يجتاحها كل ليلة.

هي حبيسة غرفة "الراعي".

الفتاة.

هي سجينه بلا أثر في التاريخ، لا يعرف بشأنها أحد، حتى
صاحبة الرحم التي أنجبتها مُنعت من عناقتها، وركض
ثلاث أخوات نحو مصيرهن في الحياة دون أن يعرفن
بوجودها حتى. من نافذتها العالية تلمح منحوتة الأفعى
المقبضة، ينكمش قلبها وهي تستدعي ما التقطته من
الحكايات عن "البارود" والتماثيل والحرب والمشعوذ. تسأل
جدتها بخوف زهرة:

- هل من الممكن أن يعودوا؟

يطل صوت "بداية" بحكمة وكآبة ويقين جاف:

- ابتلعتم الأرض ومن يعلم متى ستلفظهم من جديد.

حكمة "بداية" قاسية مخيفة، لا تثق بالبشر. تخطت
السبعين وحُفِرَ على جلدتها الكثير من الحكايات، تخرج
من المنزل ثلاث مرات في الشهر، مرة لزيارة "ضوء القمر"
والبنات في علية قصرها ممنوعة على الجميع، ومرة لرؤية
الملك، ثم مرة نحو بقعة مجهولة حيث تنشق الأرض في
ظلام يودوس عن بئر. باتت الأرض كلها مباحة لشامبالا



الآن يظهر البئر أينما يشاء.

تأملت عيناها مسار عودة "بداية" آخر مرة ولم تكن وحدها، لمحت جوارها امرأة شقراء طويلة غريبة الطلة، تراجعت عن النافذة في وجل، ترنحت مخيلتها وركضت أفكارها جوار حكايات الورود. الورود الآن تغني عن "ثا" عن "شامبالا" عن "قرنجا!"

- من تحادثين جدتي؟

تسربت نبرتها بلهفة وخوف، تقدمت "بداية" نحوها ثم لامست بكفها المتغضض بشرتها الناعمة وقالت لها بصوت حنون:

- ماذا فعلتِ اليوم؟

لفلقت الفتاة خصلاتها السوداء الطويلة على أصابعها بحيرة، ملامحها تدبل ثم تينع، تختلف كل ساعة ولكن مع كل مرة.. مع كل اقتراب من الرحيل، تكتمل للصورة المفترضة.. تصل إلى يودوس. نظرت نحو السماء بحزن:

- لا شيء.. راقبت الملكة وهي تركض بحصانها، تبدو جميلة جداً، تبدو مثل الفجر وأنا محتجزة في الظلام!

ثم عادت كلماتها لتتسرب رغماً عنها بالتكرار المتعب الخفيض:

- لم لا تسمحين لي بالخروج أبداً؟

نظرت "بداية" بحنان إلى عينيها الحزينتين ويقين ما



مررتـه "ثا" يتضح أمامها الآن، لن تصبر يودوس أكثر من هذا على القيد، وإذا ما رحلت.. قد يجدها هذا الناقوس. اقربت منها "بداية"، وضعت يدها على قلبها، قالت وعيناها تحدقان إليها بانفعال حمل بريق قمر مهتاج:

- ماذا يقول لك؟

توترت الفتاة، شهقت بعنف ودقات قلبها تركض، تركض كما تدفعها يوماً بعد يوم للرحيل. رجفة ضوء تسربت من مقلتيها:

- من أنا؟

ركضت الورود المسحورة على الجدران، تلك الورود التي عاشت معها على مدار سنوات، تسليها بحكايات مبتورة عن مشعوذ وبارود وساحرة وإقليم تحرر وفتاة يبحث عنها المشعوذ كل عام. تتراجع إلى الخلف، تقاوم رغبتها الجامحة في الرحيل.. في اكتشاف ما بعد سحابة الظلام، بالذوبان في رؤية هذا الغريب الذي لا تعلم عنه سوى ما تمنحه لها الحكايات. ولكن ذهنها مدجج بأحلام غريبة وفي الظلام يتشممها وحش! تخاف.. تتراجع.. تلبسها شجاعة نملة. بدت نظرة "بداية" مثل النبض وهي تناولها الدثار:

- سترحلين بعد شهر!

تسربت حروفها بصدمة:

- م... ماذا!



- تضعين عليكِ هذا الدثار، تتحركين مع القمر المعتم،
القمر مختل مزاجي لن يخبرنا بموعد عتمته.. سنراقب.

- لم؟ كيف! لا.. لا.. أريد أن أبقى معكِ.

- إذن ستظلين حبيسة الغرفة إلى الأبد.

اغرورقت عيناها بالدموع، بريق القمر بمقلتها انطفأ:

- لماذا؟ هل أنا مريضة!

اقربت منها "بداية"، تأملت جمالها الفتيّ، لون القمر في
عينها وظلمة الغاب في ظلام خصلاتها، هي منه.. هي
قطعة منه ولا تدرك بعد. ومضت ملامحها كلها بعزم وهي
تتابع:

- اذهبي إلى قصر المشعوذ.. هناك ستفهمين كل شيء..

خفق قلبها بالخوف منه، والرغبة في معرفته.. هل هي..
هل هي من يبحث عنها! كانت هشة جداً لاتخاذ القرار
وهشة جداً لرفضه! تراجعت في خوف:

- الدخان.

حررتها "بداية" بحكمة:

- الدثار سيضمن مرورك.

ثم تحركت "بداية" بجمود قاس تكتم شعورها، فتحت
جرة معطرة وناولتها ورقة وردة أطعمتها إياها وقالت برتم
متوازن:



- هناك رجل فاسد ربما يمنحه الشر سطوة لا أضمن ما
قد يفعله حين يجذك.

هاجم القلق عينيها:

- أي رجل!

عانقتها "بداية" بعنف:

- لم يعد المكان آمناً لك وأنا سأرحل قريباً.

ثم أرخت قبضتها وتابعت ودموع الفتاة تتساقط:

- لا تحزني.. لقد افتقدتُ "الراعي".. اتبعي صوت

قلبك.. أعلم أنه يبحث على الرحيل.

غمغمت الفتاة بعجز حزين:

- أنا خائفة.. أنا تائهة.

رَبَّتْ "بداية" شفيتها وهمست بتوحش يحمل تاريخ الإقليم
كله، تعاويز الكارسو وهروب "حرير" وركض "قلب
النبال" فوق حصان وانتصار ببصمة أفعى:

- لا يتخلى القمر عن أحجاره بسهولة. لقد دفعنا الثمن غالياً.

- أنا لا أفهم!

اقتربت منها "بداية"، حدجتها بنظرة صارمة ووضعت
كلا كفيها على وجنتيها ثم تمددت حروفها مثل غيم
حاوطنيها من كل اتجاه:



- يوماً ما ستفعلين.

- ماذا ستأكل.

- قلب من الملح.

- أنت مختل يا ناقوس.

تشكلت فوق عينيه نظرة ملعونة، ثم استقام ينقل خطواته
بتململ منادياً صبيّ الحانة كي يحمل له جوال العظام. انطرح
جسده بعدها فوقه معذباً حاله باللمس الشبيه بالشوك ثم
جاءت له امرأة بقلب الملح فلعهقه بجوع مقزز. رفض
الخبز واتكأت عيناه على مسند الزمن والعهد الذي مرره
أبوه يجول في صدره. آخر السبعة صبيان.. القبيح.

في فوضى الحرب شخذ سكينه وقتلهم جميعاً ثم قطع
كفه، والتحق بالخديفة بالناجين من جيش الإقليم. ومرت
السنوات وهو على عهد مسخه.. ينتظر فرصة!

ابتسم بقبح لنخاس يهرب الفتيات بعد أن منع ملوك
"الأرقب" بيع البشر.

- أريدها خرساء.

تقياً للنخاس حروفه مثل حمض فاسد:

- تستطيع أن تقطع لسانها.

حدجه بانفعال خبيث:



- ليس لسانها ما أود قطعه.

ثم تقدم ببأس نحو الغنيمة، مرر أنامله الخشنة فوق ظهرها الشبيه بالقماش المطلي واستحضر في عينيه نشوة نزع القلب، ولكن ليس من أجله.. بل من أجل الوحش، حكَّ ظهره المشوه بنقش دمغه أبوه منذ سنوات طويلة ثم نقد البائع عملات زهيدة ليسحب المرأة خلفه ولا يعلم هل سيقبها للنحر أم مصيرها الرقاد. عليه أولاً أن يتخطى الدخان مع العذراء، وبعدها يحين وقت المتاهة.

لطمتها الرياح الباردة، ومنح عواء الذئاب ساقها سرعة متوترة. سنجاب يدس رأسه من مفترق شجرة وينظر نحوها بتعجب. وزئير من خلف الدخان يدفعها لتعود. ارتعشت شفتاها، تسارعت أنفاسها، دفعها قلبها نحو مصيرها المجهول، تستدير.. تلهح أضواء الإقليم تبتعد.. صورة "بداية" تبتعد، صوتها يتردد في أذنيها مثل الصدى:

- اتبعي قلبك.. هناك ستفهمين كل شيء..

قلبا منجذب إلى الظلام، متصل بمجهول لا تفهمه، شعرت ببرودة كالثلج المमित تضرب ملامحها وجلدها، بدا الدخان من قريب مثل وهم مريع يحمل كل أنواع العذاب، شعور موحش تمكن منها ودمع جارف تسرب من عينيها، كانت وحيدة.. أرادت العودة إلى قصر "بداية"، ولكنها تفاجأت بالمشاعل تحيط بالقصر وعويل



اخترق أذنيها. ماتت "بداية"! رحلت إلى "الراعي" كما أخبرتها. تراخت ذراعها، اقترسها الحزن في لحظة، أرادت أن تركض نحوها، تحتضن جسدها البارد وتذهب إلى القبر معها. شعرت بنفسها غريبة عن تلك الأرض، قلبها يبكي وعيناها متجمدة يأساً. فجأة.. انبثق الفراغ عن جسده، رجل مخيف ظهر من العدم يتساقط من بين شفثيه ملح! تراجعت بذعر، خانتها ساقاها وهي تركض فسقطت، تراجعت زاحفة في رعب وعجز ولن يمنحها الصراخ نجاة فالإقليم كله مجتمع في الضجيج حزناً على رحيل "بداية". تسارعت أنفاسها والبأس يقترب.. لهاته يغالبه ويحمل في يده جوالاً كي يضعها به. وفجأة.. انشقت الأرض عن بئر وخرجت منه بسرعة جامحة عنقاء ضخمة هجمت بشراسة على الشقي، وفي لحظات كانت قد انتزعت عينيه.

فوضى الفزع تمكنت منها، لهثت وهي ترى صراخ الرجل والدماء التي تساقطت من وجهه، والعنقاء تتعاضم وتقترب منها هي ثم تشير إليها بجناحها نحو الدخان الأسود. يستقيم الرجل بيأس، يحرك كيسه المخشخش مثل سوط باحثاً عنها. يطلق صيحة ألم مرعبة ويزحف مثل حيوان ليلي سريع على يديه وقدميه. ارتدت إلى الخلف في فزع وفي لحظة كانت قد استقامت وركضت نحو السحابة السوداء بعزيمة الرحيل، وتلفحت بالذئب.. ودخلت إلى الدخان.

الغابة تنتمي إليها! خلف لكمة ظلام ضوء. أغمضت



عينها واخترقت الظلام في مجازفة لا تعلم نتيجتها، كانت بين الدثار وحوها صراخ، نصال مرعبة ولكن لم تمسها، أفاعٍ لولبية تتراقص ألسنتها ولكن لا تمنحها السم. أظافر سوداء مخيفة قادرة على فصل اللحم عن العظام. بدا الدخان مثل جوف مارد فشعرت وكأنما المسار نفق طويل وليس مجرد ستار، تلاحقت أنفاسها وهي تخطو بحرص خوفاً من أن ينخسر الدثار عنها، حدقت إلى الفراغ وقد شعرت بالحيرة والوحشة وترنحت بضعف والريح السوداء تكاد تعصف بها ولكنها قاومت. دفعتها قوة خفية للاستمرار. بدا المخرج مثل فم وحش، من كهف قاتم لظلام متسع رهيب. شعرت بمذاق الرماد والظلام والغيم بين شفيتها، كادت تسقط وتصبح حبيسة الدخان إلى الأبد ولكن الدثار حماها، بل ساعدها لتنجو.. حين تخطت الغيم المخيف اصطدمت بغابة مسرولة بالسواد، أشجار ضخمة بلون فحم محترق، حشائش سوداء.. زهور لها أنياب. وطيور غارقة في نوم كئيب. كانت في الجحيم.. الجحيم نفسه. مضغت البرودة التي تحيط بها بتعب وتدقات بالذثار من سطوة رياح عاتية هاجمتها فجأة، مدت أناملها التي أصبحت من البرودة شاحبة نحو جذع شجرة تستند وقلبا يرتعد خوفاً وهنا هالها ما حدث، ارتجت الشجرة، انتفضت مثل عاصفة ثم استكانت وقد أينعت أوراقها من جديد، نال اللون من القبح بشكل ساحر غريب. تراجعت في وجل، تعثرت وسقطت فوق الحشائش وحينها وبجرد أن لامست يداها الأرض اندفع اللون الأخضر بعنف



مثل موجة حياة. استيقظت الطيور، ماج اللون في الورود،
ونُقِشَت الأرض بالجمال من جديد. وانفتح أمامها مسار
دفعها قلبها لتخوضه.. هناك نحو أرض الثلج.. نحو قصر
المشعوذ.



الخاتمة

انقبضت كل عضلات جسدها وهي تتوجه نحو القصر،
بدا مثل وحش أسطوري ضخم منتصب، كانت تشعر
بكل شيء حولها مهما بلغ صغر حجمه، ذرات الهواء التي
تضرب بشرة وجهها، الثلج الذي تذوب فيه قدمها وهي
تخطو، أنفاس القناطير حين رأتها، حدجوها بوحشية قائمة
وزمجروا ثم تراجعوا في تقديرا!

شعرت بروحها تقتحم فراغ فسيح رغم قسوته هو جزء
منها، شعرت أن كل حياتها السابقة لا شيء، مجرد خطوة
لتصل إلى هنا، لاحظت أن طيور الغابة تتحرك خلفها، لا
تطير.. بل تركز فوق الثلج لاهثة بحماس. لم تدرك ماذا
عليها أن تفعل بعد هذا، القصر بابه مغلق وكأنه يرفض
الزوار، صارم مثل حديد فولاذي جامد. تسلت الحمرة
إلى وجنتيها اللتين كاد يجهدهما البرد وتراخت أناملها وهي
تحاول دفع الباب الثقيل والبحث بعينها عن شكل حياة.
هذا المكان ميت! كئيب مزقه البؤس والتوحش.. وقبل
أن تراجع يأسه اصطدمت بعينين مشتعلتين من الجمر
الحارق ولسان أنثوي يواجهها في انفعال مصدوم..

- أخيراً.

مضغه الظلام ثم تقياً روحه، عرضت شيطانات الكارسو
أن يرضعنه قوة مضاعفة واستعمر قلبه السواد. كان



العقاب يجول بسطوة المسافات فوق البحر وتشعر الظلال
بالمثل، تفكر أن تشارك "البارود" وجبة قنطور ميت. رجة
في الأرض استرعت انتباهه وثلج كاد يذوب جوار دفء
أطل فجأة وصيحة ألف قنطور.

ركض من وكر ظلمته بعنف محبوس، هرست خطواته
الأرض غير مصدق، أكل المسافة بجوع ولهفة حتى وصل
مرتبجاً إلى مدخل قصره، تجمدت عيناه أمامها ذاهلاً،
ركضت دقات قلبه في جسده كله. تراجع غير مصدق..
بل ترنح مثل جبل سيتهاوى. تهشم.. تهشم ألف مرة
وأعادت اللحظة تجميعه. غاب نظره في ضياع عينها الذي
دار بينه وبين "جمر"، تباطأت الحروف وتسكعت على
شفتيها قبل أن تسقط فوق صدره.

- لقد أرسلتني جدي هنا.. "بداية الأرقب".

احتجزها في كهف عينيه في حين تراجعت "جمر" باسمه،
تقدم نحوها كالمشدوه، مد أنامله فلامس خصلاتها..
تراجعت مرتبكة.

- أين المشعوذ؟

كان استفساراً واهياً، هارباً من ضجة اللحظة، فقلبها يعلم
أنه هو من يقف أمامها. شهقت مجفلة حين اقترب، مال
نحوها فجأة بهمس رمادي هادئ يناقض الحريق المشتعل
في كل مكانه:

- أنا هو.



عمق صوته انفرد بها، جذبها نحو هوة ضياع ثم انتشلها من جديد. تشبثت عيناها به وخادعتها، هربت منها نحوه غير راغبة في الفكك. بسرعة سلحفاة عجوز غادرت حروفها شفيتها:

- هل .. هل تعرف من أكون؟

أغمض عينيه ثم اجتاحت شفتيه ابتسامة غابت عنه أعواماً عدة، لم يجب في حينها بل احتلت يده يدها في سطوة ثم جذبها خلفه ليخرج بها من القصر.. التمتت دُكنة عينيه ثم أطلَّ صوته من أعماقه:

- ليس هنا.. إنها حكاية طويلة يا جميلة!

بفطرة مزروعة بها عقدت حاجبها باعتراض:

- هل هذا هو اسمي؟

اقتنصها بسطوة مسخ قديم ثم هددها بنظرة ستمنحها السر والأمان:

- لا.. سأخبرك به لاحقاً.

وخرج بها من قصر أرض الثلج..

نحو الأرض التي جمعتها معاً

نحو ابتسامة عادت إليه بعد أن ظل سنواتٍ عابساً في مكانه

لتبقى هناك معه إلى الأبد



في الغابة.

النهاية

عفواً البداية

مرورة جمال



بعد مرور أعوام طويلة!

كان في إمكانها سماع صراخ التماثيل! تقول جدتها إنها ملعونة، ويقول جدها إنها منشودة، يهرس أسنانه جوار حكاياته ويخبرها عن جده الأكبر الذي فقد عينيه من هجمة عنقاء ضخمة خرجت من بئر من باطن الأرض. أرض الإقليم لها بحيم، عذاب يشبه قضم ذئاب مفترسة للحم رأسها، يخلع جدها قيصه باهتياج ويمنحها النظرة القائمة للنقش المتوارث. "البارود". ترمقه بعينين مائلتين نحو مصير لم تختره وتركض نحو منحوتة الأفعى بيأس ثم تضرب رأسها في الصخر حتى تنبثق منه الدماء.

أمام القصر العتيد، وبعدها خلعت الدثار الذي مرره لها المجهول تملكها الرهبة من هول ما رأت. غيمة من اللعنات تحيط بعلية القصر الكئيبة ونساء برؤوس يعاسيب يدرن في تموجات متتابعة، في حين نتضخم أنيابهن لمن يقترب.. أطلّ الصوت القاتم من خلفها:

- لديك مهمة صعبة!

اقرست ملاحظها نجمة شاحبة:

- لم تساعدني؟ لم دفعتني نحو هذا الهلاك؟!

ظهرت عيناه من تحت قلنسوته السوداء المزركشة بخيوط فضية على شكل ثعبان ضخم! بدت مثل لجة سوداء مرعبة. طلت حروفه بحضور مقبرة:



- الشر دوماً يستحق فرصة.

ارتعشت أطرافها ثم استدارت نحو مصيرها المرتقب،
مصير نسل ناقوس، آخر السبعة صبيان. نحو سجين المتاهة.
من هاوية قلب مصيره الأنياب أطلَّ صوتها في قفزة
أخيرة.

- من أنت؟

ابتسم بقتامة وهو يبتعد، يختفي وسط الضباب مثل شبح
أتم مهمته.

- المشعوذ الأول!

تمت بحمد الله



أرض اللا شمس.. غابة شامبالا.. الغابة التي لا
تشرق عليها الشمس!
فوق بشرتها تناثرت بقايا عتمة، عتمة إلا من ضوء
متسلل ضعيف لا تعلم إن كان مصدره شمس أم
قمر، مياه البحر بدت مثل زيت رمادي، القارب متهالك
كئيب وجدته على الشاطئ بمجدافيه بمجرد أن
تخطت المعبر.

من قادها؟ المشعوذ؟ البارود؟

لا تعلم.. ربما كلاهما

صرخ أحدهما بضوء الشمس والآخـر بالقمر.

صرخ أحدهما بالباطل والآخـر بالحق!

ضال
t.me/twinkling4



14 ش الجزيرة
متفرع من ش محمد فريد عابدين القاهرة - مصر
E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeel 201006250473
www.tashkeel-publishing.com

تشكيل
للنشر والتوزيع